الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الحياة الاجتماعية والثقافية في معسكر خلال الفترة الاستعمارية (1830- 1962م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبتين:

- حنيفي تركية
- لعيساوي بشرى

تحت إشراف الدكتور:

– بكاري عبد القادر

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة
أ.د.طاعة سعد	رئيسا	جامعة ابن خلدون تيارت
د. بكاري عبد القادر	مشرفا ومقررا	جامعة ابن خلدون تيارت
د.بوعناني العربي	مناقشا	جامعة ابن خلدون تيارت

السنة الجامعية: 1445- 1446هـ/ 2024- 2025م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

الشكر و العرفان

في هذا المقام، لا يسعنا إلا أن نعبّر عن خالص شكرنا ووافر امتنانا للأستاذ الكريم: الدكتور بكاري عبد القادر ، لما أبداه من توجيه سديد، ومتابعة دقيقة، وصبر جميل طيلة مراحل هذا العمل. فقد كان لدعمه العلمي وتشجيعه المعنوي بالغ الأثر في إنجاز هذه المذكرة، فله منا كل التقدير والثناء

كما لا يفوتنا أن نعبّر عن امتنانا لإدارة قسم التاريخ لما وفرته من ظروف مناسبة، وما أبدته من تعاون وتسهيلات ساعدتنا على إتمام هذا البحث في أفضل الظروف.

ونتوجه بصدق الشكر والامتنان لكل من مدّ لنا يد العون، وساندنا، وساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع، سواء بكلمة مشجعة، أو نصيحة مخلصة، أو دعم معنوي أثّر فيّ أكثر مما تعبر عنه الكلمات.

جعل الله ذلك في ميزان حسناتهم، وجزاهم عنا خير الجزاء.

إهداء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة."

[رواه مسلم]

إلى أول النِعَم، إلى من علّموني كيف يكون الحب دعاء، والصبر تضحية، والعطاء بلا حدود... إلى أمي، روح البيت ودفء القلب، وإلى أبي،معلمي الأول، إلى إخوتي مروان وخالد، وإلى زهرتي الصغيرة دعاء،لكم جميعًا أُهدي ثمرة أيامي، ونتاج رحلتي الطويلة.

إلى من كانوا النور في دربي، والدافع كلما تعثرت أهديكم كل لحظة نجاحٍ سطرتها في هذا العمل. وإلى صديقاتي الغاليات: مروى، حنان، وفاطمة، وتركية. .زميلاتي العزيزات، شريكات الدرب والمواقف، اللاتي تقاسمت معهنّ لحظات الجد والاجتهاد، والتعب والنجاح،

وإلى كل الصديقات اللواتي عرفتهن في رحاب الجامعة، أهديكن هذه الصفحات التي حملت شيئًا من روحي، وكثيرًا منكن. وها أنا اليوم، أقف على عتبة الحلم، أحمل بين يديّ ثمرة سعيٍ لم يكن سهلًا، لكنه كان يستحق...

ولأن لكل طريق نهاية، فهذه الصفحة ليست ختامًا، بل بداية لطريق جديد، يشرق فيه العلم نورًا، ويضيء القلب أملا. بشرى

اهداء:

إلى روحه التي لم تغب عني يوما، إلى أبي "عبد القادر" الراحل عن هذه الدنيا، الحاضر في دعائي وفي قلبي كل حين، إلى من غرس في داخلي الصبر والإصرار ورحل قبل أن يرى ثمرة ما زرعه، يامن أرى في نجاحي امتدادا لفخرك، أهديك هذه المذكرة عسى أن تكون لك نورا و رحمة و صدقة جارية في ميزان حسناتك.

و إلى التي كانت بعدك النور حين خيم الظلام، إلى "خالدية "أمي الغالية، إلى من لملمت وجعي و ساندتني بدعائها و حنانها، إلى التي لم تتعب من دفعي إلى الأمام رغم تعبها، إن كان لكل إنجاز قصة فأنت بدايته و نهايته، أهديك هذه المذكرة عربون وفاء و اعتراف بأن ما عليه اليوم هو من غرسك.

إلى إخوتي الأعزاء الذين كانوا رفقائي في كل لحظة من مشوار حياتي، إلى براعم العائلة أولاد إخوتي و بناتهم أهديكم هذه المذكرة كأمل بمستقبل مشرق لكم.

إلى روح أخوي الغاليين" رشيد و خالد" أهدي هذا العمل المتواضع وفاء لذكراكما الطيبة.

إلى زميلتي بشرى رفيقة المذكرة و شريكة السهر و التعب، إلى خالتي الحنونة و زوجها إلى صديقتي نعيمة سندي من أول يوم في الجامعة شكرا لوجودكم.

إلى تلك الفتاة التي لم تعرف الإستسلام، التي قاومت بصمت، بكت في الخفاء و ابتسمت في العلن، فقط لتكمل الطريق، رغم التعب احيانا و الوحدة كثيرا، وإلى كل الصعاب التي حاولت أن تسقطني و ما سقطت، إلى كل الشدائد التي عمدت إلى كسري فما جعلتني إلا أقوى شكرا لكم.

تركية.

قائمة المختصرات:

أ- بالعربية:

المختصر	الكلمة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
ج	جزء
مج	مجلد
ع	عدد
د ط	دون طبعة
د س	دون سنة
د ص	دون صفحة
ص	صفحة
ص ص	صفحات

ب- بالفرنسية:

Op Cit	**Ouvrage précédent que déjà cité**
P	**Page**

مقدمة

عرفت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية 1962/1830 تحولات عميقة مست جميع مناحي الحياة خاصة الاجتماعية والثقافية منها، فقد سعت السلطات الاستعمارية الى تفكيك البنى التقليدية للمجتمع الجزائري التي كانت تؤطر الحياة اليومية للجزائريين ، واسهمت في اضعاف الروابط التي كانت تحكم النسيج الاجتماعي ومحاولات لإعادة تشكيل المشهد الثقافي وفق رؤى دخيلة .

ورغم ذلك ظل المجتمع الجزائري يقاوم هذا التغيير بوسائله الخاصة ،فحافظ على الكثير من مظاهره الاجتماعية والثقافية الاصيلة في ظل محاولات الطمس والتغريب .

ومن هنا تبرز أهمية الاعتماد على مقاربة التاريخ المحلي لفهم خبايا المجتمع الجزائري في الفترة المذكورة فلا يمكن فهم التاريخ الوطني العام بمعزل عن دراسات محلية لمختلف مناطقها، وذلك لفهم التفاعلات المجتمعية والتعرف على كيفية تكيف السكان مع ظروف الاستعمار. وانطلاقا من هذا التصور برزت منطقة معسكر كنموذج جدير بالإهتمام لما تزخر به من غنى اجتماعي وثقافي ولما لعبته من أدوار هامة سواء على صعيد الحياة اليومية للسكان ، او في سياق التعبير عن الرفض والصمود .مما يجعلها مجالا مناسبا لدراسة مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية خلال الفترة، خاصة وانها برزت في الفترة العثمانية كحاضرة في الغرب الجزائري إذ كانت عاصمة لبايلك الغرب ما منحها مكانة سياسية وادارية متميزة، وقد انعكس هذا الدور على طبيعة نسيجها الاجتماعي وتنوع فئاتها السكانية ونشاطها الثقافي ، وهو ما مهد لإستمراره كفضاء حيوي ومؤثر امتد لفترة الاحتلال الفرنسي رغم التحولات التي تعرض لها، إن هذا الامتداد التاريخي وما رافقه من استمرارية في الوظائف الاجتماعية والثقافية يجعل معسكر نموذجا محليا غنيا يمكن من خلاله استكشاف انعكاسات السياسة الاستعمارية على واقع الحياة اليومية .

وعليه فإن موضوع الدراسة معنون ب: " الحياة الاجتماعية والثقافية في معسكر مابين 1830-1962. إذ يكتسي الموضوع طابعا بالغ الأهمية نظرا لما يتضمنه من معطيات قيمة تسهم في الكشف عن ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية في المنطقة منذ أن وطأت أقدام الاستعمار أرض المنطقة الى غاية خروجه منها .وتعكس التحولات والخصوصيات التي ميزت ذلك هذا الجانب من تاريخها .

فمن خلال هذا العمل نرغب بعرفة ادق وتفاصيل أكثر حول واقع المجتمع المعسكري خلال الفترة المدروسة كما نسعى الى معرفة بعض الأحداث التي كان لها أثر في تشكيل هذا الواقع .فالأهمية التاريخية المستقاة من هذا الموضوع تكمن في كونه يساهم في إبراز جانب مهم من تاريخ المنطقة مما يساعد على فهم أعمق لهوية المجتمع الجزائري وصموده في وجه محاولات الطمس والتخريب، كما أن هذا النوع من الدراسات يعزز الوعي ويسهم في بناء شخصية وطنية متجذرة قادرة على تقدير ماضيها ومواجهة تحديات حاضرها.

ومن أسباب اختيار موضوع دراستنا نذكر:

_كون هذا الموضوع لا يزال قليل التناول في الدراسات الأكادمية ما جعله يستحق البحث والتعمق.

_الرغبة في فهم الواقع المحلي وإبراز مساهمته في تشكيل الهوية الوطنية ضمن السياق التاريخي العام.

_ المساهمة في الحفاظ على الذاكرة الجماعية لسكان المنطقة من خلال توثيق جوانب من حياتهم اليومية في فترة حساسة من تاريخ الجزائر .

_تعزيز الوعي التاريخي لدى الباحثين وتشجيعهم على الإهتمام بالتاريخ المحلي كجزء أساسي من الهوية الوطنية.

– وتتمثل الإشكالية في محاولة الكشف عن ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية في منطقة معسكر خلال الفترة الإستعمارية، وكيف تفاعلت البنية المجتمعية المحلية مع التغيرات التي فرضها الاستعمار، من حيث المقاومة الثقافية، واستمرار التقاليد، والتأقلم مع التحولات المفروض ؟

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية لعل أهمها نذكر:

.1 ما مدى تأثير الموقع الجغرافي ونشأة مدينة معسكر في تشكيل دورها الإجتماعي والثقافي عبر مختلف المراحل التاريخية؟

2_ إلى أي حد شهد المجتمع في معسكر تحولات اجتماعية عميقة نتيجة السياسات الاستعمارية، وما الإنعكاسات التي خلفتها على نمط العيش والعلاقات داخل المدينة؟

3_ما ملامح الحياة الثقافية في مدينة معسكر خلال الفترة الاستعمارية، وكيف تجلّت في مختلف مظاهرها رغم ظروف الإحتلال؟

4_كيف تناولت الكتابات التاريخية المحلية والأجنبية تاريخ منطقة معسكر، وما مدى تأثير الخلفيات الفكرية والسياسية لتلك الكتابات في تشكيل صورة المدينة خلال الفترة الاستعمارية؟

و من خلال دراستنا لهذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي ، فالمنهج الوصفي سمح لنا بعرض الاحداث عرضا زمنيا تصاعديا .ومن أجل معالجة الاشكاليات المطروحة نقترح مجموعة من الفرضيات التي نختبر من خلالها مدى صحة الطرح:

1. ساهم موقع معسكر في تعزيز دورها كمركز اجتماعي وثقافي بفعل انفتاحها على طرق تجارية وتاريخها الحضاري المبكر.

2. غيّرت السياسات الاستعمارية نمط العيش في معسكر، لكن السكان حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم رغم التغير العمراني والنسيج الاجتماعي فيها.

3.استمرت الحياة الثقافية في معسكر عبر مختلف المؤسسات كالمساجد والزوايا، وبرز فيها رجال فكر حافظوا على الهوية الثقافية.

4.اختلفت صورة معسكر بين الكتابات المحلية والأجنبية، وقد أثّرت السياسات الاستعمارية في توجيه الكتابات الأجنبية نحو تبرير الاحتلال وتشويه تاريخ المدينة، في حين سعت الكتابات المحلية لإبراز معسكر كمركز للحفاظ على الهوية.

ولإبراز الخلفية التاريخية لهذا للموضوع اتبعنا خطة بحث جاءت على النحو التالي: مقدمة وفصل تمهيدي وثلاث فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق.

*حيث جاء الفصل التمهيدي بعنوان معسكر عبر التاريخ: اندرج فيه مبحثين ، المبحث الاول تحت عنوان: " موقع منطقة معسكر " تحدثنا من خلاله عن الموقع الجغرافي والموقع الفلكي للمنطقة . والمبحث الثاني عن نشأة المنطقة منذ ماقبل التاريخ الى غاية وقوعها على يد الاحتلال الفرنسي.

*أما الفصل الأول كان بعنوان: " الحياة الاجتماعية في معسكر مابين 1830 الى 1962 " وقد اندرج ضمنه مبحثين الأول بعنوان التركيبة السكانية للمنطقة وقد تطرقنا الى الحديث عن مختلف الفئات السكانية التي سكنت معسكر كما ذكرنا التطور العمراني لها. وفي المبحث الثاني الذي كان موسوما بعادات وتقاليد المنطقة.

* أما الفصل الثاني فعنوانه كالتالي: الحياة الثقافية في معسكر مابين 1830 الى 1962 وقد تفرع عنه مبحثين، الأول بعنوان المؤسسات الثقافية في معسكر والثاني بعنوان رجال الفكر والثقافة في المنطقة.

* ومن خلال الفصل الثالث والأخير : " معسكر من خلال الكتابات التاريخية " حاولنا تنظيمه الى ثلاث مباحث الأول بعنوان مساهمة الكتابات المحلية في ابراز تاريخ المنطقة

والثاني بعنوان مساهمة الكتبات الاجنبية لتاريخ المنطقة ،أما المبحث الثالث فقد خصصناه لعرض آثار وانعكاسات السياسة الاستعمارية على الحياة الاجتماعية والثقافية في معسكر. وقد ختمنا بحثنا بحوصلة ضمت أهم الاستنتاجات المتحصل عليها من خلال دراستنا للموضوع.

كما اعتمدنا في هذا العمل على مصادر ومراجع مختلفة ساعدتنا على معالجة الموضوع من مختلف الجوانب والتي نذكر اهمها:

- ✔ معسكر عبر التاريخ لصاحبه عدة بن داهة والذي ساعدنا في معرفة تاريخ نشأة معسكر وموقعها .
- ✔ كتاب جمعية علماء المسلمين في معسكر لجاكر لحسن تعرفنا من خلاله على الحياة الثقافية في المنطقة.
- ✔ كتاب مجموع الحسب والنسب لصاحبه بن هاشمي بن بكار افادنا بشكل كبير في مختلف محطات البحث.

بالاضافة الى مجموعة الجرائد والمقالات والرسائل الجامعية التي اثرينا بحثنا من خلالها.

كما شكل هذا الموضوع محلّ اهتمام عدد من الباحثين من قبل، حيث خضع للدراسة والتحليل في أعمال أكاديمية سابقة، ما يؤكد مكانته ضمن اهتمامات البحث العلمي.، ومن بين هذه الأعمال نذكر: الحركة الوطنية في معسكر 1930-1954 لجاكر لحسن وهو عبارة عن أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.

و الواقع الاجتماعي والثقافي في معسكر 1900 – 1945 لأوريندي الطيب والذي قدمه كمشروع لنيل دكتوراه الطور الثالث تخصص الاستعمار الفرنسي في الجزائر' 1870_1954' مقاومات وتحولات.

كما لا يخلو أي بحث علمي جاد من صعوبات وعراقيل تُرافق الباحثين خلال مختلف مراحل الإنجاز، وقد واجهنا أيضًا تحديات متعددة كان لها الأثر في تشكيل مسار هذا العمل. تمثّلت أبرزها في صعوبة الوصول إلى المصادر الخاصة بموضوع الدراسة، لاسيما تلك التي تتّسم بالندرة أو المحدودية في التناول، ما تطلّب منا مجهودًا إضافيًا في البحث والتقصّي. كما وجدنا في بعض الأحيان صعوبة في تصنيف المعلومات وترتيبها، خاصة في ظل تشعّب المعطيات وتداخلها، مما استدعى منا إعادة النظر في منهجية العرض والتنسيق.

ومن بين التحديات الأخرى التي تطلّبت تركيزًا وحرصًا كبيرين، محاولة الربط السلس بين الأفكار والمضامين دون الإخلال بالبنية العلمية والمنهجية، بالإضافة إلى سعينا الدائم لتجنّب الطابع الذاتي في التحليل والعرض، من أجل المحافظة على الموضوعية والحياد العلمي المطلوبين في مثل هذه الأبحاث. ورغم هذه العوائق، فقد اعتبرناها جزءًا من التجربة البحثية التي تُنمّي فينا مهارات الاجتهاد والدقة والمثابرة.

وعلى الرغم مما اعترض سبيلنا من صعوبات وتحديات، فقد سعينا بكل ما أوتينا من عزيمة إلى الإحاطة بجوانب هذا الموضوع، ومعالجته معالجة علمية دقيقة ، ترتقي إلى مستوى البحث الأكاديمي الجاد.

الفصل التمهيدي: معسكر عبر التاريخ

– أولا: موقع المنطقة

– ثانيا: نشأة المنطقة

إن دراسة الموقع الجغرافي والنشأة لأي منطقة يعتبر خطوة أساسية لفهم ملامح تطورها عبر الزمن، خاصة فيما يتعلق بدارسة الحياة الاجتماعية والثقافية لمجتمع ما وفي هذا السياق تبرز معسكر كحالة نموذجية تستحق الوقوف عندها. ليس فقط لما تتمتع به من موقع استراتيجي في الغرب الجزائري بين السهول والجبال، بل أيضا لما شهدته من تحولات عميقة منذ نشأتها وعليه فإن هذه الدراسة تساعد على بناء تصور شامل حول طبيعة نشأتها ودورها في التاريخ المحلي والوطني ، ولإجراء دراسة تاريخية متكاملة حول مدينة معسكر وأحوازها، من الضروري التطرق أولا إلى موقعها الجغرافي الذي منحها مكانة استراتيجية ضمن خارطة الجزائر، مع التركيز على خصائصها الطبيعية والتاريخية التي ساهمت في تشكيل طابعها العام، إلى جانب ذلك لعبت معسكر دورا تاريخيا بارزا عبر مختلف العصور، إذا كانت شاهدة على أحداث وتحولات كبرى أثرت في مسار التاريخ الوطني، وهو ما يجعل دراستها تكتسي أهمية خاصة سواء من الناحية الجغرافية أو التاريخية.

أولا _الموقع الفلكي والجغرافي:

تقع مدينة معسكر(انظر الملحق رقم 02) على خط عرض 26و35° شمالا، وعلى خط طول 11و2° غرب خط غرينيتش، في الإقليم الشمالي الغربي للجزائر، [1] وتعلو عن سطح البحر بـ: 585م يمر بوسطها وادي تودمان أو وادي عين السلطان الذي يغذي سكانها بالمياه الصالحة للشرب وتصنف إلى شطرين: شرقي وغربي قبل أن يغيب في أسافل المدينة بأحد الخوانق الضيقة والعميقة. [2]

[1] قرمان عبد القادر ،عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني، دراسة أثرية عمرانية ومعمارية، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الاثار الاسلامية معهد الاثار جامعة الجزائر2، 2014- 2015، ص3.

[2] عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، ط: 1، دار الخلدونية، الجزائر، 2005، ص 8.

يصفها بعض الرحالة والجغرافيين بالقرية العظيمة، فيذكر ابن حوقل: "المعسكر قرية عظيمة لها أنهار وأشجار وفواكه ".[1] ويوردها الادريسي في قوله : .... والمعسكر قرية عظيمة لها أنهار وثمار[2]،

أما من الجانب الجغرافي، فمدينة معسكر هي قاعدة الوطن الراشدي الذي يحده كما يقال شرقا جبل المناورة وغربا جبل كرسوط وشمال القلعة وجنوبا وادي البنيان[3] وتقع على أحد السفوح الجبلية المطلة على سهل (غريس)[4] بالقسم الغربي بجبال بني شقران وهي تحتل كل من هضبة سان هيبولت Saint-Hypolite (المامونية حاليا)، وسهل غريس المنخفض الذي يمتد جنوبا حتى المناطق المجاورة لجبال سعيدة وهي جزء من سلسلة الأطلس الداخلية.[5]

تتوسط مدينة معسكر عدة مدن فهي تبعد عن مدينة وهران الواقعة إلى الشمال الغربي بنحو (98 كلم)، وعن مدينة سعيدة الواقعة في الجنوب بـ (74 كلم)، وعن مدينة تيارت بنحو (140 كلم).[6]

ومدينة معسكر تقع وسط السهول الخصبة البديعة المسماة بلاد غريس وبها الكروم والزياتين ويزرع بها الدخان وتكثر بها الحبوب وهي من أهم مدن الناحية الغربية.[1]

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، 1996، ص 89.

[2] الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق،مج1،مكتبة الثقافة الدينية،مصر 1994،ص251.

[3] بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1381 هـ -1961 م، ص 32.

[4](غريس): هو سهل من سهول الوطن الراشدي وسمي غريس لأنه كان مغروسا بأنواع الشجر ذوات الأثمار وكان سكانه من بني زروال ومن ساكنهم من بني أوجين، للمزيد من المعلومات أنظر: عبد الرحمن بن عبدالله التوجيتي، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من اشراف غريس، دار الخليل القاسمي، ط1، 2005، ص 08.

[5]أورنيدي طيب، الواقع الاجتماعي والثقافي في معسكر 1900- 1945م، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث تخصص: الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1870- 1945م) قسم التاريخ، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2022-2023، ص20.

[6] نفسه، ص21.

وهي مدينة قديمة تقع على المنحدر الجنوبي لسلسة الجبال المعروفة باسم شرب الريح وهي جزء من الأطلس الصغير، ولا توجد سوى معلومات قليلة حول أصلها فقد تم بناؤها من قبل البربر على أنقاض المدينة الرومانية التي كانت تضم أسوار المدينة الحالية بالإضافة إلى جزء كبير من أراضي غريس.[2]

وذكر أحمد الوزان أثناء زيارته للمغرب الأوسط في حدود الربع الأول من القرن العاشر الهجري (16م) أن مدينة معسكر تقع ضمن إقليم بني راشد الذي يمتد على طول نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلا من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلا، جهته الواقعة جنوبا كلها سهول والواقعة شمالا كلها تقريبا مرتفعات.[3]

كما بين أن معسكر تأتي في الرتبة الثانية بعد قلعة هوارة بهذا الإقليم من حيث أهميتها السياسية والاقتصادية والعمرانية.[4]

تتميز المنطقة بتنوع تضاريسي بجمع بين الجبال والهضاب والسهول، أما الهضاب فأهمها تلك الواقعة بين معسكر والبرج ومنها هضبة المامونية التي ترتفع عن سطح البحر بـ (687م).[5]

ومن الجبال أهمها سلسلة (بني شقران)[1] التي تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي يحدها من الشرق وادي مينا الذي يفصل بينها وبين جبال الونشريس، ومن الغرب

---

[1] أحمد توفيق المدني، تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا (..) المرجع السابق، ص 240

[2] Lèon Galibert :Histoire de l'algèrie ancienne et moderne ,furne l'ibraires –Editeur Paris 1843,p449

[3] العربي لخضر، مقدمات عن الحرف وتنظيماتها في مدينة معسكر خلال العصر الوسيط، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ،مج 17،ع22، البيض، الجزائر 2020، ص 103- 140.

[4] نفسه، ص104.

[5] أورندي طيب، المرجع السابق، ص21.

جبال تسالا، التي تشكل إمتداد طبيعي لها ومن الشمال سهل الهبرة، من الجنوب سهل غريس، وتقدر مساحة هذه السلسلة الجبلية بـ 330 ألف هكتار.[2]

وضمن سهل غريس الشهير توجد تجمعات سكانية هامة منها: مدينة تيغنيف ومدينة غريس، ويمكن تحديد المنطقة التي تحت نفوذ المدينة وخدماتها وتتبادل معها التأثر والتأثير.[3]

بفعل موقع وتضاريس معسكر، فإنها تتميز بمناخ شبه قاري. يتميز بعدم انتظام سقوط الأمطار التي غالبا ما تتساقط لمدة لا تتعدى 76 يوما تقدر خلال السنة الواحدة بـ : 40 حتى 50 % خلال شهر جويلية، وقد بلغت أحيانا 65 % على المرتفعات التي تتجاوز 590م.[4]

تجتاح المنطقة في فصل الشتاء موجات من البرد القارص تتسبب في سقوط الثلوج وتشكيل الصقيع ببعض المناطق التي يبلغ علوها عن سطح البحر 800 م، وذلك في جبال بني شقران وعوف والبرج.[5]

وفي أواخر الربيع من كل سنة تهب على الناحية رياح جنوبية معروفة باسم "القبلي" عند سكانها، وهي حارة وجافة ومحملة بالأتربة والرمال، أما في فصل الصيف فيتميز الجو بالحرارة الشديدة.[6]

---

[1] (بني شقران): فعلى الرغم من عزلة جبال بني شقران، وصعوبة مسالكها وافتقار تربتها إلا أنها عرفت استيطانا أوربيا مكثفا، فسكان بني شقران عرفوا برفضهم للسيطرة والاحتلال الأجنبي عبر مر العصور، وعرفوا بأنهم أول من احتضن مقاومة الأمير عبد القادر، عدة بن داهة، ثورة بني شقران، **مجلة عصور جديدة** ع 12/11، فيفري 2014، ص 302.

[2] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص 8.

[3] أورندي طيب، المرجع السابق، ص 4.

[4] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص 10.

[5] أورندي طيب، المرجع السابق، ص 5.

[6] نفسه، ص 5-6.

ويسود سهل غريس الشهير مناخ شبه قاري رطب، تتراوح كميات التساقط به بين 350 و400 ملم/س.[1]

نشأة المنطقة تاريخيا :

تعد منطقة معسكر من أهم المناطق التي شهدت تطورا تاريخيا بارزا جعل منها مركزا حيويا لمختلف الأحداث عبر مختلف العصور، ارتبطت نشأتها بوجود تجمعات بشرية قديمة تأثرت بالحضارات التي تعاقبت عليها مما ساهم في تشكيل هويتها الثقافية والاجتماعية، وقد لعبت دورا محوريا خلال الفترات التاريخية المختلفة، وتبعا لذلك يمكن إبراز شأنها عبر مختلف الحقب التاريخية من خلال تتبع المراحل التي مرت بها والتغيرات التي شهدتها ونذكر أصل تسميتها الذي يعكس العمق التاريخي للمنطقة.

***معسكر في فترة ما قبل التاريخ:**

كانت منطقة معسكر محل دراسة العديد من الباحثين وعلماء الآثار الذين أولوا اهتماما كبيرا لاكتشاف خبايا هذه المنطقة التي تعتبر من أقدم المناطق التي استقر بها الإنسان وعمرها منذ ما قبل التاريخ بدليل العثور على بقايا عظام إنسان ما قبل التاريخ في المنطقة –منطقة تيغنيف– أو ما اشتهر بإنسان تيغنيف والذي يعد أقدم إنسان في شمال إفريقيا.[2] ويرجع استقرار الإنسان بها إلى عصر ما قبل التاريخ أي بحوالي 500 سنة ق.م.

حيث ارتبط وجودها بعهد "الإنسان الأطلس الموريطاني" أو ما يعرف بإنسان "باليكاو".[3] ورغم نقص الدراسات الميدانية التي أقيمت خلال هذه الفترة إلا أنه وبمرملة تيغنيف اكتشفت

[1] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص10.

[2] أ. عبيد بوداود، معسكر وأحوازها في العصر الوسيط من خلال المصادر الجغرافية العربية، من خلال كتاب معسكر المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث العلمية، مكتب الرشاد للطباعة والنشر الجزائر، 2014، ص5.

[3] محمد الجيلالي،معسكر ومناقب ائمتها في الق 20 ، دار النشر ابن خلدون ، تلمسان الجزائر ، دط ، دس ، ص 103

آثار تعود إلى هذه الحقبة من قبل مجموعة من الباحثين أمثال: "POMAL بومال" الذي تولى هذه الأبحاث خلال سنوات 1878 و1882و 1893 و1897، وكذلك "TOMASSINI توماسيني" في سنة 1882.[1]

بدأ التنقيب في موقع تيغنيف سنة 1872 الذي يتشكل من هضبة رملية ذات لون أبيض وقد اكتشف فيها أحد المعمرين مجموعة عظام بشرية متحجرة.[2] وتواصل اهتمام الباحثين الفرنسيين والمعمرين الذين قاموا بجمع ما يقارب 130 كلغ من عظام الحيوانات الضخمة التي كانت تعيش بالمنطقة كالفيل ووحيد القرن وفرس النهر، الخنزير، حمار الوحش، الجمل وبعض من أنواع الغزلان.[3] كما عثر على أدوات حجرية غير بعيدة عن المدينة قرب المامونية (سان هيبوليت) وعلى بقايا عظمية تعود إلى فترة النيوليتيك، وهذا الواقع ينطبق كثيرا على العديد من المواقع القريبة او المحيطة بمعسكر اذ تم العثور على اكوام الحجارة على قمم كثير من الجبال وهي بمثابة مجموعة من القبور تتنشر عبر محور يمتد من منطقة غريس وجبل شداد وأولاد عوف وسيدي قادة وغيرهم.[4] شكل هذا دليل قاطع على الاستقرار البشري منذ أمد بعيد في المنطقة وأنها تتوفر على بيئة مناسبة شجعت الإنسان على الاستقرار والتعمير بالمنطقة.

ولعدم كفاية الوثائق فإنه من الصعب تتبع التطورات لهذه المنطقة في عهد ما قبل التاريخ ولكن يتلخص أنها ومن خلال كتابات الرحالة والمؤرخين لديها بعد حضاريا وعمق تاريخي.

[1] قرمان عبد القادر،المرجع السابق، ص 20.

[2] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص 20.

[3] أورندي الطيب، المرجع السابق، ص 23.

[4] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص 21

***معسكر في الفترة القديمة:**

بعد أن تناولنا معسكر في فترة ما قبل التاريخ نجد أنها واصلت تواجدها وسجلت حضورها في أبحاث ودواوين مختلف الرحالة والمهتمين بالمنطقة في الفترة القديمة، وبالرغم أنها لا توجد إشارة واضحة لمدينة معسكر ولكن من خلال بعض الأبحاث التي أقيمت يمكن القول أنها كانت ضمن إقليم بني راشد الذي كان ينتمي إلى المملكة النوميدية الغربية الواقعة تحت حكم الملك سيفاكس وقد اتخذ من مدينة (سيقا)، عاصمة له.[1] كما تعد معسكر قاعدة ومركز المجتمع الراشدي الذي يجده من الشمال قلعة بني راشد[2] وشرقا جبل المناورة وغربا كرسوط وجنوبا واد البنيان.[3]

وقد ضم هذا الإقليم العديد من القرى يمكن ذكر أهم قريتين فيها وهي: قلعة هوارة وتشمل على نحو أربعين دارا للصناع والتجار وهي مبنية على شكل قلعة منحدر جبل بين الشعاب والثانية تسمى بالُمعَسْكَر وبها يقيم الخليفة الملك مع فرسانه يعقد فيها سوق كل يوم خميس يباع فيه الكثير من المنتجات المحلية.[4] كما يذكر أن المدعو مرشد القريشي الذي أقام بمصر قد وشي به بعض الناس للأمير على أنه يطمع في السلطة محددا بذلك نفوذه، فشد رحاله صوب المغرب وبعد مسيرة طويلة بلغ أرض معسكر فاستقبله أهلها بالترحاب

---

[1] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص21.

[2] قلعة بني راشد: (أو قلعة هوارة) هي قلعة منيعة في جبل خصيب..وهي مدينة رومية قديمة. ينظر كتاب: الاستبصار وعجائب الأخبار مؤلف مجهول، ص178.

[3] بكاري عبد القادر، منهج الكتابة التاريخية عند ابي راس الناصري من خلال مخطوط زهر الشماريخ وعلم التاريخ ، مذكرة لنيل شهادة الماجستار في التاريخ الحديث جامعة معسكر، كلية الاداب واللغات و العلوم الاجتماعية و الانسانية 2008_2009، ص7.

[4] حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، منشورات الجمعية المغربية، ص26.

وأنجب ولدا سمي راشد كما يعد راشد بن مرشد القرشي هو الذي خط المدينة وذلك في حدود عام 800م.[1]

وبعد جملة من الأحداث التي أدت إلى انتشار النفوذ الروماني في المغرب، كان من الصعب توثيق الدور الذي لعبته المدينة في هذه المرحلة.[2]

تحتل مدينة معسكر فيما يذهب إليه أغلب الآثار مكان المدينة الرومانية فيكتوريا ويعتبر بطليموس الجغرافي الوحيد الذي ذكر VICTORIA "فيكتوريا" ومن المرجح أن المدينة القديمة قد هدمها الثوار من الأهالي عند سقوط الإمبراطورية الرومانية.[3] ثم عرفت بعدها باسم CASTRA NOVA "كاسترانوفا" أي "المعسكر الجديد" وكانت عبارة عن قرية صغيرة[4] وفيما يذهب إلى ذكره مارمول كربخال في كتابه "لإفريقيا": أن إقليم بني راشد قد ضم 3 مدن رئيسية وهم بنو راشد وهي العاصمة وهي عند بطليموس تسمى "قيلبورك". أما المدينة الثانية فهي القلعة أما المدينة الثالثة فتدعى معسكر ويظن البعض بأنها نفس المدينة التي ذكرناها وهي قيلبورك.[5]

***معسكر خلال العصر الوسيط:**

تواصل الغموض التاريخي للمدينة في العصر الوسيط، ولاريب في أن الفتوحات الإسلامية أثرت تأثيرا بالغا في سكان معسكر بحيث تحولوا بسرعة إلى العربية والإسلام واتخذوا لمدينتهم –معسكر– اسم الراشدية نسبة إلى مؤسسها راشد –كما ذكرنا سابق– كما

---

[1] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص 47.

[2] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص22.

[3] مهيرس مبروك، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، سنة 2009، ص29.

[4] محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص 103.

[5] مارمول كربخال، إفريقيا ج2، تر: محمد يحيى وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، دار النشر للنشر والمعرفة، دط، سنة 1989، ص324.

أن القرى والقبائل المجاورة صارت هي الأخرى تحمل أسماء عربية تنسب إلى العلماء والأكابر الذين استوطنوا سهل غريس وجبال بني شقران واستقروا بها.[1]

تقدم مختلف المصادر الجغرافية والعربية أوصافا تتقاطع في الكثير منها مع بعضها البعض وتوحي بأن هذه البلدان ازدهر بعضها في العصر الوسيط وبعضها اندثر بحيث أن معسكر ظلت قائمة على خلاف باقي المدن إقليم الراشدية وحافظت على مكانتها.[2] ومن مدن المغرب الأوسط أو العساكر وبها سرير الملك ولا ينتقل منها الملك إلى وهران إلى إذا اشتد الحر على عساكره يذهب بها إلى الساحل البحر. وهي مدينة عامرة الديار واسعة الأقطار.[3] ومع تأسيس الدولة الرستمية في بداية القرن 10م انتزعت قبائل بني يفرن منطقة معسكر من مغراوة[4] وارتحل إليها أهل المعسكر من أصل تاهرت ويلل وشاطئ بني واليل ووهران وقصر الفلوس فعمرت وتمدنت وعظمت.[5]

اتخذ جوهر الصقلي القائد الفاطمي من الراشدية قاعدة للقضاء على ثورة زناتة ومنها أغار على قرية إفكان وخربها نهائيا، وظلت معسكر بعدها تحت نفوذ الشيعة على عهد عبيد الله الشيعي[6]

---

[1] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص 51.

[2] أ. عبيد بوداود، المرجع السابق، ص10.

[3] شرف عبد الحق، الجزائر في عيون الرحالة الجزائريين خلال القرن 19، رحلة المشرفي نموذجا، **ضمن المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر المخطوطات**، جامعة وهران، الجزائر، ع10- 2013، ص173

[4] عبد القادر قرمان، المرجع السابق، ص24.

[5] البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد المغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك مكتبة المتن بغداد، 1964، ص79.

[6] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص 51.

وبعدها بسط المرابطون نفوذهم بالمنطقة غير أن معسكر خلال هذا العهد لم تبرز ولم يعرف ماذا جرى لها من أحداث، ولم تكتس بعد ذلك الأهمية ولم تحظ باهتمام المؤرخين.[1] وفي عهد الدولة الزيانية اتخذ بنو زيان من معسكر قاعدة للإجلاب على بني توجين.

وقد زادت أهمية هذه المدينة خلال الحكم الزياني بحيث أصبحت السيطرة على معسكر أكثر من ضرورية لاحتلالها موقعا مهما على الطريق الرابط بين قلعة بني راشد وتلمسان[2] ومن ناحية أخرى فقد شهد إقليم الراشدية حركة اقتصادية مزدهرة ونتيجة لهذا الرخاء توجب على سكان مدينة معسكر والمناطق المجاورة للدولة الزيانية[3] حيث يقول حساني مختار في كتابه تاريخ الدولة الزيانية: "ومن بين الذين كانوا يدفعون الضرائب للدولة الزيانية سكان معسكر والنواحي المجاورة لها".[4]

وقد ظلت كدينة معسكر من أهم مدن الدولة الزيانية تمدها بالمال والرجال للدفاع عنها إلى أن انهارت وجاء بعدها العثمانيون.[5]

***معسكر في العهد العثماني:**

وفي مطلع القرن 16 اجتاح الإسبان منطقة معسكر فخربوا قرية الكرط ووصلوا حتى واد الطاغية وتوغلوا بداخل نسمط ونظرا لتنظيم المقاومة المحلية غادر الإسبان المنطقة عائدين إلى المرسى الكبير وفي عام 1517 عاود الإسبان اجتياح منطقة معسكر صحبة عميلهم أبو حمو الثالث وتمكنوا من قتل أول عامل تركي وضعه الأتراك على قلعة بني راشد وهو

[1] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص27.

[2] عدة بن داهة، المرجع نفسه، ص52.

[3] أوريندي الطيب، مرجع سابق، ص34.

[4] حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، منشورات الحضارة، (الأحوال الاقتصادية والثقافية)، طبعة 2009، ص111.

[5] عبيد بوداود، المرجع السابق، ص 11.

إسحاق بن يعقوب أخو عروج وذلك لتشديد الضغط على ناحية بني شقران.[1] أعلن بذلك بعدهم سكان معسكر طاعتهم للأتراك عن طريق شيخ المدينة الكبير أحمد بن يوسف الراشدي، وكلف بذلك بطرد الإسبان من مستغانم ووهران وعند تولي حسن بن خير الدين منصب بايلرباي الجزائر قسم الجزائر إلى 4 أقاليم.

منها يحمل اسم بايلك ويحكمها البايات من أصول تركية أو كرغلية بما فيها بايلك الغرب.[2] يمتد ساحل الإيالة الغربية على طول 170 كلم[2] ومن أهم مدنها الساحلية وهران ومستغانم والمرسى الكبير أما أهم المدن الداخلية فنذكر تلمسان ومعسكر ومازونة وتيارت[3] وتعززت مكانة معسكر بعد ان أصبحت عاصمة للإيالة الغربية بعد 1686 حيث ذكر المزاري في طلوع سعد السعود: "صارت العاصمة قلعة بني راشد ثم اتسعت لمعسكر ثم وهران ثم مستغانم ثم معسكر.[4]

وبعد أن عرفت المدينة فترة رقي وازدهار تراجعت بشكل كبير وفقدت مكانتها وانحطت وتقلص عمرانها وانخفض عدد سكانها وهجرها الطلبة والعلماء وذلك بفعل عدة أسباب منها انتشار الأوبئة والأمراض التي أودت بحياة الكثير من سكانها وتعرضها للعديد من عمليات التخريب والتدمير.[5]

***معسكر في عهد الاحتلال الفرنسي:**

بعد سقوط الجزائر على يد الجيش الاستعماري عام 1830 تزعم الأمير عبد القادر المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي واتخذ منها عاصمة لإمارته ومقر لقيادته العسكرية وبعد

---

[1] بكاري عبد القادر ،المرجع السابق ،ص 5.

[2] عبد القادر قرمان، المرجع السابق، ص 33.

[3] مهيرس مبروك، المرجع السابق، ص 18.

[4] االأغا ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانسا وفرنسا إلى أواخر ق 19، تح: يحيى بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، دط، ص271.

[5] أورندي الطيب، المرجع السابق، ص43.

مراسيم البيعة التي تمت مرتين ومن قلب هذه المدينة بدأ التحضير الجدي لإرساء قواعد أول دولة جزائرية حديثة فرضت نفسها للاعتراف بها[1] قبل ذلك لم تعد معسكر سوى مدينة تحتضن مجتمع فقير يتكون من المسلمين واليهود ومنازله مترهلة في أغلبها.[2]

تغير طابعها المعماري غداة الاستعمار الفرنسي الذي أحرقها ثم أعيد بناؤها على يد الجنرال لاموريسيير Lamoricière دون أن يحافظ على طابعها الأهلي المحلي كما كانت عليه سنة 1830[3] تعرضت بعدها المدينة لحملة من قبل الجنرال Clauzel كلوزيل يوم 1835/12/06، وغادر بعد 3 أيام وقد حطم أسوارها وحصونها وكل مؤسساتها.

ومن الظروف التي ساعدت على نقل مقر القيادة لمدينة معسكر أولا وجود الخطر الإسباني الصليبي في وهران ومكانة معسكر الاستراتيجية وتوسطها الغرب الجزائري، لقد أتيحت فرصة الزعامة لهذه المدينة مرتين.[4] حيث اتخذها بايات الأتراك عاصمة لهم منذ القديم، ثم جعلها عبد القادر عاصمته.[5]

تعرضت معسكر لأطماع مغربية على عهد السلطان مولاي إسماعيل بعد زحفه على وهران ومكان لسلطان المغرب أن يغزو معسكر لولا تواطؤ قبيلة الحشم[6] ومساعدتها لهم واتخذوا من هذه المدينة قاعدة لهم للتوسع نحو الشرق.[7] قاومت جيوش بايلك الغرب المد

---

[1] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص57.

[2] أوريندي الطيب، المرجع السابق، ص 43.

[3] جاكر لحسن، الحركة الوطنية في معسكر 1930- 1954، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، سنة 2009، ص53.

[4] طاعة سعد، الدور العلمي لزوايا ومدارس ومساجد معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، **ضمن مجلة البحوث والدراسات التاريخية**، مج 5، ع10، ديسمبر 2019، جامعة معسكر، الجزائر، ص31.

[5] أديب حرب، التاريخ العسكري والسياسي للأمير عبد القادر، دار الرائد للكتاب، د ط، دس، ص213.

[6] الحشم: مأخوذة من الحشمة وهي الحياء، أو الغضب، وهو شأن هذه القبيلة حسب ما هو مشهور. انضموا إلى بني زيان وكانوا يسمون آنذاك بني راشد، ينظر: الطيب بن مختار الغريسي، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، بلهاشمي بن بكار، ص330

[7] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص35.

المغربي في هذه الناحية بعنف وتمكنوا من رد الغزاة ومنها برز دور المدينة القيادي خلال العهد العثماني وذلك لعدة عوامل من بينها الموضع الجيو استراتيجي الذي تتمتع به وتضامن سكانها وكراهيتهم الشديدة للاستعمار. [1]

بلغت المدينة أوج عظمتها أواخر العهد العثماني ونالت شهرة على مستوى بلاد المغرب العربي وتحولت إلى مدينة تتمتع بمختلف المرافق، حيث أن الباي محمد الكبير ارتقى بالمدينة إلى مصاف الحواضر الكبرى، حيث أصبحت في عهده مركزا سياسيا واقتصاديا وثقافيا هاما.[2]

حيث يقول حمدان خوجة بأنه: عندما كانت وهران في قبضة الإسبان كانت معسكر هي مقر الباي وكانت المقاطعة عندئذ غنية وشاع الترف في معسكر، يظهر ذلك من خلال منازلها وهندستها. إنها مدينة أكثر تقدما عن مدينة تلمسان.[3]

ودمر حي باب علي تدميرا شبه كامل، وأغار عليها الفرنسيون مرة ثانية بقيادة الجنرال بيجو في يوم 1841/05/30[4] ومنه دخلت معسكر نهائيا مرحلة الاستيطان من طرف القوات الفرنسية ونهاية مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1847 حيث أنجز الفرنسيون شوارع جديدة بها واستوطنها الأوربيون ولم تسلم من مختلف السياسات الفرنسية[5] التي حاولت طمس طمس هويتها العربية الإسلامية.

---

[1] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص55.

[2] أوريندي طيب، المرجع السابق، ص41.

[3] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP سلسلة التراث، ص59.

[4] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص58.

[5] بن عتو بلبروات، واقع الاحتلال الفرنسي لمدينة معسكر وأحوازها ما بين (1835- 1842) ضمن كتاب المجتمع والتاريخ، ص211.

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية في معسكر ما بين 1830- 1962 م

أولا: تفاعل الأبعاد السكانية والعمرانية في معسكر

1: التركيبة السكانية في المنطقة.

2: تطور العمران في المنطقة

ثانيا: مظاهر الحياة الاجتماعية في معسكر

1. تقاليد وعادات أهل معسكر

2. الحياة الاقتصادية

3. الوضع الصحي

عرفت الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1830- 1962) تحولات عميقة ومعقدة، فرضتها طبيعة السياسة الاستعمارية التي لم تكتف بالسيطرة على الأرض بل امتدت لتستهدف الإنسان الجزائري في هويته وقيمه وعاداته اليومية، فمنذ دخول الاستعمار، دخل المجتمع الجزائري في صراع صامت ومستمر للحفاظ على مقوماته الأساسية خاصة في ظل محاولات الإدماج والفرنسة وتجريد الجزائري من كل ما يربطه بأصول دينية وثقافية، تأثرت بنية المجتمع التقليدي الذي كان يرتكز على الأسرة والعلاقات القبلية والتضامن الاجتماعي بفعل السياسات التي اعتمدها الاحتلال لتفكيك هذه الروابط.

كما عمل على زرع ثقافة التبعية الغربية على حساب الأصالة والهوية الوطنية، وضمن هذا الإطار العام تكتسي دراسة الحياة الاجتماعية في المناطق الجزائرية المختلفة أهمية بالغة، إذ تسمح بالكشف عن كيفية تفاعل السكان المحليين مع هذا الواقع الاستعماري وتبين الخصوصية الاجتماعية التي ميزت كل منطقة، ومنذ بين هذه المناطق برزت منطقة معسكر باعتبارها إحدى الحواضر التاريخية المهمة التي شهدت حضورا اجتماعيا وثقافيا غنيا خلال الفترة الاستعمارية ما يجعل دراستها محطة ضرورية لفهم أعمق لطبيعة الحياة الاجتماعية في الجزائر آنذاك.

أولا: تفاعل الأبعاد السكانية والعمرانية في معسكر

1: التركيبة السكانية في المنطقة.

تعتبر دراسة أصل السكان من العناصر الأساسية لفهم التركيبة البشرية لأي منطقة فهي تعكس الخلفية التاريخية للمجتمع وتنوعه العرقي وقد شهدت منطقة معسكر عبر مختلف الحقب التاريخية استقرار عدة فئات سكانية جعل منها ملتقى لمزيج بشري متنوع وساهمت في تشكيل نسيج اجتماعي يجمع بين السكان الأصليين والمجموعات الوافدة وهذا يعد أحد أهم العوامل التي أثرت على الحياة الاجتماعية في المنطقة وقد شهدت فترة قبيل الاحتلال في المجتمع توافد العديد من الفئات و التي نذكر منها:

*** الأقلية التركية (أصحاب السلطة):**

تمثل قمة الهرم الاجتماعي وكانت هذه الفئة من أصول مختلفة السكان وكانت تجمعهم روابط الإسلام والولاء للخلافة العثمانية وأغلبهم ينحدرون من إقليم الأناضول وأنهم قد دخلوا الجزائر أساسا بطلب من أهلها،[1] يتشكل أغلبها من الموظفين السامين للولاية والجنود الأتراك –الإنكشارية– الذين كانوا يستقرون في حامية المدينة وسميت بالأقلية لقلة عددها بسبب حالة العزوبة التي كان يعيشها أغلب أفراد الجيش التركي العامل وعدم تبني أبنائهم الكراغلة واعتبارهم عنصرا هجينا لا يرتقي إلى مستوى الأصول التركية الخالصة.[2]

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، (1500– 1830) دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص140.

[2] قرمان عبد القادر ، المرجع السابق، ص13.

وهي تعتبر أول فئة يتشكل منها المجتمع المعسكري وهي تتألف معظمها من الجنود العثمانيين كما ذكرنا، وقد ظلت تتمتع بامتيازات ولم يكن لعامل الزمن أن يؤثر باستثناء بعض الألقاب المعسكرية.[1]

بلغ عدد هذه الفئة خمس سفارات في مدينة معسكر والتي كان لها دور مهم في حفظ الأمن وحماية البلاد وجباية الضرائب.[2] كانوا يجمعون من مختلف الإيالات العثمانية ويكونون غالبا من الفقراء والمهمشين في مواطنهم الأصلية يقوم أناس مختصين بإغرائهم ووعدهم بالحياة السعيدة في الجزائر.[3]

كانت هذه الفئة تتمتع بامتيازات كبيرة وتوفر كتابا لإدارة الحكومة العثمانية ورغم المدة التي قضاها العثمانيون بالجزائر، فإن تأثيرهم لم يتعد الأنظمة الإدارية ولم يتجاوز الألقاب العسكرية.[4]

وقد حافظت هذه الفئة على وضعها المتميز بفضل انغلاقها عن باقي السكان بالرغم من قلة عددها.[5] يعيش أغلبهم في عزلة عن المجتمع الأصلي ولم يكن عدد هذه الفئة مرتفعا بل كانت محصورة في مجموعة معينة ولهذا اعتبرت هذه الفئة ذات أصل أجنبي تمارس فقط وظيفتها السياسية وتحتل الوظائف الإدارية العالية والهامة في تسيير شؤون البلاد.[6]

---

[1] يوسفي يوسف، الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية لأبي راس الناصري المعسكري، ضبط وتعليق ودراسة، رسالة ماجستير في مشروع الخطاب الأدبي القديم جامعة السانية وهران، 2007-2008، ص50

[2] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص13.

[3] بحري أحمد، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، 2012-2013، ص63

[4] Bouje,(p) , Le problème kouloughi dans la regene d' Alger France, 1970, P87.

[5] د. بكاري عبد القادر ،المرجع السابق، ص06.

[6] فلاح سفيان، الأوبئة والأمراض في بايلك الغرب الجزائري من خلال المصادر المحلية والأوربية في القرن 18 وبداية ق 19، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2021- 2022، ص52.

أما العزلة التي ظلت تعيشها الأقلية التركية ترجع إلى رغبة الحاكم في المحافظة عليهم وميل غالبيتهم إلى التمسك بعاداتهم ولغتهم وأسلوب عيشهم ونمط حياتهم ولهذا السبب امتنع أغلب الموظفين عن الزواج من الأسر الحضرية بحيث يفقدون امتيازاتهم نتيجة مصاهرتهم للأهالي، وفي بعض الأحيان يتعرض أهل الزوجة الراغبين في خلق صلات مصاهرة إلى البطش وتطبيق عليهم العقوبات، كما أن بعضهم فضل عملية الإجهاض حتى لا تربطهم أي صلة مصاهرة، فضلا عن تعرض الكثير منهم إلى الأوبئة والأمراض التي كانت تظهر في السفن التي تنقل المجموعات المتطوعة والقادمة من الأناضول، ولو استقدام هذه الجماعة القليلة من الأتراك لانتهى بهم الأمر إلى التلاشي.[1]

وهناك سبب آخر يمكن ذكره ضمن أسباب العزلة وهو الصراع الذي حدث بين فرق الأوجاق وفئات الرايس والنزاع الذي اشتد بين العناصر التركية والكراغلة مما أدى إلى ابتعاد الأتراك عن باقي السكان وتفضيلهم لهذه السياسة مما ساعد على تقليل الاحتكاك الاجتماعي في مستويات الزعامة كما توجد طبقة من المدنيين يسمون الواحد منهم "خوجة" يعرفون القراءة والكتابة، ثم إن العراك بين الأتراك محرم بحيث يتعرض المتعاركون لأقصى أنواع العقوبات، وإذ كان الأتراك يراعون حسن السلوك ويحترمون التعاليم فإن التجربة أثبتت أن هذا لا يمنعهم من المجون أحيانا فإن الحكومة كانت سمح لفتح الحانات التي يديرها اليهود لتسلية الشبان الأتراك وقد عرفت شوارع باسمهم مثل: زنقة اليهود، وزنقة العبيد وغيرها من الخمارات التي كانت معروفة بمعسكر آنذاك.[2] والواقع أن الحياة المفروضة عليهم صعبة جدا فكثيرا منهم ليست لهم وظائف تدر عليهم المال واغلبهم يفرون من هذه الحياة ومن جهة

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1984، ص93.

[2] وليام شارل، قنصل أمريكا في الجزائر، (1816- 1824) تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص54.

أخرى فإن هذه الأوضاع الخاصة أصبحت تؤثر على علاقتهم مع السكان فتتصف بالروح العدائية والنفور المتبادل.[1]

حيث جعل هذا السكان المحليين (الجزائريين) ينفرون منهم ويعتبرونهم منبوذين بسبب أنهم كانوا يظنون أنفسهم أفضل منهم،[2] وكانوا ينظرون إليهم نظرة الاستعلاء واحتقار وازدراء وكانت الرشوة وجمع الأموال هي أساس العلاقات فيما بينهم وبين السكان.[3]

*** الكراغلة:**

وبعد عدة أجيال من الوجود العثماني في الجزائر ظهرت فئة جديدة من المولودين العثمانيين من أمهات جزائريات وكان أبناء هذه الفئة يطمحون بالميلاد واللغة والانتماء العائلي والصعود إلى المرتبة الأولى في المجتمع،[4] حيث احتلت هذه الأخيرة المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي للمجتمع المعسكري والتي تكونت نتيجة التزاوج بين الجند الانكشاري ونساء البلاد.[5]

ومما ساعد الكراغلة في احتلال المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي هي صلتهم بالأتراك وعلاقتهم الخاصة بالأهالي فأصبحوا بعد فترة وجيزة من تواجدهم يؤلفون طبقة وسطى ميسورة الحال تمارس التجارة وتشتغل بالمهن وتستثمر الملكيات الزراعية وفي بعض الأحيان تقوم بوظائف إدارية متوسطة الأهمية.[6] توزع الكراغلة في معسكر عبر الأحياء التالية: حي بابا علي، حي العرقوب إسماعيل، حي الباب الشرقي، حي العين البيضاء، حي سيدي علي

---

[1] بوركبة محمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار للشيخ أبي راس الناصري المعسكري دراسة وتحقيق، جامعة وهران، 2007-2008، ص35.

[2] فلاح سفيان، المرجع السابق، ص53

[3] أبو القاسم سعد الله، ج 1 ،المرجع السابق، ص153.

[4] أبو القاسم سعد الله، ج1 ،المرجع السابق، ص155.

[5] يوسفي يوسف، المرجع السابق، ص50.

[6] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص95.

محمد والحي المركزي في مدينة معسكر القديمة.[1] ورغم ترفع هذه الطبقة عن الجزائريين إلا أنها عجزت عن الاندماج في الطبقة التركية الأولى بسبب محاولاتهم لمنافسة والوقوف في وجه الأتراك للحصول على مناصب عليا ونيل الامتيازات التي كانوا يطمحون لها مما تسبب لهم في عداء العناصر التركية وتصدت لهم فرق الجيش الانكشاري في العديد من المناطق وهذا ما اضطرهم بعد ذلك للانزواء رغم أنهم كانوا يشكلون نصف الطبقات الأجنبية للمجتمع،[2] ظلت العلاقة بين العثمانيين والكراغلة متوترة ومضطربة لمدة 15 سنة حيث أبعدوا عن كل وظيفة حساسة في جهاز الدولة لمدة نصف قرن إلى غاية إحداث القطيعة بين العنصرين.[3]

رغم المحاولات المتعددة من بعض الحكام في وضع حد لهذا العداء وإزالة هذه القطيعة لكن كان ذلك دون جدوى. وما يؤكد توتر هذه العلاقة هو كونهم في ضيق من الحال حيث أن في عهد الباي محمد الكبير باشا سنت قوانين تحد من وضعية الكراغلة وتنص على حرمانهم من الالتحاق بالجيش مع البقاء على العناصر التي التحقت بالجيش قبل هذه الفترة.

ومع مرور الوقت لم يجد الأتراك بدا من السماح لبعض الكراغلة من تولي بعض المناصب المهمة على مستوى المنطقة.[4] كما أفردوا لهم دفاتر وسجلات خاصة بهم وعملوا على تكوين فرقة خاصة بهم وحتى لا يزاحموا الأتراك في امتيازاتهم أنقصت أجرة الجنود الكراغلة رغم تزايد شوكتهم في بداية الاحتلال إلا أنهم لم يقوموا بدور المنوط بهم باعتبارهم طبقة وسطى بين الحاكم والمحكوم بل اكتفوا بتنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم وتنشيط تجارتهم وبذلك فشلوا في إسماع صوتهم وإيصال طموحاتهم إلى الحاكم.[5]

---

[1] فلاح سفيان، المرجع السابق، ص53.

[2] بكاري عبد القادر،المرجع السابق،ص06.

[3] يوسفي يوسف، المرجع السابق، ص51.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص96.

[5] بوركبة محمد، المرجع السابق، ص 37.

استمر الكراغلة في الاستفادة من هذه الوضعية المادية المتميزة، وزادت في بروز بعد تحول الأتراك إلى الاعتماد بشكل كبير عل المداخيل الضريبية بعد تقلص المداخيل البحرية، فقد أصبحوا قوة داعمة ضرورية يجنون منها منافع كبيرة.[1]

وبعد غزو الفرنسيين الجزائر توقفت أجور هؤلاء الكراغلة، وضاع الضمان المتمثل في الحكومة التركية بالنسبة لكل من كان مقرضا لهؤلاء الرجال ذلك أن الفرنسيين لم يكونوا يدفعون الأجور لهؤلاء الكراغلة.[2]

***السكان الأصليين: (المعسكريين)**

كان المجتمع الجزائري مجتمع قبلي كبقية الشعوب العربية وكانت القبيلة هي النواة الأساسية التي تكون المجتمع والقبيلة في معسكر والجزائر بصفة عامة مشكلة من مجموعة كبيرة من العائلات تحكمها مجموعة من التنظيمات الاجتماعية الخاصة وقد ميزت فرنسا هذا التكوين الاجتماعي الخاص وسعت بذلك إلى تحطيم منظومة الريف والبدو.[3]

هم أصحاب الأرض ويشكلون معظم سكان معسكر ودوائرها وسكنوا مختلف أحياء معسكر بالإضافة إلى سكان الأرياف، عانوا من الفقر كبقية الجزائريين ومن مظاهر التمييز التي عرفها المعسكريين أنهم كانوا يعاملون معاملة لا تليق بهم في ظل قانون الأهالي الجائر وفرض عليهم كذلك حضر التجول، عانوا من العنصرية بكل أنواعها.[4] بالإضافة للعنصرية عرفت معسكر الفقر والحرمان وأمام سقوطها عجزت تركيبة المجتمع عن الصمود،[5] مثل سكان الريف فغالبية سكان معسكر كانوا يعيشون في قبائل متناثرة وبما أن اقتصاد الجزائر

---

[1] بحري أحمد، المرجع السابق، ص 71.

[2] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص118.

[3] بختاوي خديجة، التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسة في عمالة وهران، (1870- 1939)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه جامعة وهران، 2011- 2012، ص276.

[4] جاكر لحسن، الحركة الوطنية ... ،المرجع السابق، ص51.

[5] نفسه ، ص52.

كان يعتمد على الزراعة بشكل كبير يشهد فيما بعد الريف المعسكر تراكما رأسماليا جراء استثمارها للأراضي الفلاحية[1] ومن بين أهم قبائل معسكر نذكر قبيلة "الحشم": التي انقسمت إلى قسمين: حشم شراقة وحشم غرابة.

قدرت أراضي حشم الشراقة 78783 هكتار، تسكن في الجزء الغربي من سهل غريس وشرق معسكر، أما حشم الغرابة فتسكن في الجزء الغربي من سهل غريس وغرب معسكر.

ثانيا قبيلة بني شقران وتشمل المنطقة الجبلية الممتدة بين وادي الحمام غربا وهبرة في الشمال.[2]

***الفئات المحلية التي سكنت المنطقة:**

عرفت المنطقة أيضا توافد للعديد من فئات السكان المحليين الذين ساهموا في تشكيل النسيج السكاني للمنطقة ومنهم:

الحضر: وهي الفئة التي تشمل سكان المدن في مقابل سكان البادية وهي تضم العلماء والتجار وأصحاب الحرف والصنائع والكتاب والإداريين ومن الخطأ الشائع إطلاق أهل الحضر على مهاجري الأندلس، ذلك أن أشمل وصف لهم هو سكان المدن بمن في ذلك سكان المدن الأصليون والمهاجرون الأندلسيون كما يشمل كل من استوطن المدن من أهل البادية وتمدن بعد أن كان بدويا ولم يكن لهذه الفئة رغم دورها الاجتماعي الهام نفوذ ولا يصل تأثيرها إطلاقا لدرجة الحكم.[3]

وقد تميز أفراد هذه الفئة بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المميز واشتغلوا في المهن الصناعية والأعمال التجارية المختلفة ويتولون وظائف السلك القضائي

---

[1] صوافي الزهرة، الوضع الإقتصلدي في القطاع الوهراني مابين 1939و 1954، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر،جامعة أحمد بن بلة وهران2017 2018، ص38.

[2] بودربالة نور الدين، المرجع السابق، ص38.

[3] أبو القاسم سعد الله، ج 1 ،المرجع السابق، ص155.

والتعليمي وقد ظهر في هذه الطبقة الصناع المهرة والبحارة المغامرون والعلماء والفقهاء الأفاضل.[1]

هذا وقد اهتموا بتنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم واستثمار مزارعهم الواقعة بالقرب من المدن وهذا ما جعلهم يؤلفون برجوازية صغيرة التي عرفت بخضوعها للحاكم وقلة اهتمامها بالشؤون السياسية فرغم سيطرتهم على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في أغلب المدن فقد اقتصر نشاطها في المحافظة على امتيازاتها فقط[2]

نجد هذه الفئة انقسمت إلى 3 أقسام وهي: الأرستقراطية الحضرية والبرجوازية والدينية، تشكلت الطبقة الأرستقراطية من الفئات الحاكمة بمختلف انتماءاتها وكانت تتمتع بامتيازات هامة، أما الأرستقراطية الدينية فقد تمثلت في الأشراف والمرابطين والتي كانت تنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقفت إلى جانب الفئة المخزنية والباي في الجهاد ضد الإسبان وتمركزت بضواحي معسكر وإقليم بني راشد وغريس، أما البرجوازية الحضرية فتميزت بسيطرتها على ركائز الاقتصاد وحيازتهم لأملاك عقارية هامة ومناطق زراعية، وتوسعت هذه الممتلكات بتوسع الطبقة وانضمام فئات أخرى لها.[3] وكانت أساسا من أصحاب الممتلكات العقارية في المدن هؤلاء السكان كانوا يشرفون على تأجير أراضيهم وبيوتهم بالإضافة إلى مداخيل التجارة الصغيرة رغم أنهم كانوا يشكلون فئة اجتماعية ميسورة الحال، إلا أنهم لم يتمتعوا بنفس المكانة الاجتماعية مثل العائلات الدينية والبرجوازية، وكانت مصالحهم مرتبطة بالحكومة حيث كانوا يقدمون خدمات إدارية محلية[4] سكن المدينة أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة والذين أنشأوا الشركات الاستثمارية سواء في الزراعة أو الصناعة أو

[1] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص14.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص97.

[3] فلاح سفيان، المرجع السابق، ص55.

[4] Galissot L'Algerie précoloniale in C.E.R.M , 1968. P29.

التجارة وتوزعوا على أهم المدن الجزائرية أبرزها معسكر ومنهم من حول ثروته داخل المدن لشراء مساكن والحمامات فتكونت طبقة برجوازية صغيرة كما ذكرنا.[1]

يتشكل من عنصرين هامين اختلطا وهما الأندلسيون وسكان المدن الأصليون (المعسكريين)، وقد حافظ الأندلسيون على خصوصيتهم فقد كانوا يعيشون في جماعات حسب انتماءاتهم أملا في العودة إلى مواطنهم ومع مرور الوقت اندمجوا حتى لم يعد يفرقهم إلا بعض التسميات التي ورثوها عن أصولهم.[2]

وبالرغم من اعتبار أنفسهم في دار هجرة مؤقتة إلا أنهم كان لهم تأثير كبير في المجتمع الجزائري بحيث أفرغوا به كل ما جلبوه معهم من الأندلس وساعدوا في شيوع اللغة العربية أما فيما يخص السكان المحليين فتخص بالذكر جماعة الأشراف وهي فئة قليلة العدد، ونظرا لمكناتهم الدينية بين باقي الحضر حظوا باحترام وتقدير كبيرين فخصهم بعض الحكام بالمساعدات.[3]

ومن بين الأسر العريقة التي كانت تعيش في معسكر نذكر عائلة ابن سحنون الراشدي التي كانت تشتغل بالتجارة والتعليم وهم أصحاب أملاك في المدينة بالإضافة إلى مستواهم الثقافي المميز جعل منهم برجوازية محلية أعطاهم مكانة ونفوذ في المجتمع،[4] وعليه فإن هذه الطبقة وبالرغم من كثرة عددها وتحكمها في مجالات متعددة واكتسابها لموارد الثروات وحصولها على أرباح وفيرة إلا أنها لم تقم بالدور الاجتماعي على أكمل وجه وذلك بسبب تعرضها لنظام الاحتكار وتخوف الأتراك والكراغلة من هذه الفئة.[5]

***البرانية (الدخلاء):**

[1] صوافي الزهرة، المرجع السابق، ص40.
[2] بحري أحمد، المرجع السابق، ص72.
[3] يوسفي يوسف، المرجع السابق، ص51.
[4] بكاري عبد القادر ، المرجع السابق، ص08.
[5] بوركبة محمد، المرجع السابق، ص39.

وهي تتألف من المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى للإقامة والعمل، وقد فرض عليها الوضع الاجتماعي ونوعية النشاط الاقتصادي في المدن أن تنتظم حسب أصولها الجهوية ومواطنها الأولى، وقد اختصت كل مجموعة بمهام وأعمال تقوم بها.[1]

أطلقت تسمية البرانية على سكان المناطق الداخلية وليس على الوافدين من المدن الكبرى، وهذا ما بين لنا نظرة ساكن المدينة البدوي، تم تأطيرهم في جماعات يشرف عليها أمين يدير شؤونهم[2] والبرانية بالعامية الجزائرية والبراني ينتسب إلى البر لأنه قدم من خارج أسوار المدينة ويغيب هذا المصطلح عن الوثائق والمصادر المحلية وقد تكونت هذه الشريحة في معسكر نتيجة توافد العديد من الفئات الذين قدموا المدينة.[3]

يصطلح عليهم كذلك بالوافدين أو السكان المؤقتين وهي العناصر الوافدة من مختلف الأقاليم المجاورة بغرض البحث عن عمل لكسب لقمة العيش.[4] وبسبب انتعاش وازدهار المدينة تسبب في النزوح الريفي بحثا عن العمل يعيش معظمهم في أكواخ خارج المدينة وهناك من كان يستأجر غرفا داخلها وكان أغلبهم يعيشون بمفردهم ما عدا القلة القليلة التي كانت تستقدم أسرها معها ولم يحاول هؤلاء الانصهار والدمج في المجتمع الحضري.[5]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص99.

[2] سعدون بخاخ، البرانية في مدينة الجزائر ما بين (1700- 1850)، جماعة البساكرة نموذجا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه تاريخ الحديث والمعاصر جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2022-2023، ص55.

[3] بن عتو بلبلورات ، المدينة والريف أواخر العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه جامعة وهران، 2007-2008، ص127.

[4] د. هشام بوبكر، د عياشي بلقاسم: جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية (دراسة سوسيو تاريخية للجماعات السكانية الحضرية المكونة للمجتمع الجزائري)، جامعة الجلفة، ع7، **مجلة آفاق للعلوم**، مارس 2017، ص 294.

[5] فلاح سفيان، المرجع السابق، ص55.

جاءت هذه الفئة إلى معسكر بغرض التجارة، حسب ما ذكره "حمدان بن عثمان خوجة"[1] كما يعرف عنهم احتكارهم العمل في الحمامات ومطاحن الحبوب وغيرها، أي القيام بالمهام الثانوية أو المكملة التي يرضى لغالبية المجموعة السكانية القيام بها، ويوكل إليهم كذلك عادة ذبح الحيوانات وبيع اللحوم، نقل البضائع ومنهم من يشتغل في دكاكين الفحم وغيرها.[2]

كان أفراد هذه الفئة بمختلف طوائفها –والتي سنذكر منها أهمها التي قطنت منطقة معسكر– تتميز بأوضاعها السيئة وظروفها الصعبة، فأغلب أفرادها كانوا يعيشون من دخل مهنهم المتواضعة والشاقة والقليلة المردود مثل العمل بمقالع الحجارة وغيرها كما ذكرنا، ولهذا كانوا عرضة للإصابة بأمراض معدية التي كانت تظهر أولا بينهم ثم تنتقل لكل السكان ونظرا للوضعية الاجتماعية الخاصة التي كانت عليها هذه الجماعة يمكن اعتبارها جماعة مؤقتة ذات صبغة عرقية أكثر مهنية تتحكم فيها الظروف الاقتصادية التي أرغمت الكثير على العودة إلى مواطنهم الأولى ففي بداية الاحتلال لم يبق في معسكر إلا القلة القليلة حسب إحصاء 1841.[3]

ومنه سنستعرض أهم الجماعات الوافدة لمدينة معسكر والتي أصبحت من الفئات المشكلة للمجتمع المعسكري:

1- الميزابيون:

ينتسب المزابيون إلى قبائل بربرية الأصل تسمى قبائل زناتة التي تسكن عددا من الواحات الواقعة بين الأغواط إلى حدود الصحراء الجزائرية، دينها الإسلام، كانوا يعيشون في منطقة طرد بشري ويعانون من العنصرية حيث كانت تنهب قوافلهم وهذا ما دفع بالكثير من

[1] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص59.

[2] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص 16.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص102.

الرجال الشباب إلى الاغتراب عن منطقتهم بعيدا عن أهلهم وذويهم قاصدين مدن تجارية وبحث عن العمل وهم أكثر الطوائف الاجتماعية تضامنا وتآزرا فيما بينهم.[1]

ينسب إليها سكان قرى وادي ميزاب ومناطق الشعابنة وورقلة والقرارة. وقد تميزت هذه الجماعة بتفانيها في العمل ونزاهتها وحرصها على إتقان العمل الموكل إليها،[2] وتعد التجارة من أبرز ما اشتهر به بنو ميزاب حيث يقول حمدان بن عثمان خوجة: "إن أهالي مدينة معسكر فلاحون ويمارسون التجارة مع بني ميزاب".[3]

ثم إن حركة هجرة بني ميزاب لها خصوصيتها ولا يمكن مقارنتها بباقي الهجرات فقد كانت هجرة منتظمة نظرا لارتباط حياة البلد ارتباطا شديدا بها، فمنطقة ميزاب بمدنها السبع هي منطقة فقيرة ولا توفر إمكانيات العيش لذا كانت مناطق طاردة، فجاؤوا إلى مدينة معسكر بغرض التجارة.[4]

2- الوصفان أو الزنوج:

هم عبارة عن أقليات، وما كان يميزهم هو أن عدد نساءهم أكبر أحيانا من عدد الذكور، يجلبون من السودان أو ضفاف نهر النيجر ليشتغلو في مختلف الأعمال في المدن الجزائرية للعائلات الميسورة، يعيش الزنوج الأحرار والذين غادروا عائلات ملاكهم تحت سلطة أمين يعرف بأمين الوصفان ولهذا الأمين نفس صلاحيات أمناء الطبقة الأخرى ومع بداية الاحتلال ومع تدهور الحالة وضعف اقتصادها جعل وجودهم شبه منعدم،[5] لكن ظلت بعض الأقليات تشكل المجتمع المعسكري.

---

[1] بن عتو بلبلورات، المرجع السابق، ص127.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 100.

[3] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 59.

[4] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص16.

[5] بحري أحمد، المرجع السابق، ص81.

وتتألف هذه الفئة من العبيد السود الذين استقدموا إلى معسكر عن طريق الواحات الصحراوية للعمل في المنازل في التنظيف والغسيل وكذلك الأنشطة الفلاحية والبناء والنسيج وصنع الحصير وغيرها.هؤلاء اشتغل أغلب بالأعمال المنزلية.[1]

***الأوروبيين:**

يرتبط دخولهم لمعسكر بالغزاة الفرنسيين الذين احتلوا المدينة بعد أن عبثوا بها وبمكانها وثرواتها سنة 1841 غير أن أعدادهم الأولى كانت قليلة ولم تزداد إلا بعد اكتشافهم الدور الزراعي لمنطقة معسكر الذي رافقه عملية الاستيطان التي سمحت باستقرار الكولون في سهل غريس ومدينة معسكر حتى أصبح عددهم كبير في المنطقة والملاحظ أن معظمهم من أصل فرنسي[2] في سنة 1848 ارتفع عدد السكان إلى 1900 نسمة من بينهم 1150 من أصل أوروبي وبلغ عددهم –الأوربيين– 5243 واستقر عدد كبير من محاربي الجيش الفرنسي في المامونية حيث تحولت إلى مركز استيطاني وجعلوا منها قاعدة لتنظيم مختلف حملات الإبادة[3] توالت على المنطقة مختلف الهجرات الأوربية فخلال هذه الفترة استطاعت فرنسا إنشاء العديد من المستوطنات وتجهيز هياكل قاعدية لتسهيل عملية ربط القرى بالمناطق الاستيطانية البعيدة عن المدن، ولأجل هذا استقبلت معسكر عدد لا بأس به من الأوربيون وعلى رأسهم الفرنسيون والأسباب بكثرة مقارنة بالأقليات الأخرى[4] وبالنسبة لمكانتهم الاجتماعية فإنهم احتلوا أرقى الوظائف السياسية والإدارية وصاروا ملاكا لكبار الأراضي الزراعية،[5] وقد طبع تواجد هذا العنصر القوي لسكان معسكر والقطاع الوهراني عموما

[1] هشام بوبكر، عياشي بلقاسم، المرجع السابق، ص295.
[2] جاكر لحسن، الحركة الوطنية ...، المرجع السابق، ص56.
[3] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص29.
[4] صوافي الزهرة، المرجع السابق، ص35
[5] جاكر لحسن، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص56.

بعاداته وثقافاته وأثر في ذهنياتهم ونفسياتهم ووجه سلوكهم الاجتماعي في فترات هامة من تاريخ المنطقة.[1]

***الجالية اليهودية:**

يرجع تواجدهم في معسكر إلى قرون ماضية تقاسموا مع الجزائريين اللغة العربية والكثير من التقاليد والعادات، كما حملوا أسماء وألقاب عربية،[2] قدم اليهود الأوائل إلى الجزائر فارين من التطهير العرقي الحاصل في الأندلس. وقد كانت بدايتهم متواضعة فقد سمح لهم بالمقام مقابل دفع جزية على أن يحق لهم فتح عدد محدود من المحلات الحرفية فقط في الأسواق التي يسكنوها ولم يكن لهم أي أثر أو تأثير لكن سرعان ما أصبح لديهم تأثير هام وبالغ بحيث يعتبر التطور السريع لدور الأقلية اليهودية في الجزائر من الصفحات الغامضة وغير المعروفة.[3]

ومما ساعد في اندماج اليهود هو تميزهم بملابسهم ذات اللون القاتم وامتناعهم عن ركوب الخيل وحمل السلاح والتزامهم بدفع الضريبة أو الجزية الذي يتولى مقدم اليهود تقديمها نيابة عن باقي أفراد جماعته لكن أواخر العهد العثماني طرأ عليها تغير عميق حيث أصبحوا يعيشون في عزلة عن باقي السكان ويقتصرون في علاقتهم على ما تمليه مصالحهم الخاصة للحصول على الثورة والنفوذ، هذا ما جعل الأهالي يعتبرونهم أجانب عن البلاد واتهموهم بالتواطؤ مع الأعداء،[4] هذا ما جعلهم يهاجرون ويكونون في اتصال دائم مع الأجانب.[5]

---

[1] إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني ما بين 1850و 1919،دراسة حول المجتمع الجزائري الثقافة و الهوية الوطنية **منشورات دار الاديب**،قسم التاريخ جامعة وهران،2005 ، ص13.

[2] جاكر لحسن، الحركة الوطنية في معسكر، المرجع السابق، ص54.

[3] بحري احمد، المرجع السابق، ص86.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص104.

[5] يوسفي يوسف، المرجع السابق، ص52.

شكلت إحدى العناصر المهمة في المجتمع المعسكري وقد تكونت من 3 مجموعات هي الأخرى، وهي المستقرة بالبلاد منذ القدم أو من أتى إليها من إسبانيا أو الطائفة اليهودية ذات الأصل الأندلسي حيث أقاموا في معسكر بشكل كبير فقد بلغ عددها أواخر العهد العثماني 7000 نسمة.[1]

وكانت هذه الفئة من المجتمع تتحكم في زمام الأمور الإقتصادية و السياسية لما لها من نفوذ واسع في بقاع العالم،[2] وعند تعرض الجزائر للغزو الفرنسي أصبحوا عونا لقادة جيش الاحتلال وهذا ما أكده أحد الكتاب اليهود عند تعرضه لموقفهم بقوله: أن ميول اليهود كانت إلى جانب الجيوش الغازية وهذا ما جعلهم يدفعون الثمن من دمهم في السنوات الأولى من الاحتلال.[3]

وبعد مجيء الاحتلال جعلهم يتمتعون بصفة المواطنة الفرنسية بموجب قرار كريميو 7 أكتوبر 1870 وعلى الرغم من هذا القرار فإن اليهود قد اصطدموا بمعارضة شديدة من الفرنسيين في معسكر حيث اندلعت اضطرابات خطيرة وحملة مناهضة لهم، وكان الفرنسيون يتخوفون من اليهود خاصة في المجال الإنتخابي. وكانوا يمثلون أقلية بين سكان معسكر لكن مع ذلك فإنهم يتمتعون بنفس حقوق وواجبات الفرنسيين وأنشأوا أحياء لهم بجانب الأحياء الفرنسية وكنائس مثل كنيسة سان بيير بوسط المدينة وجعلوا من مدينة معسكر تحتل المرتبة الرابعة في عمالة وهران من حيث عددهم وهذا الجدول يوضح لنا تطور الجالية اليهودية في معسكر عبر مختلف السنوات الاحتلال:[4]

[1] فلاح سفيان، المرجع السابق، ص57.

[2] بوركبة محمد، المرجع السابق، ص 41.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص104.

[4] جاكر لحسن،الحركة الوطنية ....، المرجع السابق، ص55.

السنة	عدد اليهود
1843	32
1881	691
1901	384
1921	81
1931	3475
1941	1958

1

وفي هذا الصدد تشير وثيقة Le Réveil de Mascara الصادرة بتاريخ 13 ديسمبر 1898 إلى حضور الجالية اليهودية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمدينة معسكر خلال الفترة الاستعمارية تمثل هذا الحضور في النزاعات العقارية المتعلقة بالعائلات اليهودية مثل عائلة سالري Salery فريكتوس Fructus التي كانت عائلات معروفة ضمن الجاليات اليهودية وتبرز هذه الإشارات الدور الفعال لليهود في الحياة الاجتماعية وهذا يعكس اندماجهم مع النظام الاستعماري.[2]

اشتغلوا ببعض الصنائع الدقيقة والثمينة كالخياطة والصياغة واختبار جودة الذهب والفضة بالإضافة إلى العطارة ونحوها، وقد وصلوا إلى درجة كبيرة من النفوذ وكان لهم أصدقاء من أهل السلطة في أعلى المستويات.[3]

ارتفع عددهم أثناء الحرب العالمية الثانية ليصبح 120.000 يهودي استقر عدد كبير منهم في معسكر وكونوا ثروة مالية معتبرة فاحتكروا المناصب العليا في مختلف المجالات،[4]

[1] جاكر لحسن ، الحركة الوطنية ...المرجع السابق ،ص55.

[2] Le réveil de Mascara,13 Décembre 1898.

[3] أبو القاسم سعد الله، ج 1 ،المرجع السابق، ص 152.

[4] صوافي الزهرة، المرجع السابق، ص37.

ورغم أن عددهم كان يمثل الأقلية مقارنة بسكان معسكر، صنفوا ضمن الأهالي في بداية الاحتلال إلى بعدها صارت أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية أحسن من الجزائريين (المسلمين).[1]

وعليه تعد هذه الفئة هي فئة مخضرمة بحكم معايشتها لفترتين منفصلتين في تاريخ الجزائر إذ شهدت مرحلة ما قبل الاحتلال الفرنسي وما رفقها من أوضاع اجتماعية واقتصادية –رغم تواجدها في الجزائر يعود إلى فترة أقدم من ذلك– كما عاصرت فترة الاحتلال وما حملته من تحولات عميقة مست مختلف جوانب الحياة ويُعزى تميز هذه الفئة إلى الدور الذي لعبته في المجتمع المحلي حيث كانت جزءا من النسيج الاجتماعي للمدينة خاصة بعد استفادتها من السياسة الفرنسية الرامية إلى استمالتهم.

وخلال الحقبة الاستعمارية أصبحت مدينة معسكر تتشكل من 3 فئات وهي اليهود وكما ذكرنا فئة الجزائريون (الأهالي) والأوربيون، شهد عدد السكان تراجعا ملحوظا خلال الفترة التي تلت سقوط معسكر (1841) حيث انخفض من 10000 آلاف نسمة سنة 1830 إلى 6100 نسمة 1854 وذلك يرجع إلى هجرة علمائها وأهلها.[2] وأيضا تعرضهم لعملية الإبادة والتشريد إثر حملة كلوزيل على المدينة (1835) وبعد ترتيب المدينة من قبل المحتل الفرنسي، تباين عدد السكان بين ارتفاع وانخفاض نتيجة لمجموعة من العوامل ففي سنة 1845 بلغ عدد سكانها 4512 وفي سنة 1861 أصبحت تأوي ما يقدر بـ 1948 فإن العدد الإجمالي للسكان بلغ 26077 وبهذا يكون عدد السكان قد تضاعف في المنطقة خلال 65 سنة بـ 3 مرات عما كان عليه في 1883 وللعلم فإن دائرة معسكر خلال سنة 1948.

[1] جاكر لحسن، الحركة الوطنية ... ،المرجع السابق، ص55.

[2] نفسه، ص50.

كانت لها مساحة تقدر بـ 1.186.067 هكتار، يتوزعون على 15 بلدية كاملة الصلاحية و3 بلديات مختلطة.[1]

2- تطور العمران في المدينة :

يعد العمران أحد العناصر الأساسية التي تعكس تطور المجتمعات عبر الزمن حيث يرتبط بالتحولات الاجتماعية والثقافية للمنطقة ويشكل النمط العمراني جزءا من الهوية المحلية لكل مجتمع إذ يعكس مدى تأثر السكان بمختلف الظروف التي مر بها، ثم إن دراسة العمران لا تقتصر فقط على البنى التحتية والمباني المشيدة بل تتعدى إلى توضيح صورة متكاملة عن حياة سكان المنطقة، وعليه فإن هذه الدراسة تسمح لنا بفهم كيفية انعكاس العادات والتقاليد للمجتمع من خلال منازلهم وتنظيم الأحياء.

وعند البحث في تأسيس مدينة معسكر(انظر الملحق رقم 01) ومعرفة نسيجها العمراني لا نجد هناك مصدر يحدد لنا معالمها الأولى إلا بعض الإشارات السطحية، ثم بدأت تظهر معالم هذه المدينة مع مرور الوقت خاصة في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير الذي كان أعظمهم اهتماما بعمران مدينة معسكر فبنى فيها المساجد والحمامات والآثار العظيمة وأجرى إليها المياه وأدار لها السور المشهور بالإتقان والأحكام وعليه فإن النسيج العمراني للمدينة خضع لشروط خطتها وفقا لنمط المدن الإسلامية المعروفة.[2] كان بناؤها قديما من أجصاص_ أي القصب- حتى استحسن الباي مصطفى بوشلاغم بناءها.[3]

[1] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص35.

[2] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص82.

[3] بوكعبر تقي الدين، المجموع الميسر لمدوان الأنساب والتراجم لفضاء الراشدية معسكر، دار السادة المالكية، 2021، المدينة، ص196.

شهدت معسكر في عهده تطورا كبيرا في جميع الجمالات خاصة بمآثرها العمرانية[1] حيث يقول: "حمدان خوجة: أنها كانت غنية وشاع فيها الترف ويظهر ذلك من خلال منازلها وهندستها..." [2]تميزت هذه المدينة بطرازها المعماري المتجسد في منازل الأثرياء التي بلغت 800 منزل تعود معظمهم لكبار الملاك. [3]

بنيت هذه المدينة في ق 11م، ثم بقدوم الأتراك أحيطت بسور من جهاتها الخمس وجعلوا لها 6 أبواب تغلق ليلا وتفتح نهارا وبقيت هذه الأسوار طيلة الاستعمار الفرنسي وبعض منها ما يزال قائما لحد الساعة.[4]

وعندما دخل الفرنسيون مدينة معسكر تعرضت لعملية الإبادة والهدم من إثر حملة كلوزيل في 1835/12/06. وبأمر من السلطات الفرنسية صدر قانون يقضي ببناء كنيسة (سان بيار SAINT PIERRE المسيحية) على أنقاض مسجد بومعزة بجوار مسجد محمد بن عثمان الكبير.[5] أعاد بناء المدينة بعد تخريبها من طرف كلوزيل الجنرال لاموريسيير دون المحافظة على طابعها الأهلي المحلي كما كانت عليه قبل الاحتلال، ومن التغيرات التي طرأت على المدينة هو الاختفاء النهائي للحي الصغير وجمع بقية الأحياء على شكل حزام.[6] يحيط بالمدينة قبل تعرضها للحملة بسور مربع الشكل يجمع بين المدينة وضواحيها الثلاثة وفي كل زاوية برج يحمل مدفعا كما يتخللها بابان رئيسيان واحد غربا والآخر في الشرق وباب آخر للنجدة يؤدي إلى واد تودمان الذي يخترق المدينة، ويحيط بالمدينة بساتين وجنائن تمون السكان بالخضر والفواكه وقبائل غنية بأغنامها وثيرانها كما يصل المدينة خط مياه

---

[1] بلجوزي بوعبد الله، التحصينات الدفاعية في مدينة معسكر في العهد العثماني من خلال النصوص التاريخية والشواهد المادية، جامعة أبي بكر بلقايد، ص363.

[2] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص97.

[3] بودربالة نور الدين، المرجع السابق، ص70.

[4] بوكعبر تقي الدين، المرجع السابق، ص199.

[5] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص27.

[6] جاكر لحسن،الحركة الوطنية ...، المرجع السابق، ص48.

منبعها عين مهجورة.[1] أما مركزها فكان يتألف من المسجد والسوق القديم إضافة إلى الفندق الجديد حمام الأدهم ومقر البايلك والمسجد المركزي، وكانت تتألف من 5 أحياء: حي باب علي، حي العرقوب إسماعيل، حي الباب الشرقي، حي العين البيضاء وحي سيدي على محمد والحي المركزي هو مدينة معسكر القديمة والوادي الذي كان يخترقها هو وادي عين السلطان الذي كان يسقي المدينة وأحياءها.[2] وبعد عملية الترميم التي قامت بها السلطات الفرنسية كما ذكرنا أصبحت المدينة مقسمة لشطرين متميزين: المدينة الأولى: محاطة بالأسوار والحصينات. وبابا علي أكبر الأحياء الذي أصبح خارج عن السور.[3]

وبالإضافة إلى الأحياء القديمة والحي الأوربي الجديد (حي بابا علي) عرفت معسكر حيا جديدا وهو حي المحطة الذي واكب بناء محطة القطار في السنوات الأولى من القرن 20. وسمح للمدينة بالتوسع نحو الجنوب.[4] يشاهد الآن في المدينة نمطان عمرانيان قديم وآخر جديد ويلاحظ أن الأحياء القديمة كانت تخطط على هيئة أشكال مستطيلة حيث تشاهد الطرق المستقيمة من الأسفل للأعلى وتربط طرق فرعية في شكل توازي أعطى للحي طابع البساطةوالجمال.[5]

[1] بن عتو بلبلورات، واقع الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص193.

[2] الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب، الجزائري خلال ق18، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993- 1994، ص130.

[3] عدة بن داهة، المرجع نفسه، ص34.

[4] جاكر لحسن، المرجع السابق، ص49.

[5] **الجيلالي محمد،المرجع السابق،ص108.**

ثانيا: مظاهر الحياة الاجتماعية في معسكر

1- الحرف والصناعات التقليدية:

ما يعرف عن أهل مدينة معسكر قديما أنهم كانوا على قلب رجل واحد، يعيشون في مستوى واحد. التعاون والتآزر والتراحم شيمتهم، فلما تفرغ البيوت من تبادل الزيارات، الجار يطعم جاره، ويبعث له بهدايا من الطعام كانت تسمى بلغة عامة الشعب (تضيفة) ذواقة، وهي في الأصل طعام طيب وجديد تصنعه الأسر ولا تتلذذ بطعمه إلا إذا تذوقه الجيران، وهكذا تتبادل العائلات ما يتم صنعه من أنواع الأطعمة وهي تقاليد تعكس صفة الكرم التي عرف بها المسلم منذ القديم.[1]

أما عن الحرف في مدينة معسكر فقد كانت نشاطا اقتصاديا في غاية الأهمية، فمدينة معسكر من دون أي شك لم تشد عن هذه القاعدة فقد كانت مهمة تعليم الحرف فيها مثلها مثل ما في بقية مدن المغرب الأوسط من اختصاص أصحاب الورشات أو المحلات، نعني المعلمون الذي كانوا يعملون على تكوين الحرفيين وتعليمهم آليات الصنعة، حيث يلتحق المبتدئ عندما يقبله المعلم بالورشة، ويبقى تحت التمرين[2] مدة معينة تمكنه من إجادة الحرفة وإتقانها وتحمل مشاق التدريب، وخلال فترة التمرن كان المبتدئ يتقاضى أجرا شهريا حسب درجة حذقه و مهارته، إلى أن يبلغ مبلغ الصانع الحاذق فيستقل بحرفته في ورشة جديدة، أو يعمل أجيرا في ورشة معلمه.[3]

تعتبر الأنشطة الحرفية من ابرز الأنشطة التي مارسها المجتمع الجزائري، كونها مكملة للنشاط الزراعي، فكانت الصناعة الحرفية تستمد خاصتها الأولية في أساسها من الإنتاج

[1] محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 104.
[2] العربي لخضر، المرجع السابق، ص 104.
[3] العربي لخضر، المرجع السابق، ص: 104.

الزراعي والحيواني، بحيث كلما تنوعت المواد الخام كلما تنوع الإنتاج الصناعي، وكانت مختلف الحرف منتشرة في كل من المدينة والريف، حيث أن معظم الأسر الريفية تنتج مختلف حاجاته الضرورية بنفسها ولم تطن الحرف مقصورة فقط على الرجال بل كان للنساء دور كبير في إنتاج بعض المصنوعات، إذ كانت الأنشطة الحرفية مصدر رزق للكثير منهم.[1]

والجدير بالذكر أن الصناعات المذكورة لاحقا لم تكن متطورة بدرجة كبيرة بحيث يمكن وصفها بالميكانيكية أو الآلية، إذ ظلت تعتمد على العمل اليدوي، وقد لعبت الورشات الصناعية والحرفية دورا محوريا في تلبية احتياجات الإنسان الجزائري، حيث وفرت له الملابس والمأكل والمسكن وأدوات العمل وحتى الأسلحة، وذلك بدرجات متفاوتة من الإتقان، وقد تميز "بايلك الغرب"[2] بانتشار العديد من الصناعات والحرف التقليدية التي شكلت جزءا أساسيا من النشاط الاقتصادي آنذاك من أبرزها:

أ- حرفة النسيج:

لقد كانت الصناعة النسيجية أكثر توسعا وانتشارا في بايلك الغرب نظرا لوفرة المواد الخام مثل: الصوف والحرير والكتان فكانت المدن والقرى تنتج الزرابي والحياك، والبرانيس والأغطية والشواشي، وكانت الشواشي الصوفية تلون بصباغ القرمزي في معسكر وتصدر إلى المشرق.[3]

---

[1] دغموش كاميلية، السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري (1792- 1830)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة زهران2، 2020، ص 140.

[2] بايلك الغرب: إن ما يسمى بايلك الغرب هو ما يعادل بالتقريب القطاع الوهراني حاليا، أصبحت مازونة عاصمة للبايلك، ثم انتقل مقر الباي إلى معسكر ولعل أسباب اختيار هذه المدينة كعاصمة لمقاطعة الغرب يرجع بالدرجة الأولى إلى الأهمية الاستراتيجية، لأنها تتحكم في المسالك التجارية وتحيط بها قبائل بني راشد، للمزيد. أنظر: الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص16-17.

[3] دغموش كاميلية، المرجع السابق، ص 140

واختصت معسكر بالاعتماد على الصوف المحلية لصناعة الأغطية والجلابيب والأحزمة، واشتهرت معسكر هي الأخرى بصناعة البرانيس السوداء، ذات اللون الطبيعي والتي كانت تستعمل في كل أنحاء البلاد وتصدر إلى مصر وتركيا.[1]

ومعسكر محل صناعة البرانيس السمراء الشهيرة باسم البرانس الغريسي أو برانس خيدرس[2]

وما يلاحظ أن الصناعة النسيجية بمختلف أنواعها لم تكن حكرا على جماعة أو منطقة معينة، بل كانت تمارس في كل أنحاء البلاد، فالمجتمع الجزائري، ولا سيما الريفي كان ينسج ملابسه وأفرشته واغطيته، وغالبا ما طبعت هذه الصناعة بالصبغة العائلية أي العمل العائلي، وكانت أكثرها جودة تلك المغزولة بدرجة رقيقة والتي تستعمل في صنع الحياك والألبسة الفاخرة والغليظة في الأغطية والزرابي.[3]

ب-صناعة الجلود:

كانت هذه الصناعة رائجة في المدن والبوادي، وتستعمل الجلود المعالجة والمتوفرة محليا لصناعة السروج، والأحذية والصناديل، والجزدان (حافظ النقود) حيث انتشرت هذه الصناعة في كل من مازونة، مستغانم ومعسكر.[4]

---

[1] دغموش كاميلية ،المرجع السابق، ص 141.

[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 240.

[3] دغموش كاميلية، المرجع السابق ، ص142.

[4] قوادري نسيمة، قوادري فوزية، أوضاع البايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير (1779- 1799م) (1194- 1213هـ)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص: تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، سنة 2018، ص 74.

ج- صناعة التطريز:

لقد عرفت العديد من الولايات من بينها معسكر، الطرز على الجلود والأقمشة القطنية والحريرية، وكان يستعمل للطرز خيوط الذهب والفضة والخطوط الحريرية، ومن بين الأدوات التي كانت تزخرف بالطرز الأحذية وأكياس النقود والطرابيش والألبسة الفاخرة مثل: القفاطن والكراكو.[1]

وأيضا كانت حرفة الطرز على السروج، وقد مثلت هذه الأخيرة أدوات فنية رائعة حيث كانت تقدر بمبالغ عالية.[2]

انحصرت الصناعة التقليدية في أوساط الأهالي، وذلك بسبب نقص الأموال وانعدام الوسائل الحديثة التي كانت حكرا على الأوربيين الذيم سيطروا على كل الصناعات السالفة الذكر، ورأس المال الذي أخذ يتراكم لديهم.[3]

إن تدهور الصناعة التقليدية لم يقتصر على معسكر، بل شمل مناطق ومراكز في الجزائر مثل: المدية، البليدة، مازونة، ندرومة التي شهدت فيها الصناعة النسيجية هي الأخرى تراجعا.[4]

د- فرض الضرائب على الصناع والحرفيين:

فرضت السلطة المركزية لمدينة معسكر حزمة من الضرائب على الحرفيين والصناع الفاريين والمتنقلين، الذين كانوا يدفعون المغارم عادة في محلاتهم عند بلوغ أجل جمع الضريبة الذي تحدده السلطة، أو عند أبواب المدينة إذا أرادوا الدخول.[1]

---

[1] قوادري فوزية ،قوادري نسيمة ،المرجع السابق، ص 74.

[2] الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص 63.

[3] جاكر لحسن، الحركة الوطنية..،المرجع السابق، ص 43.

[4] نفسه، ص 43.

والضرائب على الحرف كانت تقرر حسب دخل الصناع، ويرجع تقديرها وتحصيلها لأمين كل صنعة من الصنائع في المدينة، ويقوم هذا الأمين يرفعها إلى المحتسب أو إلى صاحب الأشغال بالمدينة الذي يحتفظ بإحصاء شامل لكل الصناعات وأربابها وعمالها.[2]

2-الحياة الإقتصادية:

أ-الزراعة:

تحظى منطقة معسكر بمناخ شبه رطب حيث تصل كمية التساقط بها إلى 350 ملم في السنة وقد تتجاوز هذه الكمية في بعض السنوات مما يسمح للنشاط الفلاحي بتحقيق مردودية جيدة، خاصة في بعض المحاصيل الزراعية التي تكتفي بها ذاتيا وتزويدها باقي ولايات الوطن كالبطاطس والبصل والخس واللوز وغيرها...

تتربع معسكر على مساحة فلاحية تقدر بـ 327 ألف هكتار وهو ما يعادل 50 % من المساحة الإجمالية وقلة المساحة الفلاحية هذه راجعة أساسا إلى الطابع الجبلي للولاية كجبال بني شقران والنشاط الفلاحي هو النشاط الرئيسي لسكان المنطقة، إذ يشتغل القطاع الزراعي وحده 40 % من مجموع اليد العاملة.[3]

اعتمد الفلاح الجزائري في بايلك الغرب خاصة في أواخر القرن 18، في زراعته وحرثه الأرض على وسائل وأدوات بسيطة متمثلة في:

[1] العربي لخضر، المرجع السابق، ص 106.
[2] العربي لخضر، المرجع السابق، ص 106.
[3] محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 109.

- **المحراث الخشبي:** المكون من قطعتين قصيرتين، تكون عادة من شجر البلوط والزيتون ومزود في أسفله بسكة من حديد أو خشب يقوم يجره ثور أو بغل، فميزته أنه لا يتعمق في الأرض سطحيا حوالي 8 إلى 12 سنتمترا.[1]

إضافة إلى هذا المحراث نجد المنجل الذي يتم الحصاد به، وتجمع السنابل في حزم ثم يقوم الفلاح بنقلها حيث يقوم الدواب بدرسها.[2]

- **زراعة الحبوب:**

تعد من الزراعات الاستهلاكية التي يعتمد عليها الجزائريون بشكل أساسي في غذائهم تنتشر زراعتها في سهل غريس وسهل قرجوم، ووادي البنيان الذي يقع قرب بلدة عوف، ويبعد عن بلدة معسكر بأكثر من 35 كيلومتر جنوبا.[3]

وأهم مشكل كانت تعاني منه الفلاحة بالمنطقة هو قلة العتاد الفلاحي حيث يقابل جرار واحد ما يعادل 109 هكتار إضافة إلى مشكل تناقص المياه الجوفية.[4]

بالنظر إلى أهميتها التجارية ووفرة شروط زراعتها، أولى الفرنسيون عناية خاصة بالكروم في منطقة معسكر، على حساب زراعات أخرى كالأرز الذي كان يعد من أجود الأنواع في العالم والقمح الذي يعتبر غذاء أساسيا للجزائريين، إن المساحة المخصصة للكروم في معسكر في بداية الاحتلال كانت جد محدودة إذ لم تتجاوز عشرات الهكتارات، لكن بعد سنوات أخذت في الارتفاع حيث بلغ 3000 هكتار.[5]

إن زراعة الكروم خلال فترة الاحتلال الفرنسي ترجع إلى جملة من العوامل أهمها:

[1] قوادري نسيمة، قوادري فوزية، المرجع السابق، ص 68.
[2] قوادري نسيمة،قوادري فوزية،المرجع السابق، ص 68.
[3] جاكر لحسن، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص40.
[4] محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 110.
[5] جاكر لحسن، الحركة...، المرجع السابق، ص37.

- تجديد الكروم على أسس متينة خلال الفترة 1893- 1913م بالاعتماد على كروم أمريكية.
- استعمال أسمدة خاصة بالكروم، بإمكان المزارعين الحصول عليها لدى الأخوين فيدال Videl بمعسكر.
- تأسيس نقابة معسكر للفلاحة.
- إنشاء النقابة المهنية للفلاحة والخمور لدائرة معسكر.
- وفرة الشروط اللازمة لزراعة الكروم في معسكر كالتربة الطينية والكلسية وكذا المناخ الذي يمتاز بأمطاره شتاء، وحرارته المرتفعة صيفا.[1]

أما بالنسبة للمزروعات ذات الطابع التجاري، فمثلا اشتهرت معسكر بزراعة القطن، حيث كان محصوله يوجه إلى المدن لمعالجة خيوطه المستخدمة في نسج الملابس.[2]

وعلى الرغم من ذلك فإن معسكر اكتست شهرة عالمية في إنتاج العنب عامة، والخمور خاصة. وما الجوائز التي تحصل عليها مزارعوا المنطقة من الكولون لخير دليل على ذلك.[3]

ميداليات ذهبية، فضية، برونزية في المعرض الفلاحي بباريس سنة 1908م[4]

- **مصادرة الأراضي:**

تعد مصادرة أراضي الجزائريين أخطر الإجراءات التي اتخذها الاستعمار الفرنسي لتثبيت أقدامه في الجزائر، وبالتالي إهانة السكان الأصليين الذين اعتبروا الأرض عاملا مهما في

[1] جاكر لحسن ،المرجع السابق، ص 39.
[2] قوادري نسيمة، قوادري فوزية ، المرجع السابق، ص 70.
[3] جاكر لحسن، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 38.
[4] نفسه، ص 38.

حياتهم وتماسكهم الاجتماعي منذ القديم وقد أصدر الاستعمار جملة من المراسيم والقوانين في سبيل تحقيق ذلك كان أبرزها ما يلي:

- قرار 30 مارس 1841 الذي صادر أراضي القبائل الموجودة على شعاع 24 كلم حول المعسكر.
- مرسوم 1844م ومرسوم 1846م اللذان يعتبران أن عدم زراعة الأرض هو سبب كاف لانتزاع ملكيتها، ووضعها تحت تصرف المصلحة وهو ما حدث بالفعل لأراضي المرور والأراضي المستريحة التابعة للقبائل.
- قرار 08 نوفمبر 1856 المطبق على المهاجرين من معسكر.[1]
- وفيما بين 1878- 1879م استولى الفرنسيون على أراضي جديدة في كل من عين فارس، ماوسة، THIERSVILLE تيارفيل "غريس" ومطمور وتيزي، ولاستغلال الأراضي بشكل مكثف شرعوا في بناء سد فرقوق سنة 1881م. أما أولى المراكز الاستعمارية بالمنطقة فتعود إلى العقد الثاني من احتلال فرنسا ومنها مركز[2] سان هيبوليت (المامونية) وسان أنجري SAINT ANDRé(خصيبية) عام 1846م، ومركز DE BLIGNAULT دوبلينو (حيسن) عام 1857، ومن أهم المراكز الاستعمارية الناشئة بالمنطقة يعد مركز معسكر 1841 وبريقو (المحمدية) 1858م وتيارفيل (غريس) وعين فارس 1878، وبعد استقرار الكولون النازحين إليها من جنوب فرنسا توسعت مساحة الأراضي الزراعية بها إلى 1158 هكتار، منها 800 هكتار خاصة بالكروم و50 هكتار للفاكهة و50 هكتار لإنتاج الخضر تستفيد منه مياه وادي فروحة وباقي المساحة زرعت بالقمح والشعير والخرطال.[3]

[1] جاكر لحسن ، الحركة الوطنية ..المرجع السابق ، ص 38

[2] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص 24.

[3] نفسه، ص 24.

- **الصناعة:**

تضم معسكر 23 وحدة للصناعات الخفيفة والتمركز الصناعي يتوزع على 3 مناطق صناعية هامة وهي:

- المنطقة الصناعية بمعسكر ومساحتها 165 هكتار.
- المنطقة الصناعية بسيق ومساحتها 103 هكتار.
- المنطقة الصناعية بالمحمدية ومساحتها 56 هكتار.

- مناجم المارن والغضار لصناعة الإسمنت.
- مناجم الجبس.
- مناجم الغضار الخاص بصناعة المواد الحمراء
- مناجم حجارة البناء والجص.
- مناجم الرمل الزجاجي ورمل البناء.
- مناجم كربونات الكالسيوم.

وهي تساه مساهمة فعالة في مشاريع التنمية بالمنطقة.[1]

ركزت فرنسا عند احتلالها للجزائر على الصناعة الاستخراجية التي تقوم أساسا على البحث، والتنقيب، واستخراج المواد الأولية الخام، وكذا الصناعة الغذائية التي تتماشى وانتشار العديد من الزراعات كالحبوب والكروم، ونظرا للطابع الفلاحي الذي يغلب على منطقة معسكر فإن النشاط الصناعي قد اعتمد بالدرجة الأولى على الصناعة الغذائية.[2]

- **صناعة الخمور والجعة:**

[1] محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 111.

[2] جاكر لحسن، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 41.

كانت معسكر من أهم المناطق المنتجة للخمور، خاصة بعد تأسيس الصندوق الفلاحي التعاضدي لمعسكر سنة 1919م، حيث أصبح ممولا لكل النظام التعاوني في المنطقة.

وبالإضافة إلى ذلك، أنشأت السلطات الفرنسية، مخبرا لمتطلبات القطاع الفلاحي، كما ضمنت النقابة الفلاحية لسهل غريس إلى نقابة لفلاحة والخمور لمعسكر سنة 1924 وأنشأت مجموعة من مخازن وأقبية إنتاج الخمور Caves coopératives في غريس سنة 1928م وتيزي 1930.[1]

2-التجارة:

تعتبر التجارة إحدى الطرق الرئيسية التي تنقل من خلالها الأموال والسلع والبضائع بين المجتمعات، ومعسكر كغيرها من ولايات الغرب الجزائري عرفت نشاطا تجاريا، سنتطرق إليه بالتفصيل:

أ- **النقل:**

أولى الفرنسيون عناية كبيرة للنقل في منطقة معسكر لما له من أهمية في خدمة الاقتصاد الاستعماري، ومزارع المعمرين وقراهم وربط المناطق المنتجة للحبوب والخمور بالموانئ والأسواق الجزائرية، وذلك رغم الطابع الجبلي الذي يغلب على جزء كبير منها، خاصة في قسمها الشمالي الذي تسوده جبال بني شقران، يبدو أن طرق المواصلات التي أنجزها الاستعمار لتحقيق أغراضه قد حولت معسكر إلى مركز استراتيجي تلتقي فيه طرق عديدة، تربط المدينة بمختلف المدن وأهم هذه الطرق هي:

- طريق معسكر- سيق عبر بني شقران
- طريق معسكر- تلمسان عبر مدينة سفيزف.

[1] جاكر لحسن،الحركة الوطنية...،المرجع السابق، ص 42.

- طريق معسكر– سعيدة عبر فرنكيتي (سيدي عمر)
- طريق معسكر– تيارت عبر تخمارت وفرندة.[1]

أما بالنسبة للسكك الحديدية، فقد بنت فرنسا سنة 1857م برنامج تجهيز سكك الحديد، وأعطت لشركة باريس –ليون– البحر المتوسط– امتياز بناء خط حديدي بين الجزائر – وهران وآخر بين سكيكدة –قسنطينة بقيمة بلغت في الأصل 81.5 مليون.[2]

هكذا فإن السكك الحديدية قد امتدت لخدمة مصالح البرجوازية، مثلها مثل النقل الطرقي الذي جاء لتخفيض سعر النقل، وتسهيل تنقل سكان المراكز الاستيطانية، وتقريبهم ببعضهم، خاصة وأنهم كانوا يعيشون في مناطق يكثر فيها الجزائريون الذين فقدوا أراضيهم وثرواتهم لصالح الدخلاء من الأوربيين.[3]

ب– **الأسواق:**

كانت معسكر من المدن التي شهدت حركة تجارية كبيرة خلال عهد الأمير كان يقام فيها سوق كل ثلاثة أيام في الأسبوع: الجمعة– السبت –الأحد، بمكان فسيح في ضاحيتها المعروفة باسم باب علي يباع فيه مختلف السلع كالبارود، والتوابل وقشور الرمان، التي كانت تستخدم في الصناعة، الخيول والبقول والخضر والفواكه. ريش النعام، التمور، جلود الحيوانات الجميلة مثل الأسود والفهود والعسل والشمع وغيرها.[4]

وتشير بعض المصادر المتأخرة إلى معاني كثيرة يفهم منها انتشار الحرف بمدينة معسكر والمناطق التابعة لها أو في إطار إقليم بني راشد حيث يذكر الحسن لوزان في

[1] نفسه، ص44.

[2]– جاكر لحسن،الحركة الوطنية...،المرجع السابق، ص44.

[3] نفسه، ص 45.

[4] أورندي طيب، المرجع السابق، ص 52.

معرض وصفه لمدينة معسكر"...، ويعقد بها سوق كل خميس يباع فيه عدد واف من الماشية والحبوب... وكثير من منسوجات البلاد وأشياء أخرى أقل قيمة، كالحبال والسروج وحاجيات الخيل."[1]

كما يعتبر طريق معسكر بمدينة تلمسان– الطريق الأكثر حيوية حيث يشغلها تجار الأنسجة القطنية، والقماش والزرابي، إضافة إلى الأغطية، كما نجد الأواني النحاسية، ونجد العديد من الحرفيين. وأكثر حي يتردد عليه الريفيون هو طريق معسكر وذلك ناجم عن تنوع ما يبحثون عليه، ونلاحظهم على شكل أعداد هامة يترددون على المحلات عند نهاية هذا الطريق نجد صانعي الأحذية وركائز من هذه الأخيرة كما نلاحظ العديد من العمال منهمكين بدون انقطاع في صناعتهم الأنيقة.[2]

3- الوضع الصحي بمعسكر

- **الأمراض والأوبئة:**

لقد كانت الحالة الصحية بمعسكر تزداد سوءا وتدهورا خصوصا في أواخر العهد العثماني، مما كان له تأثير سلبي على نمو السكان وعلى وضعيتهم الاجتماعية فتضاءل سكان المدينة وتناقص سكان الأرياف المحيطة بها ابتداءا من أواخر القرن 18 كما تسبب في ضعف وتناقص عدد البحارة وقدرات الحرفيين والصناع وافتقار الأرياف إلى اليد العالمة الزراعية.[3]

ويعود سبب ذلك إلى انتقال العدوى وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة، وذلك لصلة الجزائر بعالم البحر الأبيض المتوسط وانفتاحها على أقاليم السودان، وعلاقتها بالبلاد

[1] العربي لخضر، المرجع السابق، ص 105.
[2] الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص 75.
[3] يوسفي يوسف، المرجع السابق، ص48

الأوربية وارتباطها بالمشرق العربي. وكانت أهم الطرق لانتقالها توافد التجار والبحارة والحجاج والطلبة من أقطار الشرق الأوسط إلى الموانئ الجزائرية، ومما ساعد على توطن هذه الأمراض الموسمية والأوبئة المعدية وانتشار المستنقعات بالسهول الساحلية.[1]

ومما زاد سوء الحالة الصحية أن الحكام كانوا لا يهتمون بأمور الصحة ولا يولونها العناية اللائقة واعتبروها أمرا طبيعيا، حيث كانت هذه الأوبئة تتكرر كل عشرة أو خمس عشرة سنة.[2]

لم تهتم السلطات الاستعمارية بالخدمات الطبية والمنشآت الصحية إلا في الأماكن الآهلة بالمعمرين، لذلك شهدت معسكر بناء مستشفى عسكري في أواخر القرن 19 بوسط المدينة يتردد عليه الأوربيون والكولون الذين يستغلون الأراضي الزراعية بناحية معسكر، أما بالنسبة للجزائريين فإنهم ظلوا يعانون من الأمراض، والأوبئة التي حصدت أرواح 1500 شخص من أصل 10 آلاف سنة 1835م في معسكر بسبب تراجع عدد موظفي القطاع الصحي.[3]

استمر الوضع الصحي في التدهور حيث شهد الشرق الجزائري، ودوائر معسكر، سيدي بلعباس، تلمسان أشكالا خطيرة لوباء الكوليرا، كما عرفت عمالة وهران انتشار الرماد الحبيبي في أوساط تلاميذ المدارس من الإسبان 40% إلى 50% والجزائريين بنسبة أكثر خلال سنتي 1911– 1912م دون أن ينتقل إلى الفرنسيين.[4]

- **الهجرة:**

[1] نفسه، ص 48.

[2] قوادري نسيمة، قوادري فوزية، المرجع السابق، ص94.

[3] أورندي طيب، المرجع السابق، ص 61.

[4] نفسه، ص 61.

شكلت الهجرة نوعا من المقاومة ضد السياسة الاستعمارية عموما لكن سببها الرئيسي هو الحكم الفرنسي الذي كان قاسيا واضطهاديا، كما حدث في أعقاب سقوط معسكر سنة 1841م، حيث هاجرها العديد من سكانها الذين لم يبق منهم سوى 2840 نسمة من أصل 10 آلاف نسمة سنة 1830م.[1]

كما أشار تقرير صادر عن القنصل الفرنسي بتونس عام 1874م إلى هجرة آلاف الجزائريين نحوها منهم 200 خيمة (أي حوالي 1000 شخص) جاؤوا إليها من معسكر.[2]

هناك أسباب أخرى كانت وراء هجرة الجزائريين، وأهل معسكر إلى الخارج منها التجنيد الإجباري والأحوال الاقتصادية والاجتماعية الصعبة، وما يؤكد ذلك نزوح 32 مهاجر من معسكر إلى سوريا خلال الفترة 1910- 1912م[3].

ومن أسباب الهجرة كذلك السيطرة الفرنسية على الشؤون الإسلامية، ومراقبة الأوقاف الدينية، والحيلولة دون انتشار اللغة العربية في الأوساط الجزائرية ولذلك هاجر بعض المعسكريين إلى المشرق العربي حيث تقدم ستة منهم سنة 1913م، بطلبات الحصول على الجنسية التركية للعيش في أمن وأداء شعائرهم الدينية في حرية واطمئنان.[4]

ولم تكن الهجرة الخارجية هروبا من التعسف والظلم المسلط على الأهالي فحسب بل امتدت أسبابها إلى أهداف أخرى مثل الدراسة في ظل سياسة الإقصاء الذي كان يتعرض لها الجزائريون من قبل السلطة الاستعمارية.[5] لتتوالى بعدها الهجرات لعائلات معسكرية معروفة بعراقتها في المنطقة كعائلة المشارف والمهاجة، والدحاحوة والمراحيون وعائلة المختاريون

[1] جاكر لحسن، الحركة الوطنية..، المرجع السابق، ص 63.
[2] جاكر لحسن،الحركة الوطنية...، ص 185.
[3] نفسه ،ص 63.
[4] نفسه ، ص 64.
[5] أورندي طيب، المرجع السابق، ص 186.

الأدارسة الذين اتجهوا نحو المغرب الأقصى، واستقروا بالحاضرة فاس، بعد انهزام الأمير عبد القادر في معركة طاقين واستيلاء الجيش الفرنسي على الزمالة.[1]

كما دلتنا الكتابات التاريخية على أن أهل معسكر الذين استقروا بالمغرب ساهموا في تنشيط التجارة والمهن الحرة فيه، منهم على سبيل المثال:

- محمد الميسوم ولد الحاج الميلود، كان يتاجر بالنعال والحايك مع تلمسان ويذهب إلى هناك كثيرا.
- عمر بن زواطي ولد محمد الذي عمل في جباية الضرائب ولديه خمسة أبناء أكبرهم عبد القادر كان يعمل نجارا، وثلاثة اختصوا في صناعة الأحذية، أما الآخر فهاجر إلى إسطنبول.[2]

يتضح من خلال هذا الفصل أن الحياة الاجتماعية في مدينة معسكر خلال الفترة الممتدة من 1930 إلى 1962 كانت محكومة بجملة من التحولات العميقة الي فرضها الاستعمار الفرنسي، والتي مست مختلف جوانب البنية المجتمعية. فقد شهدت التركيبة السكانية تغيرات ملحوظة نتيجة سياسات التوطين والتمييز، في حين عرف النسيج العمراني تحولا بنيويا عكس التفاوت الاجتماعي بين الأهالي والمستوطنين، كما حافظ المجتمع المحلي على جزء كبير من عاداته وتقاليده، رغم محاولات طمسها، مما يعكس تشبث السكان بهويتهم الثقافية.

أما الوضع الصحي، فقد كان يعاني من تدهور كبير، خاصة في أوساط الأهالي، نتيجة الإهمال الممنهج من طرف الإدارة الاستعمارية، في مقابل استفادة الأوربيين من خدمات طبية منظمة.

[1] نفسه، ص182.

[2] أورندي طيب،المرجع السابق، ص ص 183-184.

الفصل الثاني: الحياة الثقافية في معسكر ما بين (1830- 1962م)

أولا: المؤسسات الثقافية في معسكر (1830-1962م)

- 1-الزوايا و المساجد
- 2-المدارس والكتاتيب
- 3-المكتبات
- 4-الجمعيات و النوادي

ثانيا:رجال الفكر والثقافة في معسكر (1830- 1962م)

1- الخليفة مصطفى بن التهامي و الأمير عبد القادر

2-محمد بن الأعرج السليماني و بن الهاشمي بن بكار

3-سعيد الزموشي و سفير البودالي

تعد الحياة الثقافية في الجزائر نتاجا لتراكمات تاريخية واجتماعية طويلة، انعكست من خلالها تعددية المجتمع الجزائري وتنوعه الجغرافي واللغوي والحضاري، فقد شكلت هذه الحياة مساحة غنية للتعبير عن الهوية الوطنية من خلال الفنون و المؤسسات الثقافية التي ظلت راسخة في مختلف مناطق البلاد، وفي هذا السياق، تبرز منطقة معسكر كإحدى الحواضر التي كان لها دور مميز في المشهد الثقافي الوطني، إذ احتضنت عبر العصور مراكز علمية ودينية، وزوايا لعبت أدوارا محورية في نشر المعرفة والحفاظ على الموروث الثقافي المحلي، مما جعل منها فضاءا نابضا بالحياة الثقافية والفكرية.

أولا: المؤسسات الثقافية في معسكر (1830-1962)

شكلت المؤسسات الثقافية خلال فترة التواجد الفرنسي بالجزائر إحدى الوسائل الهامة للحفاظ على الهوية الوطنية والدينية وقد تنوعت بين الزوايا والمساجد والكتاتيب وحتى النوادي شكلت جميعها نواة المقاومة الفكرية والثقافية ولم تكن كمعسكر في منأى عن هذه المؤسسات التي تميزت بتنوعها وتفاعلها مع المحيط الاجتماعي مما جعلها تلعب دورا هاما لمقاومة محاولات التغريب ضمن بيئة محلية عرفت بروحها المحافظة والتزامها بالمرجعية الدينية والثقافية الأصلية وانطلاقا من هذا سنحاول التطرق وعرض أهم المؤسسات المتواجدة في المنطقة الخاصة بالحياة الفكرية والثقافية، خلال هذه الحقبة.

1_الزوايا في معسكر :

الزوايا في المجتمع الجزائري لم تكن مجرد مؤسسات دينية تعنى بتحفيظ القرآن الكرين وتعليم العلوم الشرعية فحسب، بل تجاوز دورها ذلك لتكون مراكز ثقافية واجتماعية وروحية ذات تأثير كبير، ومع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م ،أنجبت مدينة معسكر، وسهل غريس، والوطن الراشدي علماء أجلاء وفقهاء ومؤرخين، وبرزت عائلات بحالها توارثت العلم، والخطابة والتدريس ومن ضمنها: عائلة ابن التهامي، عائلة الشيخ مصطفى وابنه محيي الدين المختاري...[1]

واهتمت هذه العائلات بتأسيس الزوايا ومعاهد العلم والمدارس، وذكر الشيخ الطيب بن المختار الغريسي في كتابه: "القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم" بأن الأشراف والأعيان بغريس كان لهم اعتناء كبير بالدين، وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم الأخرى اللغوية والفقهية، والأدبية والعقلية الصوفية، وكذلك الرياضيات والفلك، ولهذا كان كل واحد

[1] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة دار الغرب الاسلامي د ط ، د س ، ج2، ص 228.

منهم يؤسس لنفسه زاوية لطلبة العلم، ويوظف بها أجلة العلماء، والمدرسين ليقصدها الطلبة من كل الآفاق.[1]

وقبل التطرق إلى ذكر أهم الزوايا في معسكر رأينا من المفيد أن نحدد مفهوم الزوايا.

- **الزاوية:** كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية هي مجموعة من الأبنية ذات الطابع الديني تتكون من غرفة للصلاة وضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة وغرفة قصرت على تلاوة القرآن، ومدرسة لتحفيظ القرآن، وغرفة مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين وغرفة للطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولئك الذين تركوا وصية في حياتهم بأن يدفنوا بها.[2]

وقد ذكر "دوماس" Daumas عام 1867 في كتابه "منطقة القبائل" تعريفا لمفهوم الزاوية بالمغرب حيث قال: إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة".[3]

إن الزوايا وأفضلها، حسب قول بن يوسف بن خدة، هي التي كانت عامل انتشار للدين، ولذكر بذلك، في أقصى المناطق بالجزائر... هي التي تمت بفضلها المحافظة على القرآن الكريم والمواد الإسلامية واللغة العربية في بلادنا... هي التي كانت حصنا منيعا ضد الفرنسة والتمسيح وتدهور الأخلاق، تلك التربة الخصبة للاستعمار الثقافي...[4] وحسب المصادر أن مدينة معسكر لوحدها كان لها سنة 1882م حوالي 07 زوايا وعشرة (10) مقدمون و370 مريدا[5] (الإخوان).[1]

---

[1] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 229.

[2] هشماوي فتيحة، الدور الجهادي الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر أثناء الوجود الاستعماري، جامعة مستغانم، ص 273.

[3] شهبي عبد العزيز، الزوايا الصوفية والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، ص 13.

[4] بوشامة كمال ، الجزائر أرض وعقيدة، تر: محمد معراجي، دار هومه، الجزائر، 2007، ص 143.

[5] مريدا: (أو المنتسب، هو الذي يتردد على الزاوية، على أنه لا يقيم فيها، وإنما يسعى لكسب رزقه بعمله)، قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص148.

وكانت هذه الزوايا تابعة لكل من الطريقة القادرية، الشاذلية، العيساوية، الطيبية، الزيانية، التيجانية والرحمانية،[2] وقد كثرت الرحلة لطلب العلم لوطن غريس ما بين القرن العاشر والحادي والثاني عشر لكثرة تأسيس الزوايا لبث العلوم بغريس كزاوية سيدي محمد يحي السليماني، وزاوية سيدي عبد الله بن عبد الرزاق الإدريسي وزاوية الشيخ سيدي محمد المشرفي الإدريسي شيخ مصطفى الرماصي، وزاوية سيدي محمد الأعرج السليماني...[3] بحيث كان لكل زاوية سيدي بن عبد الله شنتوف الدرقاوية،[4] تأسست سنة 1305 هـ/ 1887م، بحي باب علي بمدينة معسكر زاوية الزلامطة أسسها الحاج محمد عزايز.[5] زاوية الشيخ أحمد بن الحبيب بسيدي قادة.[6]

ويجدر بنا أن نسلط الضوء على بعض النماذج المحلية التي تميزت بنشاطها الثقافي وعلى رأسها زاوية القادرية وزاوية الزلامطة .

الزاوية القادرية بمعسكر:

سميت القادرية على اسم سليمان الدين محمد "عبد القادر الجيلاني"[7] بن أبو صالح موسى الحساني.[1] وتعتبر القادرية بمثابة القاعدة لمختلف الطرق الصوفية التي جاءت بعدها.[2]

---

[1] أورندي طيب، المرجع السابق، ص 215.

[2] أوريندي الطيب ، المرجع السابق ، ص215.

[3] الهاشمي بن بكار، المصدر السابق، ص ص: 34-35.

[4] أورندي طيب، المرجع السابق، ص 217.

[5] نفسه، 224.

[6] نفسه، ص 227.

[7] عبد القادر الجيلاني "ولد الشيخ عبد القادر الجيلاني سنة (470هـ-1077م) وعاش في عصر كانت حوادثه أليمة وكان المسلمون في تشتت وافتراق استولى عليهم حب الدنيا، فشعر قدس الله سره أن ذلك لم يكن إلا ليبعدهم عن الدين، وإن علاج ذلك إنما يكون بالتربية وبإصلاح النفوس، فانصرف بكل همته وإخلاصه إلى الوعظ والإرشاد والدعوة إلى التوحيد.

تعتبر من أهم الزوايا في معسكر تأسست في حدود سنة 1910م بالحي العتيق باب علي في مبنى يعود ملكيته للشيخ شنتوف عدة. والذي منحه لمريدي الطريقة القادرية لتأسيس زاويتهم، عرفت الزاوية شهرة واسعة في عهد الشيخ بن نعوم محمد بن مصطفى الذي عين مقدما عليها في ثلاثينيات القرن العشرين، حيث كان يقصدها الصغير والكبير لحفظ القرآن الكريم وعلوم اللغة والدين حتى وصل عدد طلابها إلى 200 طالب.[3]

والشيخ محمد بن نعوم هو من نسل الولي الصالح سيد أحمد بن علي، ولد سنة 1902م بغريس غرب مدينة معسكر، تتلمذ على يد شيوخ كبار حفظوه القرآن الكريم ثم لقنوه علوم الدين رفقة مجموعة من الطلبة منهم محمد الثابتي وإمام المسجد الكبير سي الهاشمي، وقد استمر بالنبوغ في علم النحو والصرف فتمكن من الألفية لابن مالك والآجرومية حفظا وفهما، كما تمكن من الفقه خاصة الفقه المالكي.[4]

ومبادئ القادرية إنسانية لأنها قائمة على حسن التعامل والتسامح مع الآخرين بما فيهم الأجانب. يقول الشيخ القطب عبد الله القادر الجيلالي رحمه الله في صحبة الأجانب والتعامل معهم: "إنهم من أهل السلامة فيتجاوز الله عنهم"، يعني هذا أن ينظر إليهم بعين الشفقة ولا تصادر أموالهم مع الصبر على سوء أخلاقهم.[5]

للموید أنظر: جواد مرابط، التصوف و الامير عبد القادر حسني الجزائري ،عن عاصمة الثقافة العربية ،الجزائر 2007،، ص 29.

[1] حلاسة حسينة، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، الطريقة الرحمانية أنموذجا (1763م- 1871م) مذكرة لنيل شهادة الماستر، سنة 2019، ص 31.

[2] شهبي عبد العزيز، المرجع السابق، ص 101.

[3] أورندي الطيب، المرجع السابق، ص 220.

[4] أورندي طيب،المرجع السابق، ص 221.

[5] عميراوي احميده، القادرية وموقفها من السياسة الفرنسية، جامعة عبد القادر قسنطينة، ص 202.

والجدير بالذكر أن الشيخ محمد بن نعوم منذ توليه شؤون الزاوية أولى عناية خاصة بها، إذ حرص على إعمارها وتجهيزها بما تحتاجه من مستلزمات الراحة للطلبة كالأفرشة، المأكل، المبيت وغيرها، وهو ما تشير إليه أحد الرسائل التي وجهها الشيخ بن نعوم إلى كل من عامل عمالة وهران ومدير الشؤون الأهلية يطلب منهما تزويد الزاوية بالسجاد حيث جاء فيها: "نحن المسمى بن نعوم سي محمد بن مصطفى رئيس الزاوية القادرية والإمام بها والمدرس بها تطوعا، وجميع من انتسب إلى الزاوية القادرية بمعسكر من الإخوان ما يزيد عن مائتي تلميذ وكلهم يتعلمون بالزاوية المذكورة ويحصلون فيها، أطلب منكم هدية متمثلة في الزرابي للزاوية لأنها مخصوصة من الفراش وأن جميع التلاميذ يطلبون منك أن لا تخيبوا طلبهم هذا...لأنهم يتعلمون أمور دينهم بهيئة خسيسة يعني الجلوس على التراب..."[1]

وقد حدث للقادرية تقريبا ما حدث لكل الجمعيات الأخرى في آخر القرن التاسع عشر، فقد أصبحت جميعها، تقريبا، تحت رحمة المخابرات الفرنسية، والضغط المتعدد الجوانب لكي تعمل وفق إرادة المحتل.[2]

- **زاوية الزلامطة:**

تقع بقرية الزلامطة التي تبعد بإثنين وثلاثون كيلومتر تقريبا عن مدينة معسكر، أسسها الحاج محمد عزايز بإذن من شيخه الحاج محمد الشرقي شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية بالعطاف، حيث أقام فيها مدرسة للقرآن الكريم ومدرسة لتدريس الفقه والنحو، ورتب فيها مدرسين لتدريس هذه العلوم.[3]

[1] اوريندي طيب، المرجع السابق، ص 221.

[2] شهبي عبد العزيز، المرجع السابق، ص 105.

[3] اوريندي طيب، المرجع السابق، ص 225.

وبعد وفاته سنة 1934م خلفه ابنه الشيخ عبد القادر بن الصغير وهو أحد تلاميذ العلامة الحاج بن العروسي والذي توفي هو الآخر بعد والده بأربعين يوما، فعمرها بعده أخوه ابن الشرقي.[1]

بالإضافة إلى نشاطها التعليمي كان للزاوية نشاط اجتماعي يتمثل في مساعدة الفقراء والمساكين، وإيواء العجزة وعابري السبيل، كما كانت قبلة للمتخاصمين من أجل فض نزاعاتهم، وهو ما يؤكده الأستاذ جيلالي جلول في "النفيس" بقوله: "...تبين لي أن الزاوية الزلامطة قامت بأعمال جليلة حيث صانت الشريعة الإسلامية وساعدت الفقراء وأطعمت الجائعين... ومنعت المواطنين المتخاصمين من اللجوء إلى المحاكم الفرنسية، فكانت المحكمة هي زاوية الزلامطة".[2]

- **دور الزوايا في المجتمع المعسكري:**

تعتبر الزوايا أثناء فترة الفرنسي هي المؤسسات الواحدة أو الغالبة التي كانت تتولى التعليم، فلقد استطاعت هذه المدارس الشعبية والمعاهد الإسلامية البسيطة المتواضعة أن تحافظ على ثقافتنا العربية الإسلامية. فقد استطاع بأسلوبه البسيط والسهل من خلال الدور الذي قامت به والحفاظ على اللغة العربية لأن سياسة المستعمر نحوها كانت تعتبرها أكبر عامل بإمكانه تنمية الشعور بالوحدة لدى الجزائريين وتوحيد وسيلة الاتصال بينهم ولأن التعليم كان باللغة العربية ومنهجه القوي في روحه الغني في محتواه السليم في جوهره أن ينجح لأنه لم يفقد فعاليته، ولم تبرد حرارته. وإذا كان تعليم الزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية والمدارس الحرة تعليما بسيطا متواضعا لا يتماشى مع روح العصر في أسلوبه ومناهجه فإنه حافظ على روح الأمة وصان شخصيتها وحمى عقيدتها ورفع معنوياتها بذلك جعلها تعتصم

[1] عميراوي احميدة،المرجع السابق، ص225.

[2] اوريندي الطيب ، المرجع السابق ، ص226.

بدينها وتعتز بقيمها وعاداتها وتقاليدها وتتعلق بلغتها وإن كانت محاربة ومحرومة من جميع الوسائل ومعزولة عن كل ميدان من ميادين الحياة.[1]

كما قال د. عبد الله الركيبيي: "بقي نوع آخر من التعليم وهو الخاص بالزوايا، والذي يرجع إليه الفضل في الحفاظ على اللغة العربية وعلومها، وهو تعليم كان يسير على المناهج القديمة التي تعطي الأولوية لعلوم اللسان والدين".[2]

كان للزوايا دور كبير في مختلف مراحل المقاومة من المقاومة الشعبية إلى المقاومة السياسية إلى ثورة التحرير المباركة، ومن الأمثلة على ذلك ثورة الأمير عبد القادر سنة 1832م التي كان منبعها الزاوية القادرية في الغرب الجزائري (معسكر).[3]

أما بالنسبة للدور الثقافي للزوايا، فقد تعززت وتوسعت بفضل وظيفتها الثقافية، يمكننا القول أن الزاوية كانت في الآن نفسه مدرسة وقد تمثلت الوظيفة الأساسية للزاوية في بلوغ المعرفة التامة بالنص القرآني، وذلك من خلال الإنفاق بسخاء على تعليم الثقافة، وتدريسها ونشرها في كل أوساط المجتمع وكان ذلك شكلا من أشكال مقاومة الجهل.[4]

أما على المستوى التربوي والتعليمي، فإن الزاوية روحية وجدانية، بالنسبة للمتعلم والأمي، الرجل والمرأة، البالغ والقاصر، الشيخ والمريد، ففي الزاوية يجد الفرد المساعدة والمساواة، النصيحة والإرشاد، ومن هنا كانت أكثر الوظائف التي اضطلعت بها الزوايا هي وظيفة

---

[1] الطيب جاب الله: دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، د ص.

[2] شهبي عبد العزيز، المرجع السابق، ص47.

[3] مبارك جعفري: الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر ودوها في ترسيخ الوحدة الوطنية،الملتقى الدولي الموسوم، الحواضر القرآنية في إفريقيا الرسالة الروحية والوطنية، جامعة سيدي بلعباس والمنعقد يومي 10 و11 ديسمبر 2018، بولاية إليزي، ص9.

[4] شابو بشرى، شابو مريم: الزوايا والطرق الصوفية ودورها في مواجهة الاستعمار الفرنسي بالجزائر خلال القرن العشرين –الطريقة الرحمانية أنموذجا– مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة 08 ماي 1945 قالمة، سنة 2019–2020، ص35.

التعليم والتربية.[1] وعلى جانب هذا أدوا دورا مهما في تسهيل مأمورية الحج ومساعدة الفقراء الذين عجزوا عن أداء فريضتهم الدينية.[2]

كما لعبت دورا مهما في إنهاء الخلافات والخصومات بين الناس، أفراد وجماعات وذلك بفضل مكانة شيوخها ومقدميهم ووكلائهم فمثلت دور الحكم، وقللت من الخلافات والمشاكل بين الناس، واتخذ من شيوخ الزوايا قادة له بدلا من الحكام المدنيين وقضاتهم الرسميين.[3]

-المساجد:

كانت المساجد في منطقة معسكر -كما في باقي مناطق البلاد- تعد مركزا دينيا وروحيا ورمزا من رموز المقاومة الثقافية والحفاظ على الهوية الإسلامية والوطنية للشعب الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي والتي يعود تواجد البعض منها إلى فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي بل وإلى عصور سابقة، ما يجعلها شاهدا حيا على عمق الجذور الإسلامية في المنطقة.

ورغم السياسة الاستعمارية التي هدفت إلى طمس معالم الدين الإسلامي والتضييق على المؤسسات التعليمية، بقيت المساجد تؤدي دورها الحيوي في تعليم القرآن الكريم ونشر اللغة العربية، وقد عرفت المساجد في معسكر خلال فترة الاحتلال الفرنسي نوعا من التحدي إذ واجهت محاولات هدمها وتحويل بعضها إلى استخدامات في مجالات مختلفة لكن أهالي المنطقة تمسكوا بها وأصبحت ملاذا للعديد من العلماء والطلبة.

---

[1] العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي -دراسة أنثروبولوجية- جامعة بسكرة، **مجلة العلوم الإنسانية**، 15 جوان 2014، ص 130.

[2] بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين و12 و13 الميلاديين نشأته- تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي الفكري والسياسي، المكتبة الوطنية، 2004، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص 193.

[3] شابو بشرى، شابو مريم، المرجع السابق، ص 36.

استمر مسلمو معسكر في تنشيط الحركة التعليمية داخل المساجد سواء الرسمية، وهي "الجامع الكبير ومسجد عين البيضاء" وسنخصص لاحقا حديثا مفصلا عن كل من المسجدين لما لهما من أهمية، بالإضافة إلى المساجد الحرة في الأحياء الأهلية ومن أشهرها:

1- مسجد سيدي أمحمد: الذي يرجع تاريخ تشييده إلى العهد العثماني.
2- مسجد الزيتونة: يتواجد بشارع أحمد بن حسان
3- مسجد أولاد شارف: يقع في شعبة سيدي بوسكرين
4- مسجد ولد قاضي: المعروف أيضا بمسجد سيدي لزرق
5- مسجد سيدي بوسكرين: المحاذي لضريح بوسكرين
6- مسجد سيدي بوراس: وغيرها من المساجد[1]

ومن أبرز المساجد الرئيسية الهامة بمعسكر نذكر:

***الجامع الكبير**: أو(جامع السوق) (انظر الملحق رقم 03) يعتبر من المعالم الدينية الهامة التي شيدت في معسكر خلال القرن 18 من طرف السلطة العثمانية، ويعد من أول الإنجازات العلمية والحضارية في المدينة فهو بمثابة النواة الأولى لمثل هذه المنشآت الكبرى في معسكر، كما أعطى للمدينة مظهر العظمة والأهبة التي تعتبر من اهم المميزات الحضارية في تأسيس المدن الكبرى.[2]

[1] جاكر لحسن: نشاط جمعية العلماء المسلمين في مدينة معسكر 1931_1956 ،دار الغرب للنشر والتوزيع وهران ، 2003 ،ص 78.

[2] رقاد سعدية، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830)، **مجلة جديدة**، مج 8، ع 2، ديسمبر 2018، ص125.

ويسمى بمسجد مصطفى ابن التهامي، أمر الباي الحاج عثمان بن إبراهيم ببنائه 1747م، وقد حظي هذا المسجد برعاية فائقة من بايات الجزائر وكانت تقام فيه الفتوى وتقديم الدروس لعامة الناس.[1]

يقع الجامع الكبير في وسط مدينة معسكر في الساحة المسماة حاليا بساحة مصطفى ابن التهامي وهو يعتبر النواة الأولى للعمارة الدينية في المدينة كما وضعت لوحة تأسيسية ثبتت في أعلى المدخل الرئيسي للتعريف بالمسجد وبصاحبه.[2]

يتكون هذا الجامع من ثلاث واجهات ظاهرة للعيان أما الرابعة منه فهي ملتصقة مع الحمّام من الجهة الجنوبية و ضريح دفن فيه بعض البايات، ويفصله عن الشارع الشرقي ممر طويل محاط بسياج حديدي الغرض منه حماية جدار القبلة[3] ويعد جامع السوق في حاضرة معسكر شاهدا على النشاط التعليمي والديني وفي تنوير العقول والأجيال الجزائرية على مر الزمان، فكان قبلة للشيوخ والمدرسين والعلماء للتدريس والتعليم فيه[4] ويبدو أن العناية بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع المعسكري المسلم، فلا تكاد تجد قرية أو حيا بمدينة معسكر خاليا من المسجد باعتبار أن المسجد كان بمثابة ملتقى العباد ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية.[5] حين تعرضت معسكر للحرق والتخريب على يد الجنرال كلوزيل

[1] طاعة سعد، الدور العلمي لزوايا ومدارس معسكر، المرجع السابق، ص ص 34-35.

[2] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص 108.

[3] قرمان عبد القادر ، المرجع السابق ، ص112.

[4] مبيوع أحمد، التعليم الأهلي في إيالة الجزائر خلال عهد الدايات، حاضرتي تلمسان ومعسكر أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2023-2024، ص49.

[5] قدور بوجلال، المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع31، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، ص238.

عام 1835 والجنرال بيجو 1841. تأثرت مؤسساتها الثقافية والتعليمية وكانت المساجد من أهم المؤسسات التي دفعت ثمن السياسة الاستعمارية.[1]

إلا أنه يعتبر الجامع الوحيد في معسكر الذي لم تتسرب إليه يد الاستعمار الفرنسي بالطمس والتخريب والهدم والتحويل إلى كنيسة مثل بقية المساجد، وبقي على حالته الأصلية إلى أن وسع،[2] مدام الفرنسيون قد حافظوا عليه ولم تمسه أيديهم بسوء فإنهم قد وضعوه تحت تصرفهم بموجب قرار 30 أفريل 1851 ضمن ثمانية وسبعين مسجدا لتنظيم الحياة الدينية في الجزائر.[3] ومن هنا يُفهم أن فرنسا هي التي تشرف عليه من خلال دفع نفقاته وتعيين أئمته ومدرسيه وتشديد المراقبة على نشاطاته.[4]

***مسجد عين البيضاء:**

شُيّد المسجد في شهر أوت من سنة 178م، وهذا حسب ما ورد في كتابة محفورة على مادة الجص تزين واجهة المحراب وأخرى مثبتة على يمين المدخل الرئيسي وهي عبارة عن لوحات تأسيسية للمسجد، يقع هذا المسجد في حي العين البيضاء في الجهة الجنوبية الشرقية في المدينة حيث أنه بني على أرض مائلة إلى الشرق.[5]

وسمي بهذا الاسم نسبة إلى وجود عين مائية أسفل السور الشرقي لمعسكر، وسمي كذلك بمسجد المبايعة نسبة إلى مبايعة الأمير عبد القادر الثانية من طرف سكان معسكر،

[1] جاكر لحسن، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 67

[2] مهيرس مبروك، المرجع السابق، ص 50.

[3] أوريندي طيب، المرجع السابق، ص195.

[4] جاكر لحسن، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص66.

[5] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص 114.

وسمي بمسجد سيدي حسان وأطلق هذا الاسم من طرف الاستعمار حتى يطمس معالم هذا المسجد، وكان معلما هاما في نشر العلم والمعرفة بمعسكر.[1]

وقد ذكر الأغا بن عودة المزاري في كتابه طلوع سعد السعود بأنه خلال إقامة الباي محمد الكبير بمدينة معسكر اهتم بتعميرها وقد أمر الباي ببناء مسجد عين البيضاء من بلد معسكر وأحاط به المدرسة وتاريخ بناءه مكتوب بجانب محرابه،[2]

جلب له البنائين من كل مكان وهو مسجد جميل وقد أنشئ في ظروف كانت الجزائر في حالة جهاد وحرب مع إسبانيا،[3] وقد عانى المسجد من الغلق والإهانة والغلق قرابة سبعين عاما كاملة فاتخذه الفرنسيون مربطا لخيول جند الصبايحية ومخزنا لعلفهم ثم أجره أحد اليهود واتخذه متجرا لبيع الحبوب بل وأكثر من ذلك فقد حاول تحويله إلى بيعة يهودية غير أن كبار المدينة استعادوه وفتحوه في حدود 1910 ليؤدي رسالته الدينية والتربوية من جديد.[4]

وقد تداول عليه ثلاث أئمة من يوم فتحه، أما المدرسة المجاورة للمسجد ظلت مغلقة ومعطلة إلى غاية الساعة،[5] ويذكر أبو قاسم سعد الله أن بعض التقارير الفرنسية أعجبت لجمال بناءه ولكون منارته الرشيقة كانت تعلو جميع المنازل،[6]كان هذا الجامع من ابرز المؤسسات والمنشآت الخيرية والعلمية والدينية في معسكر كما نال إعجاب الناس في تلك الفترة فقصدوه للعبادة والتسبيح من جهة وللتنزه والنظر لجماله الفائق ورعته الهندسية من جهة أخرى.[7]

---

[1] طاعة سعد، المرجع السابق، ص 34.

[2] الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود،ج 1، المصدر السابق، ص 295.

[3] مهيرس مبروك، المرجع السابق، ص 51.

[4] جاكر لحسن، الحركة الوطنية ...، المرجع السابق ،ص 67.

[5] مهيرس مبروك، المرجع السابق، ص 53.

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق ،ص 104.

[7] رقاد سعدية، المرجع السابق، ص 126

دور هذه المساجد في الحياة الفكرية والثقافية في معسكر:

لعبت المساجد دورا كبيرا في نشر الوعي ومقاومة محاولات الطمس التي مارسها الاستعمار من خلال تعليم القرآن والصلاة وغيرها من الشعائر التعبدية وإلى جانب دورها الديني تقوم بوظائف أخرى وهي تعليم مختلف العلوم النقلية من تفسير وعلوم اللغة والبلاغة وغبرها، كما اهتمت بالوعظ والإرشاد وإصلاح شؤون المسلمين وحل مشاكلهم.[1]

اعتبرت المساجد مركز إشعاع علمي يلتقي فيها الذين تمكنوا من كسب معارفهم عن طريق رحلاتهم العلمية يطالعون الكتب ويحضرون جلسات العلم مكتسبين معارف كثيرة،[2] كما عملت في الحفاظ على الهوية الإسلامية واللغة العربية ونشر الوعي الوطني وشجعت خطب مختلف أئمة المساجد على مقاومة الاستعمار كما تخرج منها الكثير من رواد وقادة الإصلاح والنهضة ومقاومة الاحتلال فكريا وثقافيا.

2_المدارس والكتاتيب في معسكر:

لعبت المدارس التقليدية والكتاتيب في ولاية معسكر دورا محوريا في الحفاظ عل الهوية الثقافية والدينية للمجتمع الجزائري، خاصة خلال فترة الاستعمار الفرنسي التي حاول فيها الاحتلال طمس مقومات الشخصية، فقد كانت هذه المؤسسات البسيطة في مظهرها، عظيمة في تأثيرها، إذ لم تقتصر وظيفتها على تعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم، بل كانت فضاء لغرس القيم الوطنية وترسيخ الانتماء للدين والوطن في نفوس الأجيال، في ظل السياسة الاستعمارية التي سعت إلى فرض الثقافة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية والتعليم الديني، تحولت الكتاتيب والمدارس الحرة في معسكر إلى رموز للمقاومة الثقافية، وأصبحت تشكل حاضنة للنضال الفكري ضد المحتل، وقد ساهم المشايخ والمعلمون

[1] أوريندي طيب، المرجع السابق، ص 193.

[2] مبيوع أحمد، المرجع السابق، ص 51.

الذين أشرفوا على هذه المؤسسات في توعية الناس، وبث روح الصمود والتشبث بالأصالة، مما جعلها تلعب دورا لا يقل أهمية عن الكفاح المسلح في معركة الدفاع عن الهوية، وقبل التطرق وذكر أهم المدارس والكتاتيب يجب إعطاء لمحة عن مفهوم المدارس.

المدارس: من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تعمل على تهيئة الأجيال بالتربية والعلم ليساهموا في تنمية المجتمع وتقدمه.[1]

أنشأت فرنسا مدرسة عربية فرنسية في معسكر سنة 1866م بموجب قرار 1850/07/14م، وبموافقة وزير الجزائر والمستعمرات سنة 1860، وقد تطلبت عملية بناء تصويت المجلس البلدي لمعسكر سنة 1855 برئاسة المحافظ المدني ورئيس البلدية ليون لافاي Leon Lafaye، والمجلس العام سنة 1859 (6060 فرنك) كاعتمادات لإنجاز المشروع.[2]

ومن المدارس الدينية التي أسسها الفرنسيون نذكر منها ما يلي:

- مدرسة جان دارك للبنين شارع القاهرة (نواري حمو حاليا)
- المدرسة الكاثوليكية التي يشرف عليها الراهبات الثالوثيات بشارع ديلينو (بوكتاب محمد)
- مدرسة البنات التي تشرف عليها الراهبات Sœurs munutaire[3]

لدينا كذلك المدرسة المحمدية وهي من أهم المدارس بمدينة معسكر، بناها محمد بن عثمان الكبير، وتعتبر كذلك من أبرز المدارس في المنطقة وقتها، حيث كاد العلم أن يتفجر

[1] محياوي نجاة، المدرسة وتعاظم دورها في المجتمع المعاصر، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع 37/36، ص5.

[2] جاكر لحسن، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 57.

[3] جاكر لحسن ، الحركة الوطنية ....، المرجع السابق ، ص 60.

من جوانبها، ومن أهم العلوم التي كانت تدرس، كتب الفقه مثل حواشي الشيخين الزرقاني والخرشي، وكتب النحو مثل شرح الكودي ومقامات الحريري، وفي الأصول شرح المحلي، وعدة علوم أخرى كالتصوف والفلك والبيان.[1]

كما تفيدنا الوثائق الأرشيفية الفرنسية على قيام السلطات المحلية ببناء مدرسة عربية فرنسية، أخرى بدوار البرج التابع لبلدية كاشرو المختلطة سنة 1885.[2]

الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب من أكثر المركز التعليمية انتشارا في الفترة العثمانية حيث أقبل عليها عدد كبير من الجزائريين وكانت الكتاتيب تؤسس من طرف الرجال الدين وحفظة القرآن إذ كانت منتشرة في أغلب المدن والقرى الجزائرية سواء كانت جبلية أو صحراوية وتكاثرت في المدن بكثرة مفرطة حتى كانت تعد بالعشرات... وكانت تعرف في الجزائر الوسطى باسم المسيد بسكون الميم وكسر السين الممدودة وفيها يتعلم الأطفال سواء ذكورا كانوا أم إناثا من مختلف الأعمار ويجلسون على الأرض فوق الحصائر والسجاجيد في شكل دوائر نصفية فيما عليهم المدارس أجزاء من القرآن الكريم ويكتبونها على الألواح الخشبية المطلية بطين الصلصال بأقلام من القصب وصمغ من الصوف المحروق.[3]

[1] شرف عبد الحق، العرب بن علي بن عبد القادر المشرفي (ت 1895) حياته وآثاره، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، قسم الحضارة الإسلامية، سنة 2006- 2007، ص 52.

[2] اوريندي طيب، المرجع السابق، ص 249.

[3] بوشحدان هاجر، جميلي شيماء: تعليم الأهالي وتأثيراته على المجتمع الجزائري 1830- 1900م مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، جامعة 8 ماي 1945، سنة 2017- 2018، ص15.

ومن الكتاتيب التي انتشرت في مدينة معسكر نكر ما يلي:

- كتاب يشرف عليه الشيخ سرير الحاج عبد الرحمن بشارعي التجارة، وبن عمر في حي باب علي، فتح أبوابه سنة 1917 لثلاثين تلميذا، ويتشكل من غرفتين ونافذة ومدخلين.
- كتاب بشارع الشارع الكبير (الأمير عبد لقادر) بحي باب علي، تأسس عام 1911 من طرف الشيخ عداب أحمد، وحول إلى بيت عائلة قاضي بشارعي بن عمر وسيدي علي شريف سنة 1917، أما عدد تلاميذه فلا يتجاوز الثمانية عشر.
- كتاب بيع شايع لعائلة بن شنان، بشارع التجارة تأسس في جوان 1916 تحت إشراف الشيخ مقدم عبد القادر ولد محمد.[1]

دور المدارس والكتاتيب:

إن لكل برنامج تعليمي غاية وهدف يسعى الوصول إليه وسنقدم جملة من دور المدارس والكتاتيب:

- معرفة أسس العبادات والمعاملات.
- معرفة حدود الدين الشرعي.
- معرفة الحروف الهجائية.
- تسهيل عملية الكتابة بالنسبة للتلاميذ
- المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية.
- محاربة سياسة الاندماج الفرنسية والتنصير
- معرفة قصص الأنبياء والتاريخ
- الوقوف ضد فكرة تجهيل الشعب الجزائري.[1]

[1] جاكر لحسن ، الحركة الوطنية ...، المرجع السابق، ص 68.

3 _المكتبات:

تعد المكتبات فضاءات معرفية هامة لا تقل أهمية عن سابقها من مساجد ومدارس وكتاتيب وزوايا بل هي جزء لا يتجزأ منها لارتباط هذه المؤسسات بها فهي خزانات الكتب ومنبع العلم وقد أسهمت المكتبات عبر الزمن في إثراء الحياة العلمية في الجزائر عامة وبلد معسكر بشكل خاص، ويمكن إرجاع هذا التنوع والغنى في المكتبات إلى كثرة النسخ والتاليف في الفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي خاصة الفترة الأخيرة من الحكم العثماني كون اهتمام الباي محمد الكبير للعلم والعلماء وعمل على تشجيع حركة النسخ والتأليف.[2]

وذلك لأهمية البالغة للمكتبات إذ أن التعليم لم يكن مقتصرا فقط على ما يلقنه المدرس بل يتعدى إلى الاعتماد على القدرات الشخصية لطالب العلم فبدون المكتبات لا يتسنى للمساجد والمدارس القيام برسالتها التعليمية والثقافية، فبالإضافة إلى التأليف كان الاعتماد في إعمار المكتبات على جلب الكتب من الخارج خاصة من الجامعات الكبرى كجامع الزيتونة والأزهر وغيرهم،[3] ويمكن تقسيم المكتبات إلى عامة وخاصة: فالمكتبات العامة هي تلك المكتبات الملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس والتي كانت مفتوحة للطلبة خصوصا ثم لجميع قراء المسلمين.[4]

كان عدد الكتب بهذه المكتبات يقل ويكثر حسب كفاءة مسيريها وأهمية المؤسسة والوقف الذي ينفق عليها ومن أشهر المكتبات العامة في معسكر، نذكر:

أ- **مكتبة المدرسة المحمدية:** التي أسسها الباي محمد الكبير بجوار المسجد الأعظم وهي مجهزة بكل الوسائل التعليمية والتثقيفية ولا سيما قاعة المطالعة التي قصها

---

[1] صايفي راضية، دور الكتاتيب القرآنية أثناء الفترة الاستعمارية، جامعة الجزائر2، مج 6، ع1، ص ص: 115- 116.

[2] رقاد سعدية، المرجع السابق، ص 136.

[3] قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص 196.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 296.

الطلبة القراء،[1] جهزها بخزانة تحتوي أنفس الكتب والتي اشتراها من ماله الخاص وجعل كتبها من بين الأوقاف.[2]

ب- **مكتبة مدرسة القيطنة:** تسمى بمكتبة الشيخ محي الدين احتوت على كتب كثيرة تثقف بها الأمير عبد القادر،[3] ومن البديهي أن تمتلك هذه العائلة مكتبة متوارثة وذلك لما عرفت به من تقاليد عريقة تقوم على تقدير العلم والعلماء فقد بلغ عدد الكتب التي كان يمتلكها الأمير عبد القادر حوالي 5000 كتابا ومخطوط والشيء الملاحظ أن المكتبة كانت ثرية بالكتب العلمية خاصة الكتب الدينية وهذا ما سهل في عملية البحث والمطالعة وتلقي العلوم لمختلف علماء وطلبة معسكر.[4]

أما المكتبات الخاصة فهي كثيرة وليس من السهل ذكرها غير أن بعض العائلات قد اشتهرت بالمكتبات فيعود أغلبها إلى البيوتات التي نالت شهرة علمية وضخامة مكتباتها يرجع لاستمرارها الطويل بحيث يرثها الأبناء من الآباء ومن أشهرها نذكر:

أ- **مكتبة الشيخ أبوراس الناصري:** فهي من أضخم المكتبات في معسكر كما كانت تعرف باسم المصرية أو مكتبة المذاهب الأربعة، تضم أنفس الذخائر والعديد من المخطوطات النادرة وكذا المؤلفات التي ألفها أبوراس نفسه وقد كانت قبلة الكثير من العلماء والطلبة من داخل الوطن وخارجه،[5] تسمى بمكتبة المذاهب الأربعة نظرا لاحتوائها على مؤلفات أئمة المذاهب الأربعة وكان يقصدها علماء عدة من فاس ومكناس وتونس وليبيا...إلخ[6]

---

[1] رقاد سعدية، المرجع السابق، ص136.

[2] عبد القادر قرمان، المرجع السابق، ص 146.

[3] رقاد سعدية، المرجع السابق، ص 136.

[4] مبيوع أحمد، المرجع السابق، ص 89.

[5] رقاد سعدية، المرجع السابق، ص 137.

[6] حمدادو بن عمر، واقع الحياة الفكرية والثقافية أواخر العهد العثماني ببايلك الغرب، جامعة وهران، ص38.

ب- **خزانة الشيخ البشير المحمودي:** تعد هذه الخزانة واحدة من الخزانات الخاصة في معسكر التي تتوفر على عدد معتبر من المخطوطات والكتب النادرة، كان جده يمتلك كما معتبرا من المؤلفات والمخطوطات لكنها لم تسلم من يد الاستعمار الفرنسي وحرقها ولم يسلم منها سوى القليل، وبسبب اطلاع الشيخ البشير المحمودي الواسع دفعه لبذل الجهد والمال لتنويع إنتاجه في مختلف الفنون والعلوم،[1] ما يميز خزانة البشير محمدي أنه كان يضع الألوان المناسبة بحيث أن كل لون له دلالة خاصة به، شملت مكتبته مختلف المجالات كالعقيدة والفقه والأدب والمنطق والصيدلة والنحو والتاريخ، كما احتوت على 400 مخطوط أو أكثر من 1600 كتاب.[2]

ت- **مكتبة الشيخ بوكعبر بلقرد:** يدخل إنجاز هذه المكتبة ضمن منافسة الشيخ بوكعبر للشيخ المحمودي على كتاب أراد كل منهما شراءه، كما أن مكتبة الشيخ بوكعبر تحتوي على حوالي 5000 مؤلف من4 أو 5 مخطوطات أصلية نادرة.[3]

يعمل حاليا ابنه تقي الدين على دراسة وتحقيق بعض من مخطوطات المكتبة التي تحتوي على عدد كبير منها في مختلف المجالات لا سيما تلك المتعلقة بعلم الأنساب.[4]

ث- **مكتبة مدرسة المشارفة:** تعتبر من بين أهم المكتبات بمعسكر حيث يعد شيخها عبد القادر المشرفي إمام الراشدية من أبرز علماء عصره لتمكنه في

---

[1] حمدادو بن عمر، مخطوطات خزانة الشيخ البشير محمودي، جامعة وهران، ص 156.

[2] بونقاب مختار، الخزائن الشعبية في منطقة معسكر ودورها في الحفاظ على التراث والمخطوط، **مجلة العصور الجديدة**، مج 7، ع2، نوفمبر 2024، ص419.

[3] بونقاب مختار ،واقع المخطوطات الجزائرية الخاصة والمكتبات العامة، 2017، ص ص 530-546.

[4] بونقاب مختار، الخزائن الشعبية بمنطقة معسكر، مرجع سابق، ص 420

علوم الأصول والفروع ومواظبته على تعليم العلوم بزاوية الكرط.[1] تعتبر من أغنى المكتبات بالكتب والمؤلفات العلمية سواء الدينية أو العقلية التي تزود بها الطلبة خلال مراحل تعليمهم.[2]

ج- **مكتبة الأمير عبد القادر**: أولى الأمير عبد القادر أهمية بالغة وأدرك قيمة الكتب الزاخرة بزاوية القيطنة التي تعلم منها أين اجتهد الأمير في جمع الكتب من كل ناحية وكافأ كل من يحضر له مخطوط أثناء جعله مدينة معسكر هي العاصمة وأصدر أوامر بضرورة حفظ الكتب الموجودة بأيدي الطلبة وخطط لإقامة مكتبة تاقدمت وجمع لها الكتب اللازمة.[3] استولى عليها جنود العسكر الفرنسي يوم 10 ماي 1843م.[4] في معركة طاقين وسقوط الزمالة في نفس اليوم [5]

د-مكتبة الطاهر المحفوظي المعسكري: كان من علماء الوقت عند الاحتلال ثم أصبحت أسرته تعرف بأسرة (الخطيب) بعد تغيير الحالة المدنية ويقول عنه الشيخ المدي بوعبدلي: "لقد جمع خزانة كتب معظمها نقله بيده (أي نسخه).[6]

- **مكتبات أخرى**: هناك من كانت لهم مكتبات خاصة سواء كانوا علماء أم لا وممن كانوا يمتلكون مكتبات مختلفة الحجم والقيمة، نذكر: محمد الهاشمي بن بكار، الشيخ

---

[1] رقاد سعدية، المرجع السابق، ص 137.

[2] مبيوع أحمد، المرجع السابق، ص 90.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5،المرجع السابق ، ص 385.

[4] إبراهيم مهديد، المتفقون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحرب الكولونيالية الأولى1850 1912 ،منشورات دار الأديب،وهران 2006، ص28.

[5] Alexandre bellemare ;ABD- EL _ KADER ,sa vie politiqe et militaire, présentation : claude Bontems ,Editions Bouchéne ,2003 , p 77

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 387.

أبي جلال بن محلة، الشيخ أبي حامد المشرفي وغيرهم ثم بعض المهاجرين من اسرة الأمير عبد اقادر وأسرة المشرفي.[1]

- تشهد عبارات الباحثين الفرنسيين الذين شاهدوا وجمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية غداة الاحتلال أنهم كانوا مندهشين من كثرة الكتب والمؤلفات التي وجدوها ومدى تنوعها وجمالها والعناية بها. فقد اعترف بذلك أدريان بيروجرد الذي رافق الحملة الفرنسية على قسنطينة وتلمسان ومعسكر.[2] ولعل أنها تجربة مرت بها المكتبات هي التي عرفتها من الاحتلال الفرنسي وما نتج عنه من تخريب ومن هجرة كبار العلماء وقد روى الفرنسيون عن أنفسهم قصصا مثيرة عما وقع لمكتبات معسكر وغيرها، أما الكتب التي أرسلها الجنود الفرنسيون هدية إلى مكتباتهم المحلية في فرنسا لا حصر لها.[3]

دور هذه المكتبات في الحياة العلمية والثقافية في معسكر:

لقد لعبت المكتبة دورا كبيرا وفعالا في الحياة العلمية والثقافية في المجتمع المعسكري ولا زالت لحد الآن تؤدي ما عليها من أجل تسهيل عملية البحث والمطالعة للباحثين.[4]كما كان لها دور كبير في الحفاظ على المؤلفات من التلف والضياع رغم التحديات التي واجهتها مع قلة الإمكانيات الضرورية للحفاظ عليها.[5]

[1] حناني فردوس، الحركة العلمية في الغرب الجزائري1830 1940،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ و الحضارة الإسلامية،جامعة وهران 2018 2019، ص169.

[2] حمدادو بن عمر، واقع الحياة الثقافية والفكرية ببايلك الغرب، المرجع السابق، ص92.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق ص 302.

[4] حمدادو بن عمر، المرجع السابق، ص 32.

[5] بونقاب مختار، الخزائن الشعبية ...، المرجع السابق، ص 413.

ورغم السياسة الاستعمارية اتجاه الثقافة والمكتبات وما وجهته المكتبات الجزائرية بصفة عامة والمكتبات المعسكرية بصفة خاصة من مصادر للمؤلفات وتدمير المراكز الثقافية محاولة القضاء على الموروث العلمي إلا أنها ظلت صامدة في وجه الاستعمار.

4_الجمعيات والنوادي الثقافية:

قامت النخبة الجزائرية في الغرب الجزائري بتأسيس النوادي والجمعيات الثقافية على غرار المناطق الأخرى من الوطن والتي كانت تحمل في طياتها توعية الجزائريين من خلال الأنشطة الثقافية والمحاضرات وقد اختلفت مجالاتها من لإصلاحي وأدبي، رياضي سياسي...إلخ، ظهرت بداية في وسط المثقفين بالفرنسية (الإدماجين) ثم اندفع معهم عدد آخر من الثقفين بالعربية ورجال الدين فساندوهم بإلقاء محاضرات في موضوعات محددة،[1] أولت معسكر اهتمامها إلى الجمعيات والنوادي الثقافية والاجتماعية التي تعمل على نشر المعرفة والتنوير الاجتماعي وتقديم الأعمال الخيرية للأهالي،[2] وقد احتضنت معسكر على غرار باقي مدن الغرب الجزائري نوادي ثقافية محلية تميزت بجمعها لمختلف النشاطات الثقافية.[3]

ونلاحظ أن أغلب الجمعيات والنوادي كانت تحمل أسماء اجتماعية وفنية ولكن جميعها مستمدة من التراث العربي الإسلامي ومن هذه الأسماء في الجمعيات والنوادي المعسكرية نجد: الإسلامي، الديني، الإخاء، الأهلي، الاتحاد، الإرشاد.[4]

ومن بين أهم الجمعيات التي عرفتها معسكر في عهد الاحتلال الفرنسي نذكر:

---

[1] حناني فردوس، المرجع السابق، ص126.

[2] جاكر لحسن، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص78.

[3] عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 1962)ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، جانفي 2016، ص267.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص320.

أ- **نادي الشبيبة الأهلية:** تعد من أكبر الجمعيات الثقافية وأهمها في معسكر وقد تأسست عام 1927 يوم 16 نوفمبر تماشيا مع قانون 1 جويلية 1909 وكنتيجة للثورة التعليمية والتربوية التي أحدثتها الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة عام 1913 وظهور نادي الترقي في العاصمة سنة 1927.[1] أسسه بعض المثقفين الشباب، تألف مجلسه الإداري من 11 عضوا برئاسة حصية محمد، وسفير خالد نائبا وطاهر أحمد أمينا عاما، كما ضم رؤساء شرفيين من قضاة ومفتين وعلماء دين وغيرهم، وقد قدم لهؤلاء العلماء للنادي في بداية تأسيسه وقاموا بتزويد الأعضاء الشباب بالوسائل المادية اللازمة لبدء مشاريعهم.

أهداف النادي: قد حددها أعضاءه في هدفين رئيسين:

الأول: يتمثل في الحفاظ على العلاقات الودية والروابط الفكرية القائمة بين شباب معسكر وتعزيزهما.

الثاني: يصبوا إلى نشر التعليم والثقافة العربية وتطويرها باستغلال جميع الوسائل المتاحة (الدروس، المحاضرات، المؤتمرات....)[2] وبالنظر إلى صغر مقرهم المتواجد بشارع الغزالي في حي باب علي، اعتمد أعضاؤه على المسرح البلدي في تنظيم المحاضرات والحفلات للشباب المعسكري، حيث استفاد منه يوم 18 أفريل 1933، حيث قدم النادي محاضرتين تناولت الأولى أهمية اللغة العربية والتقاليد، والثانية مراحل حياة الشيخ عبده، وكان هدفها ترسيخ البعد العربي والإسلامي لدى الجزائريين من خلال دفعهم للتمسك باللغة والتقاليد والوقوف على حياة بعض الأعلام والمفكرين.

[1] جاكر لحسن، الحركة الوطنية...،المرجع السابق، ص78.

[2] أورندي طيب، المرجع السابق، ص297.

وقد تشكلت عدة نوادي وجمعيات أخرى مكملة لنشاطات هذا النادي والتي سنذكر منها:

نادي الإخاء الإسلامي: هو عبارة عن جمعية أدبية تأسست في سبتمبر 1937، واتخذت مقرها بشارع عمر، كما ضمت في صفوفها عددا من الأعضاء أمثال لومي البشير وهو رئيس النادي وهادف عبد القادر وغيرهم.[1]

جمعية الكشافة الإسلامية: تأسست يوم 28 مارس 1938،[2] انصب اهتمامها على غرس القيم الدينية والوطنية بثوابت الأمة بين الشباب المنتمين إليها، فقد نظمت العديد من التظاهرات الثقافية والعديد من الحفلات الدينية لترسيخ معنى عناصر الهوية والدين الإسلامي فنعظم نشاطاتها اتسمت بالطابع الديني والتربوي.[3]

جمعية الحمادية الإسلامية: والتي تأسست عام 1936، حيث كان رئيس مكتبها يدعى بن علي بن مغنية.

جمعية الأمل: والتي تأسست عام 1936، حيث كان يتشكل مكتبها من عدة أعضاء أشهرهم أبو بكر عبد المجيد وهو من أبرز رجال الإصلاح[4].

بالإضافة إلى بعض الأندية في المجال الرياضي والتي نذكر منها:

[1] جاكر لحسن، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 112.

[2] جاكر لحسن، ج ع م ..، المرجع السابق، ص124.

[3] أورندي طيب، الكشافة الإسلامية في معسكر، **مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، مج 18، ع1، أوت 2022، ص ص 336-460.

[4] جاكر لحسن، ج ع م...، المرجع السابق، ص 124.

- **النادي الإسلامي لكرة القدم:** وهو أول نادي رياضي حمل اسم "إسلامي" خلال عهد الاستعمار الفرنسي، تأسس في جانفي 1913 وكان الرئيس الشرقي للنادي عبد القادر بن معمر.
- **نادي غالية معسكر:** تأسس في 26 جوان 1925 وهو لا يزال نشطا لغاية اليوم.[1]

[1] أوريندي طيب، الواقع الاجتماعي والثقافي ...، المرجع السابق، ص-ص 294-295.

ثانيا: رجال الفكر والثقافة في معسكر (1830- 1962م)

لا يمكن الحديث عن الحياة الفكرية والثقافية في منطقة معينة دون التطرق لروادها وقادتها من رجال الفكر والمعرفة لأن الأمة لا تبن إلا بالعقول فهؤلاء يشكلون اللبنة الأساسية في بناء الوعي الجماعي وتوجيه المجتمع نحو التقدم والثبات على المبادئ من خلال أفكارهم، يزرعون القيم ويصححون المفاهيم، لذلك حين تذكر أمة قوية فاعلم أن وراءها رجال فكر وقفوا ونهضوا بالمجتمع، وهذا ما هو عليه في منطقة معسكر التي لم تكن لتصمد في وجه محاولات الطمس والإقصاء لولا رجالها من أهل الفكر والعلم، فقد شكلوا ركيزة أساسية في الحفاظ على الهوية المحلية وكان لهم دور محوري في ترسيخ القيم الوطنية.

وسنحاول من خلال هذا الجزء أن نسلط الضوء على بعض النماذج المشرفة من رجالات الفكر والثقافة في هذه المنطقة الذين كان لهم أثر بارز في مسارها الثقافي والوطني لنبين كيف أسهموا في حماية هويتها رغم ظروف الاستعمار القاسية.

1_مصطفى بن التهامي(النسب و المولد):

هو الحاج أبو عبد الله مصطفى بن أحمد التهامي بن محمد القاضي بن تهامي بن سيدي أحمد الملقب بومعزة بن سيدي عبد الله بن سيدي سحنون بن سيدي أحمد بن علي، وبعد بحث ومقارنة تبين أن هذه السلسلة فيها سقط وأن الأصح في نسبه هو كالآتي: أبو عبد الله مصطفى بن أحمد بن التهامي بن أمحد الملقب أبي معزة بن عبد الله بن سحنون بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي.[1] تعد أسرة ابن التهامي من أشهر الأسر على المستوى

[1] بوكعبر تقي الدين، نيل الأماني ونشر التهاني بترجمة الشيخ مصطفى بن التهامي البوعمراني أو مصطفى بن التهامي حياته وآثاره، فهرنايت 451، للنشر والتوزيع، ص8.

الراشدي بل والقطاع الوهراني منذ العهد العثماني، فهي أسرة شريفة مرابطية، ودينية علمية، بل وأرستقراطية، فهي ذات مال ومتاع وأراض زراعية.[1]

كما ينتمي الخليفة مصطفى بن التهامي إلى أسرة الأمير عبد القادر، فهو ابن عمته وصهره، كما أنه من أشراف غريس، ينتمي إلى أولاد أحمد بن علي، وهم من الأوائل الذي استقروا لمنطقة غريس، وتعود أصولهم إلى وطن بني عامر، وكان والده المدعو أحمد من علماء المنطقة حيث تولى الفتور في وهران خلال العهد العثماني وعرف بشيخ الجماعة.[2]

كما اشتهرت العائلة باسم "أولاد القاضي" لاشتهار أفرادها بتولي خطة القضاء جيلا بعد جيل، منذ عهد البايات، ثم عهد الأمير عبد القادر وحتى فترة الاحتلال الفرنسي، لهذا فإن دوار أولاد التهامي يقال له دوار "التهايمية". ويختصر تسهيلا بـ "التهايمية"، ويقال له أيضا دور "أولاد القاضي"، الكائن ضمن مجال الحشم الشراقة بسهل غريس.[3]

يقول الشيخ الطيب بن المختار القداوي: "ومنهم أولاد سيدي أحمد بن علي، وهؤلاء الأشراف بتصل نسبهم بمحمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم..."، وهم دار علم وجلالة وجاه عظيم، وقبيلتهم في القديم مشحونة بالعلماء والأقطاب، وقال الشيخ محمد بن الأعرج السليماني في كتابه "اللسان المعرب" ما نصه: "بيت آل سيدي أحمد بن علي بن عيسى الصقليين الحسينيين، بيت للعلم والولاية والمجد والعناية".[4]

---

[1] بن نعوم صلاح الدين، العلامة مصطفى بن التهامي الصدر الأعظم للأمير، دار نور، ص5.

[2] زاير عبد القادر، مبخوت بودواية ،مساهمة الخليفة مصطفى بن التهامي في المقاومة الوطنية 1832- 1847م، جامعة تلمسان، المركز الجامعي (النعامة)، **الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، ع السادس، ديسمبر 2017، ص64.

[3] بن نعوم صلاح الدين، العلامة مصطفى...، المرجع السابق، ص5.

[4] نفسه ،ص5-6.

ولد مصطفى بن أحمد التهامي بمعسكر سنة 1205 هـ الموافق لـ 1788م، [1]في دوار أولاد القاضي بين سيدي قادة وتغنيف حاليا.[2]

في حين تعددت الروايات واختلف المؤرخون حول ضبط تاريخ ميلاده، فيذكر أنه مولود حوالي سنة 1796م،[3] في حين أشار أحد الفرنسيين أن عمره خلال مرحلة الأسر بأمبواز وبالضبط بتاريخ 1851م كان في الأربعين ما يجعل تاريخ ميلاده في حدود 1811م أي تقريبا في نفس عمر الأمير عبد القادر.[4]

تميز مصطفى بن التهامي بالعلم والأدب فكان مدرسا وشاعرا وفقيها، وكان محبا للكتب، تولى وظيفة التدريس في معسكر، لم يكن له ميل للشؤون الإدارية بالرغم من شجاعته الحربية، ولكنه تولى تسيير الشؤون الإدارية والسياسية والعسكرية في مقاطعة معسكر، في إطار المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر.[5]

وصفه العربي المشرفي فقال: "الحاج مصطفى بن التهامي فهو شفيع سيبويه في النحويات له الفهم الثاقب والرأي الصائب لا يجارى في علم العروض وفي المعقولات". ووصف بـ: "الشيخ الفقيه الأديب الذي أخذ من كل علم أوفر نصيب".[6]

وأشار ليون روش أن عينيه تشبهان عيني الأمير عبد القادر، نادرا ما يتكلم وينظر دائما نحو الأرض، إذ قال ما نصه: "إن طبعه هادئ وصارم وفي نفس الوقت يحب النظام. عينه تشبه عين الأمير عبد القادر، قليلا ما يتكلم وإذا تكلم لا يرفع عينيه، يحب السلام والراحة

---

[1] لونيسي ابراهيم ، مصطفى بن التهامي عالم ورجل الدولة، **ضمن مجلة عصور**، ع3، جوان 2003، ص

[2] بوكعبر تقي الدين، نيل الأماني ...،المرجع السابق، ص 30.

[3] بن نعوم صلاح الدين، سيرة الخليفة الحاج مصطفى بن أحمد بن التهامي، **مجلة محكمة نصف سنوية تعنى بقضايا الفكر والتراث الإسلامي**، ع16، سنة 2020، ص 217.

[4] نفسه، ص ص: 30-31.

[5] زاير عبد القادر، مبخوت بوداوية، المرجع السابق، ص64.

[6] بوكعبر تقي الدين، نيل الاماني...، المرجع السابق، ص37.

وكان مخلصا للأمير في السراء والضراء وكان يعتمد عليه خصوصا في شؤون تسيير الدولة لسدادة رأيه، وهو يعد من كبار العلماء والكتاب في عصره.[1]

آثاره العلمية:

استأنف الشيخ مصطفى نشاطه العلمي بدمشق الشام، وكان يعرف لدى أهلها لمصطفى المغربي، فتصدر لفتوى المالكية والتدريس بالجامع الأموي، فدرّس التفسير، وتفوق فيه على نظرائه من العلماء.[2] ومما ينسب للشيخ مصطفى بن أحمد التهامي مذكراته حول الأمير عبد القادر التي حققها كل من الشيخ المرحوم يحي بوعزيز والدكتور محمد الصغير بناني على ما في تحقيقها من خلاف في ضبط بعض الألفاظ، هذا الأخير رجح أن يكون الأمير اشترك مع بن التهامي في كتابة هذه المذكرات، الأمر الذي استبعده الشيخ المرحوم شيخ المؤرخين وفخر المتأخرين أبو القاسم سعد الله.[3]

قال الشيخ الشطي محمد جميل الشامي: "العالم العلامة الحبر الفهامة، كان إماما تحريرا مفننا في العلوم النقلية والعقلية، تفسيرا وحديثا وفقها ولغة، فردا في العلوم العربية، أديبا شاعرا عابدا زاهدا".[4]

ترك ابن التهامي آثارا علمية معتبرة منها: "سيرة الأمير عبد القادر وجهاده"، وشرح "منظومة العقيقة" للشاعر الشعبي الشهير سعيد المنداسي، وأرجوزة من نوع "الغوثية"، صور فيها أوضاع الأمير ورفاقه بسجن أمبواز، وتحتوي هذه المنظومة على 530 بيتا، قال في مقدمتها: "ومما قلته مع الرضا، والتسليم للقدر والقضاء، متوسلا متضرعا، معترفا مشرعا،

[1] بوكعبر تقي الدين، المرجع السابق، ص36.

[2] بن نعوم صلاح الدين، سيرة الخليفة...، المرجع السابق، ص222.

[3] بوكعبر تقي الدين، نيل الأماني...، المرجع السابق، ص 135.

[4] بن نعوم صلاح الدين، العلامة مصطفى...، المرجع السابق، ص30.

مفضلا في الوسائل تارة راجيا النفع لي ولكل من دعا بها مبتذلا ومؤملا حصول كشف الغمة " ويقول في بعض أبياتها بعد التوسل بالأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين:

يا غوث وقتنا إليك يشكو أميرنا ومعشر فيبكو

يا صاحب التصريف في الأمور وكافلا بشأنك المأثور

إلى جانبك السني أشفع بأولياء الله ثم أرفع

وسيلتي إلى الشفيع المرتضى محمد الرفيع.[1]

نتيجة اجتهاده في تحصيل العلم وأخذه من ينابيعه الصافية تبوء الشيخ مكانة مرموقة أهلته ليدرس في أعرق الزوايا بوطن غريس، ويتولى مناصب مهمة في دولة الأمير عبد القادر،[2] عينه الأمير كاتبا له، ورئيسا لديوان الإنشاء، وتولى قيادة جيش الأمير في عدة جهات من الوطن بالمدية، والجلفة، وبوسعادة والمسيلة، ومجانة وسطيف، وعين تاغروط، وبسكرة، وخاض معارك كثيرة في التل والصحراء والهضاب العليا.[3] وكان شأنه شأن الأمير عبد القادر الذي زاوج بين الجهاد العسكري وتدريس علوم الدين في محلته ورحلاته ونزوله بأمصار بلاده على ما تمليه ظروف بناء الدولة وجهاد العدو، فنجده وخليفته وغير واحد من رجاله يلقون دروسا في الفقه والتفسير والحديث متى سنحت لهم الظروف بذلك. وحسبك من صحيح البخاري الذي ختم الأمير مجلسه عدة مرات.[4]

تم تعيين ابن التهامي كخليفة على مقاطعة معسكر بعد مقتل خلفتها محمد بن أبي فريجة المهاجي في بدايات 1836م، وكانت معسكر تشكل في تلك الفترة المقاطعة الثانية

[1] بن نعوم صلاح الدين،سيرة الخليفة...،المرجع السابق، ص 223

[2] تقي الدين بوكعبر، نيل الأماني...،المرجع السابق، ص 43.

[3] يحي بوعزيز، أعلام الفكر...،ج1، المصدر السابق ،ص 247.

[4] بن نعوم صلاح الدين، العلامة مصطفى...، المرجع السابق، ص16.

في دولة الأمير عبد القادر، وهي تمتد من الصفصاف حتى وادي الفضة، أحد الروافد اليسرى لنهر الشلف، وبذلك أصبح مصطفى بن التهامي يجمع بين منصبين اثنين إذ كان في الوقت ذاته يشغل منصب رئيس الديوان في مجلس الشورى الأعلى.[1]ومهمة هذا المجلس هي إصدار القوانين الأساسية لتسيير شؤون الدولة.[2]

اتبع الخليفة مصطفى بن التهامي تعليمات الأمير عبد اقادر فيما يخص الترتيبات التي تخص التنظيم ومسألة التطوع في حيش المقاومة الشعبية الوطنية، المتكون من أبناء الشعب، وتأهيلهم في إطار المقاومة وتوسيع نطاقها لصد توغل الاحتلال الفرنسي داخل مقاطعته، بالإضافة إلى تجهيزهم وتموينهم بمراعاة الظروف التي قامت عليها الدولة.[3]

وبعد سقوط مقاطعة معسكر أخذ مصطفى بن التهامي يسير مع الأمير عبد القادر ويشارك معه في كل ما يقوم به إلى غاية أبريل 1846م حيث عينه الأمير قائدا على الدائرة خلفا للبوحميدي الذي كان قائدا عليها في الفترة ما بين 19 أكتوبر 1845م و10 أبريل 1846م، ولقد جاءها ابن التهامي قادما من الصحراء بعد أن شارك إلى جانب الأمير عبد القادر في معركته ضد القوات الفرنسية بقيادة الجنرال يوسف في جبل عمور، واحضر معه عددا من الجرحى والمعطوبين، ووجد ابن التهامي عند وصوله إلى الدائرة الأوضاع فيها جد متدهورة.[4]

[1] لونيسي ابراهيم، المرجع السابق، د. ص.

[2] نفسه، د.ص.

[3] بن نعوم صلاح الدين، مساهمة الخليفة...، المرجع السابق، ص 65.

[4] لونيسي ابراهيم، المرجع السابق، د.ص.

وفاته:

توفي مصطفى بن التهامي سنة 1283هـ/ 1866م بدمشق أين دفن في مقبر الدحداح،[1] وتاريخ وفاته مثل ميلاده اختلف فيه المؤرخون فيذكر الشيخ المهدي البوعبدلي رحمه الله أنه توفي على رأس الثمانين بعد المائتين والألف 1280 هـ، في حين ذهب أبو القاسم سعد الله رحمه الله وعبد المنعم القاسمي الحسني في تحقيقه لذخيرة الأواخر وعمار هلال على أنه توفي سنة 1283 هـ- 1866م.[2] بينما يقول الدكتور يحي بوعزيز عن ابن التهامي: " ولا ندري متى وأين توفي كما لم نعرف متى ولد".[3]

وقد أرخ وفاته الشيخ عبد السلام الشطي بقوله:

قد مات شيخي من غدا يروي أحاديث النبي

حبر همام ناسك ومالكي المذهب

يا طلما أحيا الدجى في صالحات القرب

ابن التهامي مصطفى من أرخوه المغربي.[4]

الأمير عبد القادر(النسب و النشأة):

يعد الأمير عبد القادر من أبرز رموز المقاومة الجزائرية في وجه الاستعمار الفرنسي، وقائدا فذا جمع بين الشجاعة، والحكمة والعلم سطر اسمه في التاريخ بفضل نضاله من أجل حرية الوطن، وسنتعرف عليه وعلى أهم مراحل حياته في هذا المبحث.

هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن مختار بن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد المهور بإبن خده بن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد

[1] بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر 1830- 1954، **سلسلة المشاريع الوطنية للبحث**، ص476.

[2] تقي الدين بوكعبر، نيل الأماني...، المرجع السابق، ص 145.

[3] د. يحي بوعزيز، اعلام الفكر والثقافة ،ج2، المرجع السابق، ص 247

[4] بن نعوم صلاح الدين، سيرة الخليفة...، المرجع السابق، ص 224.

القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر ابن إدريس الأكبر بن عبد الله المحصن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم.[1]

ولد الأمير عبد القادر في 15 من رجب سنة 1222 هـ / سبتمبر 1807م، وكان رابع إخوته، بمقر رأسه بالقيطنة الواقعة على سفح جبل استانبول على الجانب الأيسر لوادي الحمام وعلى بعد حوالي عشرين كيلو مترا عن مدينة معسكر.[2] وقد تضاربت المراجع والمصادر حول تاريخ ميلاده على سبيل المثال:

في كتاب "الأمير عبد القادر الجزائري" للدكتور بسام العسيلي يقول: "ولد مع ولادة ربيع الحياة في يوم من أيام شهر أيار –مايو– سنة 1807م.[3]

وفي كتاب Colonel Cherchell, Life Of ABDELKADER يقول: "ولد عبد القادر نبرالديس الابن الرابع لعبد القادر محي الدين، في شهر مايو 1807م، في قرية العائلة أو الكتات، على ضفاف نهر الحمام، تقع هذه المنطقة في قضاء غريس، التابع لولاية وهران في الجزائر.[4]

[1] علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 100.

[2] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع والشعر، مكتبة الإسكندرية، 200، ص 155.

[3] بسام العسيلي، الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، بيروت، ص 17.

[4] Colonel churchill, The Life of ABDELKADER, Sultan of Arab of Algeria, written from this own Dictation, and Hall, 193, Piccadilly 1867, P1

بينما في كتاب Henri Teissier l'Emir Abdelkader يقول: تردد العلماء في البداية بين عامي 1807 و1808 كعام ميلاد عبد القادر لكنهم يتفقون الآن على الالتزام بعام 1808م.[1]

منذ طفولته كان عبد القادر موضعا خاصا لحب والده، حتى عندما كان في الرضاعة فإن الوالد الحنون كان يصر دائما على أخذ الطفل إلى حضنه وكان لا يسمح لأحد غيره أن يقوم بالعناية به، فقد كان هناك على ما يبدو سر غامض وعاطفة غير محددة يدفعان الأب إلى أن يخصص اهتماما غير عادي بالطفل الذي سيكون مستقبله محفوفا بهالة مجيدة ومرتبطا بمستقبل بلاده.[2]

تلقى تعليمه الأول في كتاب الزاوية وبعض شيوخ الزاوية فأجاد حفظ القرآن واستوعب مبادئ العلوم الدينية واللغوية، بعدما ارتحل وهو مراهق ولم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره.[3]

أرسله والده إلى وهران للدراسة في مدرسة يسيرها (سيدي أحمد خوجة) غير أن الأمير نفر من أسلوب الدراسة بقدر نفوره من حياة وهران فلم يستقر أكثر من سنة ليعود بعدها إلى القيطنة حيث كلف سيدي أحمد بن الطاهر قاضي أرزو بتدريسه وإطلاعه على العلوم الحديثة.[4]

---

[1] Henri Teussier, L'Emir Abdelkader, Institut Du Monde Arabe, 2020. P18.

[2] Colonel Cherchel, Op cit, P39.

[3] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير....، المرجع السابق، ص 155.

[4] بسام العسيلي، المرجع السابق، ص 20.

لم يكن الأمير غير زوجة واحدة وهي قريبته خيرة ابنة سيدي علي أبو طالب، التي استشارها حين قرر المقاومة من أجل معرفة ما إذا أرادت البقاء في القيطنة، تزوج لاحقا بامرأتين هما عيشة ومباركة وأنجبت الزوجتان ثلاثة عشرة ولدا وستة بنات.[1]

تمت مبايعته من طرف السكان، تحت شجرة الدردار الضخمة بقرب معسكر في شهر نوفمبر عام 1832م، فحددوا له مهمته بقولهم: "إننا في حاجة لمن يقود سفينتنا ويقف في وجه العدو في الداخل والخارج ليذيقه العذاب". ولهذا اتفق العام والخاص على إسناد الإمارة لعبد القادر بن محي الدين فكان أبوه محي الدين أول المبايعين له، فأطلق عليه لقب "ناصر الدين".[2]

أعمال الأمير عبد القادر:

كان عبد القادر يولي اهتماما خاصا للثقافة، كان يشجع إحداث المدارس سواء في المدن أو الأرياف، وكان يعلم فيها، بالإضافة إلى القرآن القراءة والكتابة والحساب. كان هذا التعليم مجانيا وكان في استطاعة التلاميذ الموهوبين مواصلة دراساتهم في المساجد والزوايا حيث يلتقون من طرف الأساتذة دروسا في التاريخ واالإلهيات والبلاغة، وكان لأولئك الطلبة رواتب منتظمة وقد لخص عبد القادر السياسة الثقافية في قوله: "كان تشجيع التعليم يظهر بالنسبة لي أساسيا إلى درجة أنني توصلت أكثر من مرة على العفو عن مجرم محكوم عليه بالإعدام للسبب الوحيد وهو أنه طالب".[3]

[1] ع. بن أشنهو، الدولة الجزائرية في 1830 ومؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر، تر: لعراجي نور الدين، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، 2013، ص 89.

[2] آسيا نعيم، الشخصيات الجزائرية (100 شخصية)، دار المسك للنشر والتوزيع، 2008، ص 18.

[3] محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830- 1954م تر: محمد المعراجي، الأكاديمية الجزائرية للمصادر التاريخية، ص79.

لقد سهر عبد القادر بصفة خاصة على المحافظة على المخطوطات فطلب من الجزائريين أن يجمعوا المخطوطات القيمة في مكتبة قد أسسها الفرنسيين قد دمروها.[1]

وخلال فترة السلام في دولته 1837- 1839م بقيت مناهج التعليم ومواده على حاله إنما تدريسها أصبح مهمة فقهاء القبائل والزوايا في مراحلها الابتدائية والثانوية والعالية، وبذل الأمير كل قصارى جهده في جمع الكتب والمحافظة على المخطوطات من الضياع وحرص على ذلك بنفسه فكان يقدر جيدا الزمن الذي يلزم لكتابة نسخة واحدة فالحفاظ عليه أفضل من بذل ذلك المجهود الذي يجدر توجيهه لمساعي وعلوم جديدة وبالإضافة إلى تقديم عقوبات كل من يتلف ويفسد مخطوطا.[2]

ومما كتبه المرحوم عبد الرحمن الجيلالي: "لقد حدثنا التاريخ عن كثير من الإنجازات التي حققتها دولة الأمير عبد القادر الفتية، فلقد كان الرجل عالما مشاركا ومن شأن العالم أن يعمل على نشر العلم وبث أصناف المعرفة بين الناس، فكان الأمي عبد القادر يدور حول محور العلم والدين ويجل العلماء ويكرمهم فيجزل لهم العطاء، وأعفى طلبة العلم من الانخراط في سلك الجندية ليتفرغوا لطلب العلم، بل وأعفاهم من كل مطالب الدولة وواجباتها، وكان تمام عنايته بالعلم وأهله أن استقدم العلماء من الآفاق حتى من الأجانب عن دولة الإسلام ممن كانت لهم خبرة ومعارف تقنية، وكثيرا ما كان يباشر بنفسه إلقاء دروس في مختلف أنواع علوم الأدب والشريعة والتصوف والفلسفة والكلام، وهو إذ ذاك في حالة حرب ونزال، وكان يربأ بنفسه عمن لا يأنس منه ميلا للعلم، وذلك مما كان باعثا قويا للطلبة على الاجتهاد في تحصيل العلم والإقبال على مجالس العلماء.[3]

---

[1] محفوظ قداش ،المرجع السابق، ص 79.

[2] عجاتي حسام الدين: الأوضاع الثقافية ببايلك الغرب أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال (1847- 1792م) مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، سنة 2016- 2017، ص 99.

[3] قوراري سليمان، شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلا ل بعض المؤلفات، **مجلة الحقيقة**، ع31، ص70.

كانت دروس عروض الشعر والبيان والبلاغة وفن القريض أكثر ما يسترعي اهتماما عبد القادر، واكتشف بفضل السي أحمد العبقرية العربية عب كبار شعراء الأندلس مثل ابن زيدون أو ابن هانئ، أو عبر المشارقة الأكثر تعقيدا وبراعة مثل أبي تمام أو المتنبي، ومن جينها لم يمر عليه يوم دون ن يكتب بعض أبيات من الشعر.[1] ففي معركة خنق النطاح (أواخر ذي الحجة 1247 هجرية) 29 من ماي 1832م سجل الأمير عبد القادر موقفه في قصيدة ملحمية رائعة نقتطف منها هذه الأبيات:

ألم تر في خنق النطاح نطاحنا غداة التقينا كم شجاع لهم

وأشقر تحتي، كلمته رماحهم ثمان ولم يشك الجوى بل وما التوى

شددت عليه شدة هاشمية وقد وردوا ورد المنايا، على الغوى.[2]

ومن أشهر مؤلفاته نذكر:

- ديوان الأمير عبد القادر.
- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.
- المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام.
- المواقف في الوعظ والتصوف والإرشاد.[3]
- مذكرات الأمير

[1] برونو إتيين،عبد القادر الجزائري،تر: ميشيل خوري،عطية للنشر و الترجمة،ط1،بيروت لبنان،1997، ص 73.

[2] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير...، المرجع السابق، ص 120.

[3] بوكعبر تقي الدين، المجموع الميسر لمدونات أنساب والتراجم بفضاء الراشدية معسكر، دار السادة المالكية، ص 209.

وفاته:

انتقل إلى جوار ربه ليلة السبت 24 أيار 1883م في مصيفه في ضاحية دمر، قرب مدينة دمشق، وف اليوم التالي نقل إلى بيته في دمشق وصلي عليه في جامع بني أمية، ودفن في الصالحية في مدفن الشيخ محي الدين العربي، سارت جنازته على الطريقة الصالحية حتى بلغت دار الحكومة حين استقبل النعش هناك قناصل الدول جميعا بالألبسة الرسمية مع جميع أمراء العسكرية والملكية وكان عدد الذين ساروا خلف النعش ثلاثون ألفا عدا الواقفين بالطرق وعلى الأبواب والنوافذ عجزا عن اختراق الصفوف.[1]

وهكذا رحل الجسد ولم ينقطع نسل الثورة وأصله في الجزائر من روحه في المقاومة وعند استقلال الجزائر نقل جثمانه إلى مقبرة العالية يوم 05 جويلية 1966م.[2]

2_الشيخ محمد بن الأعرج السليماني المعسكري(النسب و النشأة):

مَحمد فتحا- بن عبد القادر السليماني الحسني المعروف بابن الأعرج المعسكري الحسني، كانت ولادته ثمانية وأربعين ومائتين وألف.[3]

وقيل أنه ولد في 1863 أي في عام 1287. ولد بفاس بعد ما هاجر إليها والده.[4] تلمساني الأصل، هاجر أبوه برفقة عائلته وهو صغير من بلده الجزائر وحيث كان يقطن بمنطقة معسكر بغريس سنة 1894 متوجها إلى المغرب، وكان أبوه رجل علم في الفقه، عاد

[1] جواد مرابط، المرجع السابق ، ص 51.

[2] أمينة مزياني، يوسف رفيدة، المرجع السابق، ص 66.

[3] عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، نسل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال فهرس الشيوخ، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، ص 10.

[4] بوكعبر تقي الدين، رسالة الشيخ محمد بن الأعرج السليماني الغريسي في تاريخ وانساب غريس، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، المجلد 18، ع12، جامعة يحي فارس، الجزائر، جوان 2022، ص268.

إلى الجزائر واستقر بتلمسان لفترة ثم عاد إلى وجدة سنة 1911 واستقر بها[1] والده الشيخ العلامة الفقيه المتصوف العابد الخير الذاكر المتهجد الصابر.[2]

يسمى بالشيخ محمد بن عبد القادر ولد رحمه الله سنة 1832 بمسقط رأسه بغريس ومن قرابته السيد الأعرج بن محمد بن فريحة وهو من بين الأوائل المبايعين للأمير عبد القادر عند شجرة الدردارة، ويظهر أنه ابن عمه.[3]

كان والده الشيخ ابن الأعرج رجل علم في الفقه واللغة العربية، وورث الابن عن أبيه ملكة الشعر والكتابة، عرف بصداقته للمصلح والشيخ محمد بن الحسن الحجري الثعالبي،[4] بعد استقرار الشيخ ابن الأعرج في فاس بعيدا عن أي صراعات عسكرية ولكون الجزائريين استطاعوا في أغلب الأحيان الانسجام في المحيط الجديد الذي لم يكن غريبا عنهم، ففاس كانت قبلة الكثير منهم لطلب العلم.[5]

درس بالقرويين وبعد تخرجه زهد في العديد من الوظائف واتخذ التجارة مصدر قوت له وعاد إلى الجزائر كما ذكرنا ثم استقر بتلمسان لفترة ثم عاد إلى المغرب مجددا واستقرا هناك.[6]

يذكر الدكتور يحي بوعزيز بأنه كان له دور مؤثر في الحياة الفكرية والثقافية لمنطقة معسكر،[7] واصل الشيخ تعليمه فأخذ عن أهم مشايخ وعلماء فاس مختلف العلوم والفنون ثم

---

[1] حورية بابه، ميلود كهينة، مساهمة بن الأعرج السليماني الغريسي في المقاومة الثقافية المغربية، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات**، مج 8، ع3، جوان 2023، جامعة الوادي، ص 52.

[2] عبد السلام ابن سودة، نسل النصال للنضال...، المصدرالسابق، ص 10.

[3] بوكعبر تقي الدين، رسالة الشيخ محمد بن الأعرج ...، المرجع السابق، ص268.

[4] بوكعبر تقي الدين، رسالة الشيخ محمد بن الأعرج التلمساني...، المرجع السابق، ص268.

[5] نفسه، ص 269.

[6] حورية بابه، ميلودي كهينة، المرجع السابق، ص 53.

[7] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج 2، ص 230.

تصدر التدريس والتعليم حيث حول بيته لمدرسة علمية تخرج منها كبار العلماء حيث قال عنه ابن سودة تلميذ بأنه أخذ عنه بداره التي كان يسكنها وتبرك به والفضل يرجع إلى الشيخ ابن الأعرج.

وقد تعلم على يد الكثير من العلماء والمشايخ فنهل من معين علومهم واستفاد من معارفهم الواسعة مما أسهم في تكوين فكره وصقل مهاراته العلمية ومن بين أبرز هؤلاء المشايخ الذين تتلمذ عنهم واغترف من علمهم نذكر: والده الشيخ محمد بن الأعرج والشيخ أحمد المرنيسي والشيخ محمد بن عبد الواحد ابن سودة وعن الشيخ أحمد بناني وغيرهم، وأخذ الطريق على الشيخ أبي زيان أحمد الغريسي.[1] واستطاع كذلك تأسيس أسرة حيث أنجب ابنه شيخ محمد وكذلك ابن أسماه عبد المالك يظهر أنه ولد في 1914 وتوفي في 1977.

تعتبر الفترة التي ولد بها الشيخ محمد جد هامة وخطيرة في تاريخ الجزائر ونظرا لهذه الظروف المتمثلة في وقع البلاد تحت نار قوات الشر الفرنسية وانطلاق المقاومة الشعبية والرسمية تحت لواء دولة الأمير عبد القادر، فإنه يصعب في كثير من الأحيان معرفة حيثيات وتفاصيل بعض الشخصيات كشخصية ابن الأعرج التي لم يعرف منها سوى الحياة الأسرية والتعليمية، ويذكر أن ابن الأعرج أن والده كان في زمالة الأمير عبد القادر لما سقطت في يد دومال وعمره الـ 10 سنوات وهذا كان في يوم 15 أفريل 1843، في هذه المعركة حاول والده إنقاذ أسرته فهرب بها نحو الجنوب وبقي هو في الزمالة واستشهد هناك، وأصبح ابن الأعرج في كفالة خاله الذي هاجر بأسرته إلى فاس بعدما تعرض له الجزائريون إثر سقوط الزمالة.[2]

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق،ج 2، ص 230.

[2] بوكعبر تقي الدين، المرجع السابق، ص 270.

أعماله:

هو مؤرخ وله اشتغال بالأدب وله العديد من النظم ومجموعة من المحاضرات في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ومجموعة من مقالات في التاريخ العام وديوان الشعر.[1] هو علامة مشارك شاعر مجيد له تآليف عديدة كلها في تاريخ المغرب ولد ديوان شعر في مجلد وترجمة للعديد من المؤلفات[2] وبما أنه عايش العديد من الأحداث السياسية التي شهدتها كل من الجزائر والمغرب أسس "نادي الشبيبة الجزائرية" وكان يضم العديد من العملاء والمفكرين المتحسرين على أحوال بلاد المغرب العربي محاولين نشر الوعي الوطني،[3] ومن بين أهم مؤلفاته نذمر: "زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ" الذي يقع في 4 مجلدات صنف المجلد الأول منه المسمى: "الليان المعرب عن تهافت الإسبان وفرنسا عن المغرب" في خزانة إدريس ابن الماحي الإدريسي الحسني.[4] وقد ورد كتاب زهرة التاريخ في 3 أسفار تكلم فيه على دول شمال إفريقيا.[5] يحتوى على 1847ص.

أما الكتاب الثاني فهو كتاب "تسهيل المطالب لبغية الطالب" وهو شرح على نظم بغية الطالب للشيخ سيدي عيسى بن موسى التوجيني، ذكر الشارح في المقدمة أن والده أمره بذلك، تكلم فيه عن سكان غريس والأشراف والعلماء والصلحاء من غريس والراشدية وقد

[1] حناني فردوس، المرجع السابق، ص352.

[2] عبد السلام ابن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن 13 و14، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الجزء2، ط1، 1997، ص 441.

[3] حورية بابه وميلودي كهينة، المرجع السابق، ص 53.

[4] حناني فردوس، المرجع السابق، ص 352.

[5] ابن سودة، إتحاف المطالع...، المصدر السابق، ص 441.

أطلق على شرحه هذ الاسم: "تسهيل المطالب لبغية الطالب" وتحدث من خلاله أيضا على شيوخه في المغرب وفي معسكر.[1]

كما له كتاب يسمى: "مفتاح الأصول على بناء الفروع" أو "دليل المدارس الحرة بحومة راس الجنان بفاس" وضعه سنة 1922، وأخيرا رسالة في أصل البربر.[2]

وقد خص ابن الأعرج الجزء الثاني من كتابه "زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ" للحديث عن الجزائر وقد سماه: "تاريخ المغرب الأوسط" ويبلغ عذا العمل 429 صفحة وتوجد من الكتاب نسخة كاملة عند اسرة المؤلف، وقد خص أيضا الجزء الثاني من كتابه "اللسان المعرب" بأخبار الجزائر وما جرى لحكامها مع الدول الأجنبية والسفر الأول ينتهي عند الأمير عبد القادر ومعنى ذلك أنه يتضمن العديد من الأخبار عن الجزائر.

ويذكر أبو القاسم سعد الله أن لابن الأعرج السليماني ثقافة سياسية معاصرة وهو واسع الاطلاع ويتمتع بعاطفة وطنية واضحة وشعور إسلامي فياض وكان يعيش أيام أزمات وصراعات وكل ذلك أثر فيه فكتب عمله من وحي زمانه.[3]

جسدت كتاباته وقصائده نزعته التحررية والبعد الإصلاحي في شخصيته وبين أشهر قصائده قصيدته التي يدعو فيها إلى التمسك بالدين بعنوان: "حماة الدين" جاء في مضمونها:

أليست أمتي فقدت حجاها وهذا عزها وشك الذهاب

حماة الدين هبوا من سبات فمركزنا يؤول إلى الخراب

تركنا الدين خلفنا لا نبالي ولم نترك لنا غير انتساب

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ج7، ص 327.

[2] بوكعبر تقي الدين، رسالة الشيخ ابن الأعرج السليماني...، المرجع السابق،ص274.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج7، ص408.

يقول الشامتون هم أضاعوا كتابهم ويا حسن كتاب

كما ترك مجموعة من القصائد الشعرية نشرت في العديد من الكتب والمجلات وبعضها لم ينشر.[1]

توفي الشيخ ابن الأعرج بفاس عام 1922م.[2]

الشيخ بلهاشمي بن بكار(النسب و النشأة):

يلقب بمفتي حاضرة معسكر ،يقول بلهاشمي بن بكار (أنظر الملحق رقم 04)عن نفسه أنه محمد بلهاشمي بن أبي بكر بن عبد القادر بن بكار بن محمد بن الهاشمي بن علي المكنى أبو شنتوف بن سحنون بن أحمد بن محمد بن أحمد صاحب المزارة المشهورة المعروفة بمزارة سيدي علي بن عيسى في بلدة تسالة، يتصل نسبه بأبي القاسم المحترم ابن حامد المكرم بن محمد المعسكري ابن علي الرضى ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن الحسن ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي كرم الله وجهه.

نشأ في بادية غريس وحفظ القرآن العظيم في أول شبابه على عهد حياة والديه رحمهما الله.[3] ولد بلهاشمي سنة 1900م، في بيت العلم والورع ولوعا بالتعليم فحفظ القرآن الكريم ودأب على يد والده فدربه على القرآن وغذاه بالعقيدة الصحيحة.[4]

بعد حفظه للقرآن الكريم برع في الفقه وتوسع في الدين وشرع في تحصيل العلوم ومخالطة العلماء، وحفظ متون العلوم فبرع في التفقه في علم النحو والصرف وعلم البلاغة

[1] حورية بايه وميلودي كهينة، المرجع السابق، ص 59.

[2] يحي بوعزيز،، المرجع السابق، ج2 ،ص 230.

[3] بلهاشمي بن بكار، المصدر السابق ، ص 179.

[4] محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص46.

وعلم الفلك والمنطق وعلم التوحيد والفقه والتصوف،[1] برع في الفقه المالكي بالشيخ خليل وفي التوحيد والنحو فكون نفسه بمخالطة العلماء والمثقفين مما جعله مقصد المفتين والسائلين وكان رجل إصلاح يتوجه إليه الناس لإصلاح ذات البين.[2]

أخذ الطريقة الشاذلية الوزانية على الشيخ عبد السلام الوزاني بطنجة وعلى أخيه الشيخ الطيب بن العربي والحاج التهامي، وتصدى للتعليم والتدريس في مسجد سيدي علي الشريف بمعسكر عشر سنين، وفي زاوية سيدي بن عبد الله عامين، وفي الجامع الأعظم عشر سنين وهو الذي أدخل عليه إصلاحات وتوسيعات كثيرة فزاد في مساحة قاعة الصلاة ما يقرب من الثلث وتولى منصب الشيخ للجماعة الدينية الإسلامية بمعسكر ودائرتها خمسة عشر عاما والإشراف على شؤون المساجد بها عشرين عاما.[3]

نال الإمامة والفتوى في البلد معسكر فسمي بالمفتي فشارك في سائر القضايا وأخذ يخالط العلماء ويزاحمهم ويقيم بشؤون الصلح والتوجيه وجرى على مناهج السلف الصالح فقصده العلماء ينهلون من غزارة علمه.[4]

تتلمذ الشيخ بلهاشمي على يد نخبة من العلماء والمفكرين الذين ذكرهم عند تعريفه بنفسه في كتابه مجموع الحسب والنسب فيقول: "حضرت بعض دروس العلماء العظام في مدينة معسكر كابن عمنا الشيخ سيدي بلهاشمي ابن الطيب والشيخ سيدي عبد القادر والشيخ سيدي الحاج عبد القادر بن صديق المفتي، والشيخ سيدي أمحمد ابن الدايح المدرس"، ثم سافر إلى مدينة سيق قرب مدينة وهران فلازم أستاذه الشيخ سيدي الحاج المنور ما يقارب 10 سنين وبعض العلوم التي تلقاها عن أستاذه الشيخ بن حورة قاضي مدينة سيق. وعن

[1] بلهاشمي بن بكار، المصدر السابق، ص177.

[2] تقي الدين بوكعبر، المجموع الميسر ...، المرجع السابق، ص 246.

[3] يحي بوعزيز،المصدر السابق، ص 251.

[4] محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص46.

العلامة سيدي أحمد الحراشي، ثم رجع إلى مسقط رأسه غريس ولازم دروس الشيخ سيدي عبد القادر بن عبد الله، صاحب الزاوية الدرقاوية في معسكر.[1]

أعماله:

قضى الشيخ حياته بين التأليف فألف العديد من الكتب نذكر منها:

- رفع الإشكال والمرا في حكم غرس العنب وبيعه لمن عصر خمرا: جاء ذلك بعد ما اقترح ابن عمه سيدي الحاج العمر بن عبد الله أن يبحث في المسألة كون بعض أراضي دائرة معسكر لا تصلح إلا لغرس العنب وتباع بثمن بخس ويصبح ربها فقيرا.
- بلوغ الأمل في أدلة ما جرى بع العمل: أثبت في هذه الرسالة أن عمل المسلمين له أصل في الشريعة.
- عبر الناظر في تاريخ الجزائر: نكلم من خلاله عن المسائل الفقهية والفتنة الواقعة بين المتطرفين وعلماء السنة.
- كتاب حاشية رياض النزهة على منظومة نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت أولياء الله وأذكار الكتاب واسنة: زهي قصيدة نظمها بأسلوب سهل وألفاظ متعارفة يسهل تناولها للعوام والخواص.
- وكتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربع كتب.[2]
- كما له مراسلات عديدة مع مختلف فقهاء وعلماء وحكام زمانه لو جمعت لخرجت في كتاب ضخم.[3]

[1] بلهاشمي بن بكار، المصدر السابق، ص182.

[2] يحي بوعزيز، المصدر السابق، ص 251.

[3] بوكعبر تقي الدين، المجموع الميسر...، المرجع السابق، ص 246.

كتب في النسب كتابه هذا تعرض فيه إلى بعض العلماء والأشراف وقد جمعه في أربع كتب وهي كتاب القول الأعم في بيان أنساي الحشم للعلامة الشيخ الطيب بن المختار الغريسي، كتاب شرح منظومة الشيخ بلمهيدي عيسى بن موسى التوجيني للشيخ سيدي محمد الأعرج الغريسي الفاسي، وكتاب الإمام أحمد العشماوي الكبير في نسب أهل البيت وكتابه المسمى نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله واذكار الكتاب والسنة.[1]

ونشرها جميعها عام 1381 هـ (1961م).[2]

كان يتولى التدريس للمؤمنين في دروسه إلى جانب خطبه حيث كان إماما خطيبا فكان معلما بجامع الكبير داعية للدين.[3]

وفاته:

توفي بلهاشمي بن بكار أواخر عقد الستينات في 24 أفريل 1970 بمعسكر ودفن بمقبرة سيدي الهاشمي وعلى قبره قبة،[4] يقول بوعزيز أنه قد زارهم إلى منزلهم بوهران عام 1964 مبعوثا من قبل مسعودي محمد مدير مؤسسة المطبوعات الوطنية الذي أحال عليهم كتابه المشهور للتقييم وكان مسنا رحمه الله تعالى وغفر لنا وله.[5]

ترك الشيخ وراءه جيلا من حفظة القرآن الكريم وحملة الفقه المالكي وقفوا على أسرار اللسان وخواص الوعظ.[6]

---

[1] بلهاشمي بن بكار، المصدر السابق، ص11.

[2] يحي بوعزيز، المصدر السابق، ص 251.

[3] محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص46.

[4] بوكعبر تقي الدين ، المجموع الميسر...، المرجع السابق، ص 246.

[5] يحي بوعزيز، المصدر السابق، ص 251.

[6] محمد جيلالي، المرجع السابق، ص 46.

3_سعيد الزموشي(النسب و النشأة):

هو سعيد الزموشي ابن محمد الزموشي الذي كان يعمل تاجرا وفلاحا في نفس الوقت وأمه السيدة تركي رحمونة، نشأ في بيت متواضع ككل الجزائريين مع أربعة من إخوته (الطاهر وسكينة وزهور وعائشة)[1]

تلقى تعليمه الأول على والده وجده عبد الحميد الصائغي، فحفظ القرآن الكريم كاملا وسنه لا يتجاوز 13 سنة،[2] ولد في 4 مارس 1904م في عين البيضاء من ولاية قسنطينة سابقا من عائلة الصياغ الشهيرة بعين البيضاء.[3]

بعد إتمامه لحفظ القرآن الكريم أخذ مبادئ العلوم على يد فقهاء وعلماء البلد وطمحت نفسه إلى الاستزادة في العلم فهاجر إلى تونس وانضم إلى جامع الزيتونة فأخذ ينهل من مناهل العلم الصافية على يد أساتذة أجلاء إلى أن حصل على شهادة التطويع بجدارة سنة 1928 ثم عاد إلى الجزائر يحمل زادا واسعا من العلوم والمعارف.[4]

اشتغل بالتدريس بمسقط رأسه لمدة ثم التحق بعدها بناء على طلب الشيخ عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر بقسنطينة وأخذ يدرس فيه النحو والصرف والفقه والتوحيد.[5] وأثناء زيارة ابن باديس لمدينة معسكر عام 1932م وعد بتعيين عالم صارم للإشراف على شؤون الجمعية العلماء المسلمين بمدينة معسكر كون المكانة التي تتميز بها المدينة والدور الثقافي الذي لعبته خلال عهد الاحتلال الفرنسي، وعلى الرغم من المهمة الصعبة التي كانت

---

[1] أورندي طيب، المرجع السابق، ص 264.

[2] جاكر لحسن، نشاط ج ع م ... ، المرجع السابق، ص98.

[3] سميرة سمراد، البطل الغيور محمد سعيد الزموشي الصائغي (1904- 1960م) جملة الإصلاح السنة الثانية، ع 10، أوت 2008، ص 64.

[4] سميرة سمراد، المرجع نفسه، ص64.

[5] أوريندي طيب، المرجع السابق، ص 264.

تنتظره في معسكر، استطاع الزموشي أن يؤثر على بعض من شيوخ الزوايا والواقع أن مهمته لم تكن تقتصر على محاربة الزوايا الباطلة فقط بل شملت نشر التعليم العربي وتوسيعه.[1]

درّس الشيخ زموشي في حي باب علي وسكن البيت التابع لمدرسة كان يدعو الناس ناشرا مبادئ الإصلاح عن طريق اتصالاته الشخصية والخطب التي كان يلقيها في مناسبات معينة وكان له الفضل في إرسال وفود من الطلاب المعسكريين إلى تونس وحث أولياء التلاميذ على أهمية إرسال أبناءهم لتعليم اللغة العربية، وبقي الشيخ الزموشي في معسكر ولازمها حتى الحرب العالمية الثانية.[2]

والجدير بالذكر أن الشيخ الزموشي قام في بادئ الأمر بإلقاء دروس اللغة العربية بنادي الشبيبة الأدبية المسلمة ثم بمدرسة التربية والتعليم التي ساهمت في تأسيسها وتجهيزها كوكبة من العلماء وعلى رأسهم الحاج الطاهر عبد المومن صهر الشيخ الزموشي، كما تتلمذ على يده العديد من طلاب العلم الذين كان لهم الأثر البالغ فيما بعد في مسار النضال الوطني والثورة التحريرية نذكر منهم مصطفى اسطمبولي وقايد حسين وغيرهم.[3]

تمتع الزموشي بشخصية تعليمية ذات كفاءة عالية حيث أن له قدرات على الإقناع والتأثير في النفوس وتبسيط المعلومات الصعبة والتقرب من التلاميذ وبالإضافة إلى دوره التعليمي كان له دوره التعليمي كان له دور تربوي يسعى من خلاله لتجنيد كل الطاقات لمصلحة الوطن ويستغل مختلف الوسائل لخدمة الإصلاح،[4] وفضلا عن اثره في هذه المدينة والتحول الذي حصل بها منذ قدومه إليها استطاع خلق حركة علمية وثقافية رائدة بمعسكر،

[1] جاكر لحسن، نشاط ج ع م ...، المرجع السابق، ص99.

[2] سمير سمراء، المرجع السابق، ص 68.

[3] أوريندي الطيب، المرجع السابق، ص 266.

[4] جاكر لحسن، نشاط ج ع م ...، المرجع السابق، ص 100.

لم يرق للإدارة الاستعمارية هذا التطور وأصدرت قرارا يقضي بإيقاف دروس اللغة العربية ونفي الشيخ الزموشي إلى الحراش بالجزائر العاصمة أين فرضت عليه الإقامة الجبرية فلا يبرحها ويعلن عن وجوده فيها صباح كل يوم، لكنها لم تستمر طويلا وسمح لها باستئناف التعليم في معسكر من جديد إلا أنه هو لم يسمح بعودته إليها وقرر أن يستقر في وهران،[1] لكنه لم يقطع صلته بأهل معسكر وأهلها وذلك راجع إلى رابطة المصاهرة الذي بينهم.[2] تمكن بعدها من مواصلة نشاطه الإصلاحي وعمل في لجنة النشر والتوزيع التابعة لجبهة التحرير الوطني.[3]

وفاته:

هاجر إل المغرب وأقام فيها مع أهله الذين التحقوا به بعد 3 أشهر من رحيله ولكن صحته مانت تتدهور يوما بعد يوم إلى أن وافته المنية بعد صراع طويل مع مرض السكري عن عمر ناهز 56 سنة، وكان ذلك يوم 19 ديسمبر 1960، ودفن في أحد مقابر وجدة، وبعد استقلال الجزائر واستقرار عائلته في الجزائر نقلوا رفاته إلى عين البيضاء بوهران.[4]

سفير البودالي(النسب و النشأة):

يعتبر من الشخصيات الأدبية والفنية البارزة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال،[5] البودالي بن علال من عائلة السوافرية ولد عام 1907، بمدينة سعيدة في عائلة علم، وكان والده معلما في المدرسة الابتدائية تلقى تعليمه في سعيدة ثم التحق بمدرسة المعلمين ببوزريعة في الجزائر العاصمة حيث تحصل على شهادة خولته التدريس في

[1] سمير سمراء، المرجع السابق، ص 68.

[2] جاكر لحسن، نشاط ج ع م ...،المرجع السابق ص101.

[3] نفسه، ص 103.

[4] سمير سمراد، المرجع السابق، ص74.

[5] أوريندي طيب، المرجع السابق، ص 269.

المدرسة الابتدائية العليا بمعسكر عام 1928م (ثانوية جمال الدين الأفغاني حاليا)، وبما أنه كان يتمتع بمستوى علمي وبدرجة كبيرة من الوعي ورغبته في ولوج الحياة الثقافية والفكرية انضم سفير إلى نادي الشبيبة الأدبية الأهلية في مطلع الثلاثينيات حيث أصبح يتمتع بالعضوية في النقابة الوطنية للمعلمين.[1]

وفي صيف 1929 استقر البودالي سفير في مدينة معسكر، حيث عين شهر نوفمبر من هذه السنة أستاذا للغة العربة، وذلك إلى غاية أبريل 1941، ليتم نقله خلال هذه السنة إلى مدرسة أورلينا فيل (Orléans ville) شلف حاليا، كما سيقوم بالتدريس في أواخر عام 1942 وبداية 1943 في المدرسة الحديثة "المجاهر" بمستغانم كأستاذ للغة العربية أيضا.[2]

أهم أعماله ونشاطاته:

في جوان 1936 عين عضوا في لجنة المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول لدائرة معسكر ولجنة "66"، ثم كاتب للجنة المؤتمر الإسلامي لعاملة وهران، أما في المؤتمر الإسلامي الثاني المنعقد في جويلية 1937 انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية.[3]

والظاهر أن سفير قد ترك بصماته في مختلف الجمعيات والنوادي الثقافية والهيئات السياسية التي انضم إليها، التي كانت تصب في مجملها في إيقاظ الوعي الوطني، وتبين حقيقة الاستعمار من خلال نشاطاته المتعددة خاصة المحاضرات التي كان يلقيها بين الفينة والأخرى، ومثال ذلك إلقائه لمحاضرة بنادي الشبيبة الأدبية الأهلية بتاريخ 09 ماي 1936 بعنوان "الشباب الجزائري المسلم"، محاضرة نفسها ألقاها شهر جوان 1936 بالمسرح البلدي بمستغانم، تطرق فيها إلى الدور الذي ينبغي للشاب المسلم أن يقوم به لتغيير واقعه، هذا إلى

[1] جاكر لحسن، نشاط ج ع م...، المرجع السابق ، ص114.
[2] أورندي الطيب، المرجع السابق، ص 270.
[3] جاكر لحسن، نشاط ج ع م...، المرجع السابق، ص114-115.

جانب المحاضرة التي ألقاها في غليزان المنعقد بتاريخ 09 أوت 1934 والتي انتقد فيها بشدة كتابات لويس برتران (Louis Bertrand) المعادية للإسلام، والتي كانت في مجملها تدعو إلى تنصير الأمة الجزائرية المسلمة.[1]

والواقع أن سفير لم يكن ينضم إلى مختلف الجمعيات الثقافية والهيئات السياسة للخوض في الأمور الشكلية، والتظاهر بل كان يطرح مشاكل وانشغالات الشباب الجزائري في كل مناسبة ومثال ذلك التقرير الذي قدمه في الاجتماع السنوي لنقابة المعلمين يوم 09 مارس 1935 حول أوضاع الجزائريين المادية والمعنوية.[2]

بالإضافة إلى نشاطه على مستوى الجمعيات المختلفة كان سفير يولي اهتماما خاصا للصحافة حيث كان يشجع الناس على الاشتراك فيها لما لها من أهمية فو توعية الشباب وتثقيفهم، وتبرز هذه العناية في مرافقته لمسؤولي الصحافة الإصلاحية الذي يزورون معسكر من أمثال الأمين العموري الذي كان يروج لجريدته "لاديفنس" « La Défense » يوم 19 أبريل 1936م، وفي سياق مهامه بالإذاعة قام سفير بإنشاء ثلاثة فرق موسيقية الأولى ذات طابع أندلسي مكونة من 30 موسيقيا وضعها تحت إشراف الشيخ محمد فخارجي وشقيقه عبد الرزاق، والثانية ذات طابع شعبي بقيادة الشيخ الحاج محمد العنقى وهي مؤلفة من 20 موسيقيا، أما الفرقة الثالثة فهي فرقة موسيقية حديثة مكونة من 17 موسيقيا، وضع على رأسها مصطفى اسكندراني.[3]

كتب البودالي سفير عدة مقالات دافع من خلالها عن الهوية العربية الإسلامية، ورد فيها على لويس برتران (Louis Bertrand) وافتراءاته بخصوص الإسلام والمسلمين، منها مقال بعنوان: "لويس برتران أمام الجزائر" نشره في مجلة أوفالاك (Ofalac) بتاريخ 1 أكتوبر

[1] أورندي طيب، المرجع السابق، ص 271.
[2] جاكر لحسن، نشاط ج ع م...، المرجع السابق، ص115.
[3] أورندي طيب، المرجع السابق، ص 273.

1948، ومقال ثاني تحت عنوان "لويس برتران ونظرة المسلمين إليه" في مجلة "أوفالاك" بتاريخ 10 نوفمبر 1949.[1]

وفي المجال الأدبي أكسبته علاقاته المتينة مع كتاب وأدباء معروفين من أمثال إيمانويل روبلي (Emmanuel Roblés) وغابريال أوديسيو Gabriel Audissio ألبير كامو Albert Camus ومحمد ديب ومولود فرعون، إلى الاشتراك معهم في تأسيس العديد من مجلات أدبية وثقافية منها: مجلة ربفاج Rivage ومجلة سيمون Sumoun ومجلة فورج Forge ومجلة سوليل Soleil[2]

إلى جانب ما سبق هناك مقالة كتبها سفير عن الموسيقى في الوثائق الجزائرية (Documents Algériens) رقم: 36- 1949 وعنوانها الموسيقى العربية في الجزائر.[3]

وفاته:

سنة 1987 غادر الجزائر باتجاه باريس، ليستقر هناك بشكل دائم مع عائلته إلى غاية وفاته بتاريخ 4 جوان 1999، عن عمر يناهز 91 عاما.[4]

تبرز دراسة المؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية في معسكر خلال الفترة الاستعمارية مدى التماسك الاجتماعي الثقافي الذي حافظ عليه المجتمع المحلي رغم الضغوط الاستعمارية، فقد شكلت المساجد والزوايا مراكز روحية وعلمية ساهمت في الحفاظ على الهوية الإسلامية ومقاومة محلات المساجد الثقافي، في حين لعبت المدارس والكتاتيب دورا بارزا في نشر التعليم التقليدي وتعزيز القيم الدينية.

---

[1] اورندي طيب، المرجع السابق ،ص 271- 272.

[2] المرجع نفسه،ص272.

[3] جاكر لحسن، نشاط ج ع م...، المرجع السابق، ص 116.

[4] أورندي طيب، المرجع السابق، ص 273.

كما كانت النوادي الثقافية فضاء هاما للتفاعل الفكري والاجتماعي، ومتنفسا للنخبة المعسكرية في التعبير عن تطلعاتها، ولا يمكن الحديث عن الزخم دون التوقف عند الشخصيات المعسكرية التي أسهمت، كل من موقعه في تنشيط الحياة الثقافية والدينية والتعليمية، وهو ما يعكس حيوية المجتمع المحلي في محاولات الطمس والتهميش.

الفصل الثالث: معسكر من خلال الكتابات المحلية والأجنبية

أولا : المعالم الاجتماعية والثقافية من خلال الكتابات المحلية

ثانيا: المعالم الاجتماعية و الثقافية من خلال الكتابات الاجنبية

ثالثا: اثار السياسة الفرنسية على الحياة الاجتماعية و الثقافية في معسكر

شكلت الكتابات التاريخية بمختلف مشاربها سواء كانت المحلية أو الأجنبية مصدرا مهما لفهم طبيعة الحياة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية خاصة عندما يتعلق الأمر بمناطق ذات البعد الحضاري والتاريخي مثل معسكر فقد تناولت العديد من الأقلام المحلية والأجنبية في سياق اهتماماتها بالواقع الاستعماري لهذه المنطقة، سواء من منظور استعماري تبريري ينقل الحياة اليومية إلى تقديم الرؤى النابعة من التجربة المباشرة والمعايشة الحقيقية، ما يوفر توازنا ضروريا لفهم أعمق للمرحلة، ومن خلال هذا التفاعل بين مختلف الكتابات يتجلى كيف انعكست السياسة الاستعمارية الفرنسية على الواقع الاجتماعي والثقافي في منطقة معسكر، حيث تركت بصماتها على أنماط العيش والبنية التعليمية وعلى العلاقات الاجتماعية، فقد سعت الإدارة الاستعمارية إلى تطويع الفضاء المحلي وتوجيهه بما يخدم أهدافها.

وانطلاقا من هذا، تبرز أهمية التوقف عند هذه الكتابات وتحليل مضامينها ومواقفها، لفهم كيف رسمت صورة معسكر في المتون المحلية والأجنبية وكيف تفاعلت مع الواقع الفعلي في المنطقة في ظل الهيمنة الاستعمارية

أولا: المعالم الاجتماعية و الثقافية من خلال الكتابات المحلية

تعد الكتابات المحلية مرآة حقيقية للمجتمع، بحيث تعكس خصوصياته الثقافية الاجتماعية، والتاريخية في الجزائر، فهي تعبر عن هوية المكان، وخصوصية ساكنيه، وتوثق الأحداث والوقائع التي قد تغيب عن السرديات الرسمية أو الأدبية الكبرى، وغالبا ما تتناول مواضيع تمس الحياة اليومية والموروث الشعبي والعادات والتقاليد، وحتى التحديات الاجتماعية والاقتصادية.

إن الكتابة المحلية لا تهدف فقط إلى التوثيق، بل تسعى كذلك إلى الحفاظ على الذاكرة الجماعية وإبراز الخصوصيات الثقافية لكل منطقة، كما تعد وسيلة للمقاومة الرمزية في وجه التهميش والنسيان، خصوصا في البلدان التي تتميز بتنوع ثقافي وجغرافي كبير مثل الجزائر، فبفضل هذه الكتابات يمكن استكشاف مناطق لم تنل حظها من الاهتمام الإعلامي أو الأكاديمي، مما يسمح بفهم أعمق للمجتمع الجزائري في مختلف أبعاده.

وفي هذا الإطار، تبرز منطقة معسكر كمثال غني بالدلالات، حيث عرفت المنطقة نشاطا ثقافيا متنوعا ساهم في إنتاج العديد من الكتابات المحلية التي توزعت بين الشهادات التاريخية، الرحلات، الدراسات الاجتماعية، والنصوص الأدبية والمقالات الصحفية، وتعكس هذه الكتابات صورة حية عن حياة سكان معسكر، ماضيهم ونضالهم، كما تسلط الضوء على ملامح الثقافة المحلية التي تتراوح بين التراث الشفوي، والفنون والتقاليد، وحتى الموروث الثوري، ومن بين أبرز هذه الكتابات المحلية التي تطرقت إلى إبراز معسكر نذكر:

1:الأغا بن عودة المزاري "طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر"

يعد كتاب طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر من أبرز المؤلفات التاريخية التي كتبت بأقلام محلية جزائرية، ألفه الأغا بن عودة المزاري[1] وقد عايش العديد من الأحداث التي دونها.

وكتاب طلوع سعد السعود بجزأيه الأول والثاني يندرج ضمن ما يعرف بالكتابات المحلية حيث يسلط الضوء على الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية والدينية التي ميزت الغرب الجزائري، وخاصة منطقة وهران وما جاورها من مدن مثل معسكر، تلمسان، مستغانم وغيرها، عرف كتاب طلوع سعد السعود طريقه إلى النشر العلمي بعد أن قام الدكتور يحي بوعزيز[2] بتحقيقه وتحقيق نسبة تأليفه للآغا بن عودة المزاري، وقد صدر هذا التحقيق عن دار الغرب الإسلامي سنة 1990م في جزأين، اعتمد فيه المحقق على نسخ مخطوطة أصلية محفوظة في الجزائر، وخاصة بالمكتبة الوطنية [3]

---

[1] الأغا بن عودة المزاري، أبو إسماعيل بن عودة بن الحاج محمد المزاري بن قدور الكبير بن إسماعيل بن البشير بن أحمد نجد بن أحمد الذي تنسب له إحدى قبائل المخزن الوهراني وهي البحايتية، ولد بن عودة سنة 1843م بمنزل أبيه في رأس العين قرب وهران، تقلد وظيفة حكومية في مقاطعة وهران سنة 1868م. للمزيد أنظر: فارس كعوان، الجديد في سيرة الأغا المزاري صاحب طلوع سعد السعود 1843- 1897م، **عصور جديدة**، المجلد7 ، ع26، أفريل 1438هـ- 2016-2017م) ص297.

[2] يحي بوعزيز، ولد يحي بوعزيز يوم 27 ماي 1929م بقرية الجعافرة في دائرة الجعافرة، ضمن ولاية برج بوعريريج، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية على والده: "الحاج عبد الرحمن" التحق بجامعة القاهرة في مصر، واختص في دراسة التاريخ، وحصل على شهادة الليسانس في مطلع عام 1962م، وعندما عاد إلى الوطن حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة الجزائر في أكتوبر 1976م، ألف كتاب الموجز في التاريخ ونشر عددا كبيرا من المقالات والبحوث الوثائقية التاريخية عن تاريخ وحضارة الجزائر خاصة عن الكفاح التحريري في القرنين التاسع عشر، والعشرين، وبعد ذلك نشر 24 كتابا و80 مقالا تاريخيا عن تاريخ وحضارة الجزائر، للمزيد أنظر، د. يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط1، 1995، ص ص114-115.

[3] الأغا ابن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود ...، ج1 ، المصدر السابق .

وقد تميز عمل الدكتور بوعزيز بالدقة في التحقيق والمقارنة بين النسخ مع إضافة مقدمة تحليلية مطولة تضمن فيها تعليقات على مضمون الكتاب، وتاريخ تأليفه، واسلوبه، بل وطرح أيضا إشكالية نسبة الكتاب للمزاري، ورد على الشكوك التي أثيرت حول ذلك بالأدلة والبراهين، وهذا ما قاله الدكتور بوعزيز في مقدمة الكتاب: "إن كتاب طلوع سعد السعود الذي نقدمه اليوم للقراء عبارة عن موسوعة كبيرة تاريخية وثقافية وجغرافية واجتماعية، لعدد من بلدان العالم القديم على مستوى قاراته الأربعة" إفريقيا، أوروبا، آسيا وأوقيانوسيا".

كما قام الدكتور بوعزيز بالتعريف بالمخطوط وتاريخ تدوينه وبيان أهمية الكتاب كمصدر محلي جزائري فريد من نوعه نابع من قلب المجتمع، يوثق الوقائع بنظرة شخص معاصر.

ذكر أن الكتاب يتكون من خمسة مقاصد كبرى موزعة على مجلدات، يغلب عليها الطابع التاريخي والجغرافي.

يتناول المؤلف تاريخ مدينة وهران عبر العصور، من تأسيسها إلى مختلف الدول التي حكمتها (المغراويون، الفاطميون، المرابطون، الموحدون، الزيانيون، الإسبان، الأتراك...)، يقدم وصفا للمدن، المواقع الجغرافية، الأنهار والجبال والمناخ، يسرد تفاصيل دقيقة عن الغارات الإسبانية، خاصة على وهران، تلمسان ومعسكر، يغطي تاريخ الحكم العثماني، خاصة بايلك الغرب، ويذكر البايات بالتفصيل مثل: محمد بن عثمان الكبير، مصطفى بوشلاغم، حسن بن موسى الباهي وغيرهم، يسرد ثورات الطرق الصوفية وآثارها على منطقة معسكر وغريس. خصص المؤلف جزءا مهما للحديث عن معسكر خاصة أثناء صراع التيجاني مع الباي حسن وكيف هاجم المدينة، ورد فعل السكان والمعركة التي أدت إلى مقتله.[1]

[1] الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود...،المصدر السابق.

يعود تأليف المخطوط إلى نهاية عقد الثمانينات وبداية عقد التسعينات من القرن 19، ويتكون من خمسة أقسام.[1]

وبعد أن تناولنا مضمون الجزء الأول من كتاب طلوع سعد السعود ننتقل الآن إلى دراسة الجزء الثاني من هذا العمل الذي يكمل ما بدأه المؤلف، ويوسع فيه دائرة التناول لتشمل مواضيع أكثر تنوعا وعمقا.

يبدأ الجزء الثاني من الكتاب بما يعرف بـ "الدولة التاسعة" يواصل فيها المؤلف سرد الأحداث التاريخية التي شهدتها الجزائر، خاصة في منطقة الغرب، يتناول فيه المؤلف الاحتلال الفرنسي للجزائر وخصوصا منطقة وهران وما جاورها، المعارك والمقاومة ضد الفرنسيين، مثل معركة رأس العين، ومعركة المقطع الأولى والثانية، يقول المزاري في كتابه مبينا بذلك شهادته على معركة المقطع، ولما نزلت بتليلات بعد جولانها خيمت للمبات (كذا) وشرعت في حفر المتاريز الحائطة...سمعت بأن الأمير خرج من المعسكر بمحلته وهو نازل بوادي الحمام.."[2]

وكذلك تطرق إلى تعريف شخصيات بارزة في المقاومة مثل (الشيخ بوعمامة، مصطفى بن إسماعيل، محمد بن عبد الله، الأغا محمد المزاري...)، ودور القبائل المحلية مثل: أولاد البشير بني عامر، قبائل البيض، الحشم...) وتحركات القوات الفرنسية والمعارك الكبرى مثل: حملة تريزيل معركة وادي تافنة، كما ذكر الوضع السياسي والديني والاجتماعي في الجزائر في ظل الاحتلال.[3]

تمت الإشارة إلى منطقة معسكر في عدة مواضع أهمها:

---

[1] بغداد عبد الرحمن، قراءة في منهج المؤرخ يحي بوعزيز في تحقيق المخطوط التاريخي الجزائري "طلوع سعد السعود" لالآغا بن عودة المزاري أنموذجا، المركز الجامعي بمغنية، الفضاء المغاربي، مج: 3، ع2، ص 58.

[2] الأغا بن عودة المزاري،ج2، المصدر السابق، ص 137.

[3] المصدر نفسه.

كلوزيل يحرق مدينة معسكر، يقول المزاري: ((كثر الهم ووقع الهرج وأمر الأمير أهل معسكر بالانجلاء (كذا) فانجلوا عنها، ودخلها الماريشال بجيوشه من الغد عند الغروب دون قتال فلم يجد بها أحدا.... وأقام بها ثلاثة أيام وخرج منها محتارا بعد أن أخربها (كذا) وأضرمها نارا...))[1]

هذا يشير إلى حملة عسكرية فرنسية بقيادة الجنرال كلوزيل على مدينة معسكر، وهي من أهم معاقل المقاومة الجزائرية في تلك الفترة، خاصة في عهد الأمير عبد القادر، في مراحل جهاده، نظرا لموقعها الجغرافي وتضاريسها الجبلية التي تساعد في ضد الهجمات.[2]

والعنوان الأصلي للكتاب هو طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود وأحيانا ترد عبارة جيشها مكان مخزنها، ولكن المحقق قد اختار الإضافة والإشهار للعنوان فأصبح طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر.[3]

ـ العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي "رحلاته"

قبل الحديث عن ظروف هجرة المشرفي، لا بد من الإشارة إلى الأحداث التي طبعت الحياة العامة بالجزائر عموما، ونخص بالذكر مقاومة الأمير عبد القادر التي كان للمشرفي صلة وثيقة بها، لقد كان لاحتلال الجزائر سنة 1830م، وقع كبير على نفسيته، خاصة الضغط الكبير الذي مارسته قوات الاحتلال الفرنسي من تشريد وتنكيل بالشعب.[4] لم يكن العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي[5] ليقف موقف المتفرج فيها، بل إنه أرخ لأحداثها

---

[1] بغداد عبد الرحمن ،المرجع السابق، ص 147.

[2] الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود...،ح2،المصدر السابق.

[3] أبو القاسم سعد الله،ج 7 ، المرجع السابق ،ص 384.

[4] عبد الحق شرف، المرجع السابق، ص 70

[5] المشرفي: هو العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي: بناء على مقيده في كثير من مؤلفاته، ويرجع نسبه إلى أسرة المشارف بمعسكر، ولد سنة 1818 فقد أخبرنا بأنه كان يدرس في وهران سنة 1824 وأنه غادرها إلى معسكر سنة 1830، وبعد رجوعه لمعسكر انطلق المشرفي في رحلة جديدة بحثا عن العلم والتحصيل، للمزيد أنظر: عبد الحق شرف،

بإسهاب كبير في عدد من مؤلفاته كشاهد عيان على أحداث عصره، ومع ذلك فإن المشرفي ظل يدافع عن موقفه الداعي إلى الهجرة في الكثير من المناسبات ومنها القصيدة التي يقول في مطلعها:

وصرنا كأولاد السودان طوائفا بدا عمرت أسواقهم وقبيل.[1]

جاء في كتاب (دليل مؤرخ المغرب) لعبد السلام بن سودة، أن للمشرفي رحلة إلى بلاد الجزائر تقع في مجلد. وأخبر أنها توجد بالجزائر دون تحديد مكانها، فهل تكون هي ذخيرة الأواخر والأوائل؟ ومن جهة أخرى أخبر الشيخ عبد الحي الكتاني في كتاب "دليل الحج والسياحة" لأحمد بن محمد الهواري أن رحلة المشرفي الجزائرية توجد بالجزائر دون تحديد المكان أيضا.[2]

يتحدث المشرفي عن مقاومة قبائل منطقة معسكر وبني عامر للاحتلال الفرنسي، فبعد سقوط وهران واستسلام الباي حسن، لم تجد هذه القبائل من يقود الجهاد فاضطروا للخروج في انتظار من يتولى قيادتهم. "فنفر كبراء غريس خفافا وثقالا وحملوا زادهم ركبانا ورجالا وربطوا خيولهم بساحة الثغر وبعثوا لبني عامر بالنفور سرا وجهرا فركبوا كلهم وامتثلوا الأمر.[3]

ذكر منطقة معسكر في سياق رحلته، حيث كانت لها مكانة خاصة في حياته فقد نشأ في الكرط التابعة لمدينة غريس، وتعد معسكر محطة أساسية في تكوينه العلمي، حيث تلقى

كتابات العربي المشرفي الجزائري المتوفي 1895 مصدر من مصادر تاريخ الجزائر خلال ق 19، **مجلة آفاق العلوم، جامعة الجلفة**، ع10، جانفي 2012، ص ص17-18.

[1] عبد الحق شرف، العربي بن علي المشرفي....، المرجع السابق، ص 73.

[2] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج2 ، دار البصائر،الجزائر،2007 ،ص 185.

[3] بوشنافي محمد، أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي ومواقفه من بعض قضايا عصره من خلال مؤلفاته المخطوطة، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مج 07، ع1، جوان 2021، ص125.

فيها تعليمه قبل أن ينتقل إلى مدن أخرى مثل مستغانم، وهران، تلمسان ثم إلى المغرب الأقصى،

الرحلة كتبت في سياق سياسي حساس، وقد كانت بمثابة شهادة حية من عالم جزائري عاش لحظة الانهيار السياسي والاجتماعي بعد دخول الاستعمار، ومن هذا المنطلق، تعتبر الرحلة مصدرا محليا يوثق نظرة النخبة الجزائرية للأحداث،على عكس كثير من الكتابات الاستشرافية أو حتى بعض الكتابات المشرقية التي تحدثت عن الجزائر من الخارج فالمشرقي ينقل نظرة من الداخل، بلغة عربية أصيلة، وبحس جزائري محض.

2_ الأمير محمد "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر"

كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر بجزأيه هو من تأليف محمد باشا بن الأمير عبد القادر، يعد من أهم المصادر التاريخية التي أرخت لسيرة الأمير عبد القادر ونضاله ضد الاستعمار الفرنسي، ألف الأمير محمد[1] الجزء الأول من هذا الكتاب سنة 1903م، إن كثرة الإلحاح على كتابة سيرة الأمير عبد القادر هي التي جعلت الأمير محمد يفكر في كتابة تحفة الزائر، خاصة وأنه كبير العائلة وكان يلازم والده في الكثير من تحركاته، اعتمد الأمير محمد على وثائق رسمية متمثلة في المعاهدات والاتفاقيات ووثائق عائلته والمراسلات الخاصة بالأمير عبد القادر والكتب العربية والأجنبية التي تناولت الأمير عبد القادر بالدراسة.[2]

[1] الأمير محمد: ولد محمد في القيطنة ناحية معسكر سنة 1840، والقيطنة هي مسقط رأس والده أيضا، وعاش في حضن أمه لأن والده كان منشغلا بالجهاد، ورغم أنه لم يعش في الجزائر سوى سبع سنوات فإنه ظل يحن إليها، ويظهر ذلك في كتابه تحفة الزائر، وكانت ثقافته وتعليمه على يد والده وصهرهم مصطفى بن التهامي وبعض علماء دمشق وكان محمد أكبر أبناء الأمير. للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائرالثقافي ، المرجع السابق، ج7، ص437.

[2] درعي فاطمة، الأمير عبد القادر من خلال كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، **مجلة أبعاد**، مج 10، ع1، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2023، ص415.

وكتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر للأمير محمد بجزأيه (السيرة السيفية والقلمية) وثيقتان أدبيتان أولا وتاريخيتان ثانيا عن حياة هذا الرجل الظاهرة، بكل ما يمثله من رمزية من حياة الأمة الجزائرية، إذ يمكن لهاتين الوثيقتين أن تحققا التطابق، كما يمكنهما أن تحققا التقارب فضلا عن الاختلاف مع كل ما كتب الأمير الرجل الكبير القدر والأهمية والتأثير، يكشفان أيضا عن مدى التطور الذي لحق فن وأدب التراجم والسير في الجزائر الحديثة.[1]

عرف الجزء الأول من هذا الكتاب "بالسيرة السيفية" إلا أنه لم يكن مقسما لا إلى أبواب ولا مباحث، فلم يخضع بذلك إلى منهج علمي دقيق بل استخدم عناوين صغيرة[2] والأمير عرف كرجل سيف أكثر من أي شيء آخر يقول الأمير محمد: "(...وهو القائد المغوار الذي حارب الجيوش الفرنسية بحنكة وخبرة لا مثيل لهما، وهو السياسي المتمرس، والعالم الصوفي الفد، والأديب المبدع، والأب العطوف الحنون، والعالم الذي يقصده طلاب المعرفة من كل فج قصي، والباذل التبر والنفس الغالية من أجل حماية الروح البشرية أينما حل وأقام...)[3]. وقد تضمن الجزء الأول مقدمة في ذكر جغرافية أقسام المغرب، ثم ذكر حدود بلاد الجزائر ومساحتها وما اشتهر فيها من المدن والجبال، ثم ذكر ابتداء عمران المغرب وحوادث دول الأشراف والعرب والبربر، ثم ذكر للبربر وشعائرهم، ثم ذكر لدول بلاد المغرب الأدارسة والأغالبة وصولا إلى الموحدين والسعديين، ثم الحديث عم الدولة العلية في المغرب الأوسط وإفريقية، ثم الحديث عن ثورتي ابن الأحرش ومحمد بن الشريف، ثم ذكر تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر وذكر معاهدة الاستسلام، ثم الحديث عن معارك الأمير عبد القادر بعد

[1] عبد العزيز شويط، معالم فن السيرة الذاتية عند الأمير عبد القادر "دراسة في مذكراته (السيرة الذاتية) بالموازنة مع تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر واخبار الجزائر لابنه محمد"، الصوتيات حولية أكاديمية دولية محكمة متخصصة، **تصدر عن مخبر اللغة العربية وآدابها**، جامعة البليدة 2، لونيسي علي– الجزائر، ع الثامن عشر، ص 230.

[2] درعي فاطمة، المرجع السابق، ص 416

[3] عبد الكريم شريط، المرجع، السابق، ص238.

بيعته، ثم ذكر كفاح الأمير عبد القادر ضد الفرنسي، وتنظيمه للجيش ثم معاهداته مع فرنسا وغيرها من الوقائع.[1]

وفي ختام كتابه الجزء الأول يقول الأمير محمد: "وبتسليم سيفه انتهت سيرته السيفية وهي الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني من سيرته العلمية والله ولي التوفيق".[2]

كما أن منطقة معسكر لها أهمية كبيرة في سيرة الأمير عبد القادر، وقد ذكرت بشكل واضح في الجزاء الأول من الكتاب باعتبارها المكان الذي بدأت فيه ملامح الدولة التي أسسها، بعد الاحتلال الفرنسي فإن معسكر لم تكن مجرد مدينة ذكرت عرضا بل كانت النقطة التي انطلقت منها تجربته في الحكم والجهاد، ولهذا أعطاها محمد باشا اهتماما خاصا عند سرده لسيرة والده.[3]

وبهذا يمهد الجزء الأول الطريق لفهم أعمق لما سيأتي في الجزء الثاني، حيث يدخل الأمير عبد القادر مرحلة جديدة من النضال تتسم بالمواجهة المباشرة والتحالفات، والتنقل بين الانتصارات والصعوبات، ويتناول الكتاب تفاصيل أسره ونقله إلى فرنسا وسجنه، كما يظهر شخصية الأمير كقائد حكيم، مما يجعل هذا الجزء شهادة مهمة على نضال الأمير وسماته النبيلة، وهو مؤلف في نفس سنة الجزء الأول 1903م.[4]

الجزء الثاني من هذا الكتاب يعرف بالسيرة القلمية، وقد تضمن ركوب الأمير البحر إلى طولون ولما اتفق له مع فرنسا، وقد تضمن هذا الجزء ذكر تحركات الأمير عبد القادر ومساره من حمله إلى طولون، ثم إلى سجن أمبواز، ثم وصوله إلى القسنطينة، تم ذكر انتقال الأمير إلى دمشق وما صادفه من احتفال فيها. وكذا زيارته لبيت المقدس، تضمن هذا الجزء

---

[1] درعي فاطمة، المرجع السابق، ص 416.

[2] الأمير محمد، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، الإسكندرية، 1903، ص 326.

[3] نفسه،ج1.

[4] نفسه.

أيضا ذكر لحوادث جبل لبنان، وحادثة دمشق، وذكر وفاة والدته، ثم توجهه إلى الحجاز ثم إلى مكة الطاهرة فالمدينة المنورة، ثم الأستانة باريس ورجوعه إلى الشام، ثم حديثه عن وفاة الأمير عبد القادر وما أدرجته الجرائد الفرنساوية وذكر لمرضه ورسائل التعازي والمراثي، وفي الأخير خاتمة في نسبه الشريف.[1]

كما تطرق الأمير محمد في هذا الجزء الأخير إلى ذكر منطقة معسكر في سياق استعراض التحولات الحاسمة التي طرأت على مسار المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر، حيث لم تكن الإشارة إليها مجرد تفصيل جغرافي، بل دلالة رمزية عميقة على بداية مرحلة الانكسار، فقد شكلت معسكر منذ البداية قاعدة انطلاق لمشروع الأمير التحرري، وفي نهاية الجزء الثاني يقول: (...وهنا انتهى القلم في تنسيق ما قد قصدناه على الوجه الذي أردناه فجاء بحمده تعالى كتابا كلل الصدق تيجانه وسلسل التحقيق جدرانه، ولعبت يد التهذيب بأغصان سطوره.... وقد وفق الله سبحانه لإتمامه واستنشاق مسك ختامه في منتصف ربيع الأول 1307 هـ وسنة 1890م والحمد لله في الابتداء والانتهاء والصلاة والسلام على ذي السنا والبها وعلى آله وأصحابه أولى النهى صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين).[2]

يعد الكتاب من المصادر التاريخية التي توثق مقاومة الأمير عبد القادر ضد الاستعمار، يساعد الكتاب في الحفاظ على الذاكرة الوطنية الجزائرية من خلال تقديم صورة حية عن المقاومة الشعبية، وهو ما يعزز الهوية الجزائرية ويذكر الأجيال الحالية بمواقف الأبطال الوطنيين، الكتاب يعكس الجانب الروحي والأدبي للأمير، حيث كان الأمير عبد القادر ليس فقط قائدا عسكريا بل أيضا عالما وصوفيا، هذا يساعد في تقديمه كرمز ثقافي يشمل الجوانب الدينية والتعليمية، مما يعزز القيمة الثقافية والروحية لهذا الكتاب.

[1] درعي فاطمة، المرجع السابق، ص416.

[2] نفسه، ص 417.

الكتاب لا يعد مجرد سرد تاريخي، بل هو وثيقة شاملة تربط بين التاريخ والثقافة، حيث يعزز الفهم العميق للهوية الوطنية الجزائرية من خلال دراسة حياة أحد أبرز قادتها.

3_ طرس الأخبار "لأبي حامد العربي المشرفي"

عنوانه الكامل: طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار في عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار.

تناول المشرفي في هذا الكتاب أحوال الجزائر في عهد الأمير عبد القادر ويبدو من العنوان أنه ضد الأمير، ولكنه في الواقع كان متعاطفا معه ما عدا بعض المواقف، ولكن رأي المشرفي في بعض أصحاب الأمير كان رأيا واضحا وقاسيا.[1]

يعد أحد المؤلفات الهامة التي تجمع أخبار الاحتلال ودولة الأمير عبد القادر وما أحاط ذلك من علاقات داخلية ودولية، ألف كتابه هذا بعد هجرته الأولى وفيه تعريض كبير بتصرفات الأمير،[2] وقد بنى المشرفي كتابه هذا على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة، والفصول هي:

- في سبب ظهور هذا الجنس من الإفرنج (الفرنسيين) وغزو الجزائر من سيدي فرج، فهو يتعلق بأصل الفرنسيين وحملتهم على الجزائر.
- في ذكر السنة التي وقعت فيها الحملة.
- في ذكر احتلال وهران والمرسى الكبير.
- في ذكر قيام أهل غريس وبني عامر ومن والاهم واتفاقهم على الجهاد بدون أمير (بقيادة الشيخ محي الدين).
- في ذكر مبايعة الحاج عبد القادر على الجهاد.

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء ... ،المرجع السابق ، ص 187.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق ،ص 361.

- في سبب استيلاء الفرنسيين على الجزائر عموما.
- فيمن عاير أخاه بالتنصير.[1]

يمكن الاستفادة من هذا المؤلف في توثيق أخبار منطقة معسكر خلال الفترة الاستعمارية، خاصة في الفصل الرابع حيث تطرق الكاتب إلى ذكر قبائل المنطقة وما تعلق بهما من أحداث ومعطيات تاريخية وهذا ما يجعله مصدرا مهما يثري الرصيد المحلي للمنطقة.

4_ القول الأوسط: "للشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي"

العنوان الكامل للمؤلف: "القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط.

وهي رسالة في التاريخ في كتاب صغير يشمل على تسع وعشرين صفحة ذات الحجم الكبير كتب في أغلبها بخط عربي واضح مزين في بعض فقراته باللون الأحمر، وكما هو منصوص عليه فإن هذا المخطوط قد نقله أحد النساخ عن نسخته الأصلية.

ينسب الكاتب إلى قبيلة بني شقران التي تقطن المنطقة، وعاش فترة من حياته بمعسكر، وقد ذكر عن نفسه أثناء حديثه عن فيضان وادي الحمام أنه كان طالبا يتلقى العلم بإحدى مدارس مدينة معسكر، هذه المدينة التي كانت لا تزال تحتفظ بمركزها المميز كإحدى حواضر العلم والثقافة في الغرب الجزائري.[2]

أما فيما يتعلق بتحديد تاريخ تأليفه فإن الناسخ لم يذكره رغم أنه كان حريصا على ذكر اسم الكاتب والمؤلف.[3]

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 7 ، المرجع السابق ، ص (262-361)

[2] أمحمد بن عبد الرحمن الشقراني، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح وتق: ناصر الدين سعيدوني، البصائر، الجزائر، 2013، ص 9.

[3] أمحمد بن عبد الرحمن الشقراني، المصدر السابق ، ص9.

وآخر تاريخ مذكور في الكتاب هو سنة 1303هـ /1886م، وبذلك يكون الكتاب مؤلفا بعد هذا التاريخ ونحن نعلم أنه تعرض لوفاة الأمير التي كانت سنة 1300هـ -1883م. وبذلك يكون الكتاب قد ألف وسط الثمانينات أو نهاية التسعينات من ق 19 م.[1]

أما مضمون المخطوط فقد تعرض لأحداث متعددة وقضايا متفرقة منها ما عاصره ومنها ما نقله عن غيره من المؤرخين. فيبدأ بالحديث عن ثورة بوعمامة -حركة بوعمامة كما يسميها- وتهجمه عليها ويرى أنها كانت سببا في زيادة نفوذ الفرنسيين، ويواصل بالذكر ثورات الدرقاوة والتوجيني، وكفاح الأمير عبد القادر مشيرا إلى بعض المعارك التي خاضها ضد المحتلين مثل معركة سيق وغيرهم، كما يذكر بعض الكوارث الطبيعية التي حدثت بالناحية الوهرانية من مجاعات وأوبئة وفيضانات وما خلفته هذه الكوارث من نتائج مؤسفة على السكان اقتصاديا واجتماعيا، وبهذا يمكن الاستفادة من هذا المخطوط نظرا لما يحتويه من إشارات إلى الأوضاع الاجتماعية وغيرها لمنطقة معسكر ومن خلال ما يقدمه من معطيات حول الظروف التي كانت سائدة آنذاك.[2]

5_ أنفس الذخائر وأطيب المآثر للطيب المهاجي:

العنوان الكامل للمؤلف: "أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر". وهي إحدى المذكرات التي سلط فيها الضوء على مسيرته في طلب العلم وقد رتبه على مقدمة وثلاث مقاصد وخاتمة وتذييل، قام بذكر المشايخ الذين أخذ عنهم العلم وترجمهم، وذكر بعض الأنساب على غرار قبائل الحشم التي قال بأنها قريبة من مكان تواجده، يذكر في مقدمة الكتاب أنه ألف كتابه هذا أواخر القرن التاسع عشر ولم يقدمه

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ،المرجع السابق، ص 396.

[2] أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، المصدر السابق، ص 12.

للطبع لموانع تشديد الرقابة من طرف الاستعمار وعدم السماح بالطبع، كما تطرق لمعالجة العديد من المسائل الدينية والاجتماعية والثقافية في ذلك الوقت.[1]

تحدث في المقصد الأول عن نشأته وولادته حيث ذكر أنه ولد سنة 1881 من قبيلة أولاد علي إحدى قبائل بني عامر (قرب معسكر)، وذكر في المقصد الثاني تعليمه، ثم اتجاهه لطلب العلم، والمقصد الثالث توليه التدريس والتلقين وخاتمة لخص فيها ذكر بعض الحوادث المؤلمة التي وقعت في القطر الجزائري وغيرها.[2]

6_الصحف المحلية:

أما عن الصحف المحلية الصادرة باللغة العربية في منطقة معسكر، فقد كانت منعدمة بسبب القيود التي فرضتها فرنسا، ومشكل الإمكانيات المادية، لكن رغم ذلك فقد ظهرت في جهات أخرى من الجزائر على غرار جريدة "المبشر" الرسمية الصادرة في 15 سبتمبر 1848م.[3] اعتبرت كأول جريدة ناطقة باللغة العربية وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية، موجهة للجزائريين، تعرف الولاة كيف يتصرفون مع الرعية وتعرفهم بالزراعة والإنتاج والصناعات اليدوية.[4] وبالإضافة إلى نشر المادة الخبرية كانت تهتم بنشر بعض المؤلفات ذات الطابع المفيد، منها كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبو راس الناصري.[5]

---

[11] الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، الشركة الجزائرية للطبع والأوراق، وهران، د س

[2] حناني فردوس، المرجع السابق، ص 265.

[3] جاكر لحسن، نشاط ج ع م ...، المرجع السابق، ص 65.

[4] أبو القاسم سعد الله، ج 7 ،المرجع السابق ، ص230.

[5] نفسه، ص230.

جريدة "الشهاب" التي تأسست سنة 1925م، وقد تحولت لمجلة شهرية بداية1929.[1] وقد بلغ عدد المشتركين فيها من سكان دائرة معسكر بين سنتي (1933و 1939م). 24 مشترك توزعوا على مدنها: معسكر، فرندة، تغنيف، راس الماء، وبوحميدية.[2] وبذلك يظهر مما سبق أن اطلاع سكان معسكر على الجرائد الوطنية فلا تتوفر معلومات تفيد بذلك.[3]

إن ما تم حصره من مؤلفات ومخطوطات وصحف حول منطقة معسكر لا يمثل سوى القليل من الإنتاج الفكري الغزير المتعلق بهذه المنطقة وهو ما يدل على غنى المادة التاريخية التي لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والاستكشاف.

ثانيا: المعالم الاجتماعية والثقافية من خلال الكتابات الأجنبية.

تعد الكتابات الأجنبية مصدرا مهما لفهم معالم مختلف الجوانب من المنطقة المراد دراستها، فقد ساهمت في معرفة تفاصيل الحياة وخاصة الجانبين الاجتماعي والثقافي، فمن خلالها يمكننا التوصل لطبيعة العلاقات الاجتماعية والأنماط الثقافية السائدة في المنطقة، فالكتابات الأجنبية وخاصة تلك التي أنجبت خلال الحقبات الاستعمارية كانت تسهم في إظهار مختلف ثقافات المجتمع والذي أحيانا يكون ذلك بنظرة استعمارية تشوه الحقائق المحلية لصالح المستعمر، فخلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، كانت الكتابات التي أنتجتها الفرنسيون تحمل رؤى عن المجتمع الجزائري خاصة فيما يتعلق بالمعالم الثقافية والاجتماعية، فكان لمدينة معسكر وغيرها من المناطق الجزائرية نصيب من هذه الكتابات، التي تناولت الحياة اليومية لسكان المنطقة واثر لاستعمار على الثقافة المحلية للمنطقة، ومن بين أبرز هذه الكتابات الأجنبية (الفرنسية على وجه الخصوص) التي ساهمت في إبراز التاريخ الثقافي والاجتماعي لمنطقة معسكر نذكر:

---

[1] مبادر رشيد، إسهامات جريدة الشهاب في فضح مخططات الإدارة الاستعمارية، **مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مجلد 12/ ع1، جانفي 2020، ص1077.

[2] حناني فردوس، المرجع السابق، ص 160.

[3] جاكر لحسن، ج ع م ...، المرجع السابق، ص 65.

1_ كتاب "ملاحظات حول مسرح العمليات العسكرية وسط الجزائر"

Notes sur le Théâtre des Operations militaires dans le centre de l'Algérie

يحمل هذا الكتاب توقيع Saint-Hypolite سانت هيبوليت.

نشر لأول مرة في 15 أفريل من عام 1840 لمطبعة بورغندي ومارتينيت ،استخدم المؤلف اسم سانت هيبوليت ولم يذكر اسمه الكامل في غلاف الكتاب لكن حسب تاريخ الكتاب (1840) فمن المرجح أنه كان ضابطا في الجيش الفرنسي وقد شارك في العديد من العمليات العسكرية مثل البليدة والمدية ومعسكر.[1]

تناول هذا العمل العمليات العسكرية الفرنسية في وسط الجزائر خلال المراحل الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر مع التركيز على الجوانب الجغرافية والاستراتيجية للمناطق، ويعتبر وثيقة تاريخية هامة لفهم بداية تنفيذ الحملات العسكرية على مختلف مناطق الجزائر، كما يعتبر من أوائل الوثائق العسكرية التي سجلت معلومات دقيقة حول منطقة معسكر، فقد أشار هيبوليت في العديد من المرات إلى منطقة معسكر وقد تحدث عنها بشكل مفصل في ص22 أين نجده يعرف بالمنطقة فيذكر أنها مهد سلطة الأمير عبد القادر موضحا موقعها بين السهول والتلال، ويصف شكلها المربع الطويل وأنها محاطة بجدار يحتوي على 5 ضواحي وبوابتين وغيرها من الأوصاف، كما ذكر الطرق والمسارات التي استخدمتها القوات الفرنسية في التنقل للمنطقة وذكر الصعوبات والتحديات التي واجهتها.[2]

2_ كتاب "حول التوجيه الخاطئ الذي أعطي لشؤون الجزائر من خلال نظام الحملات العسكرية"

---

[1] Saint- Hyppolite , Notes sur le Théâtre des Operations militaires dans le centre de l'Algérie, Imprimerie de Bourgogne Et Martinet Jacub, 30 , 15, Avril 1840

[2] Op_cit.

De La Fausse direction donnée aux affaires d'Alger par le Système d'expédition

نشر هذا الكتاب في جانفي 1836 من مؤلف مجهول في باريس لغة الكتاب الفرنسية.

يعتبر وثيقة نقدية تناولت الطريقة التي كانت تدار بها شؤون الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي عام 1830، ينتقد من خلاله تركيز السلطات الفرنسية على الحملات العسكرية بدلا من اتخاذ خطوات إدارية فعالة بناء علاقة مستقرة في الجزائر. وهو من أوائل الوثائق التي طرحت نقدا داخليا للاستعمار ويبين أن الفرنسيين لم يكونوا جميعا راضين عن الطريقة التي تدار بها الأمور داخل مختلف مناطق الجزائر.[1]

أشار الكاتب في الصفحة الرابعة والخامسة إلى أن السلطات الفرنسية استقدمت اليهود من مدينة معسكر، وذكر أيضا أنه حتى ولو تمكنت فرنسا من السيطرة على معسكر أو القضاء عليها فإنها كانت عاجزة عن إضعاف الأمير عبد القادر أو تقويض مقاومته، فقد ذكر أنه لا يزال سيدا على مدن أخرى على غرار مليانة". واصل الكاتب في التحدث عن المنطقة (معسكر) في عدة محطات فقد قام بدمج شخص الأمير عبد القادر ووصفه بالشاب الطموح والشجاع الزعيم العربي الأكثر نفوذا، فذكر بأن السلطات الفرنسية لو سهلت علاقتها معه سيكون مفيدا ويسهل في القضاء على المنطقة، كما قام بوصف منطقة معسكر في محطة اخرى وذكر أعمال التخريب التي قام بها المستعمر خلال حملته عل المنطقة بداية الاحتلال.[2]

---

[1] De la fausse direction donnèe aux affaire d^jalger par le système dçexpèdtion « paris Delaunay,librairie au palais Royal Janvier »,

[2] .Op_cit

3_ مجلة: "إفريقيا المصورة L'Afrique du Nord illustrée

صدرت أول مرة سنة 1906 واستمرت في ذلك حتى الحرب العالمية الثانية ، لغة كتابتها، فرنسية. هي مجلة أسبوعية تصدر في الجزار تحديدا من العاصمة الجزائرية، ضمت مقالات وتقارير صحفية وتعتبر مصدرا هاما خلال الفترة الاستعمارية، تناولت في عددها الصادر في 1 جانفي 1912 المعنون باتحاد علماء العالم الحديث عن المنطقة حيث قام بوريو بتوجيه دعوة لإقامة مأدبة بمبادرة من السيد بيير رفييه المسؤول الوزاري في معسكر، كما تم ذكرها في العديد من المواضع المختلفة.[1]

كانت المجلة تركز على نشر أخبار شمال إفريقيا بما في ذلك الجزائر ومناطقها كما احتوت صور نادرة لمختلف الأشخاص والأماكن، وبهذا تكون قد ساهمت في نقل التراث المحلي لمختلف مناطق الجزائر بما فيها معسكر.[2]

4 _علاقة من بعثة معسكر بقلم ادريان بير بروغر :

Relation DE l'Expédition de Mascara Par ADRIEN _ BERBRUGGER

يحمل هذا الكتاب عنوان: "علاقة من بعثة معسكر" وهو من تاليف أدريان بيربروغر الذي كان يشغل منصب كاتب الماريشال الفرنسي كلوزيل،[3] نشر هذا العمل في باريس سنة 1836م، مباشرة بعد نهاية الحملة العسكرية الفرنسية، فإن عمله يصنف ضمن الشهادات المباشرة التي توثق بدايات التوسع الاستعماري الفرنسي في الجزائر، سعى الكاتب إلى تمجيد

[1] L Affrique du Nord illustrèe, janvier 1912.1l

[2] L'Afrique du Nord illustrée,op_cit.

[3] كلوزيل: هو الكونت كلوزيل المولود سنة 1772 فكان عمره عندما تولى وظيفة الجزائر 58 سنة، امتاز عهده بالغطرسة والارتجال والمغامرة والعنف ضد الجزائريين في المدن والأرياف. للمزيد نظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، ص36.

الجيش الفرنسي وقياداته، وخاصة الماريشال "كلوزيل" والأمير "دوق أورليان"، من خلال التركيز على تنظيم الجيش، تنطلق الحملة من الجزائر العاصمة، ثم تنتقل إلى وهران، ومن هنا يبدأ الزحف البري نحو معسكر وسط تضاريس صعبة، طقس قاس وهجمات متفرقة من طرف جيش الأمير عبد القادر، بعد معارك كثيرة ومناورات سقطت مدينة معسكر بأيدي الفرنسيين، وصفت بأنها مدينة محصنة، فيها قصر، مساجد، مخازن، غلال، أسوار عالية ومدافع، تم نهب المخازن وأخذ المخطوطات والوثائق، يلمح الكاتب إلى أن الجزائر أرض خصبة لكنها ضائعة، ولا بد من استرجاعها، مما يكشف بوضوح نية الاستيطان.[1]

الكاتب يصور معسكر كمركز للانتصار على الحملة، لكنه أيضا يعكس كيف كانت المقاومة الجزائرية منظمة ومتحضرة أكثر مما يحاول الكاتب أن يظهره، النص كله موجه لتمجيد فرنسا، لكنه بشكل غير مباشر يظهر أن الجزائر لم تكن أرضا فارغة، بل فيها حضارة، تنظيم وقوة قاومت الاحتلال حتى لو لم تنصفها الرواية ، يعتبر الكتاب مصدر تاريخي مباشر بحيث كان المؤلف شاهد عيان وشارك فعليا في الحملة، وهذا ما قاله أدريان بيربروغر في كتابه "عندما عدنا إلى المعسكر، كانت جميع النيران مشتعلة بالفعل في الوادي وعلى القمم المحيطة وكان المظهر العام ممتعا وحيويا للغاية".[2] هذه المعلومات تساعد المؤرخين كيف كانت تدار الحملات العسكرية الفرنسية في بدابات الاحتلال.

الكتاب يحتوي على وصف دقيق لمدينة معسكر، الطبيعة الأرض، أسماء القبائل وأنماط الحياة مما يجعله مرجعا لمن يدرس الجغرافيا،و استعجل الكاتب في تأليف ونشرع هذا العمل لأنه كان هناك اهتمام كبير من الرأي العام على الفرنسي على الحملة في معسكر، واغتنم الفرصة الشخصية بصفته سكرتير الماريشال استغل موقفه ليبرر نفسه كشاهد مهم، ويثبت

[1] Adrien Berbrugger, Relation de l'expedition de Mascara, Paris, Rue des petits Augustins, n°24, Delaunay, Librairie.

[2] Adrien Burbrugger, OP cit, P 59

وجوده في الساحة الفكرية والسياسية. وهذا ما صرح به في مقدمة كتابه: "تأسف لعدم تمكننا من ذكر جميع الحقائق المشرفة التي ميزت هذه الحملة المجيدة وتسمية جميع أولئك الذين يستحقون التنويه، إن الرغبة في نشر تاريخ الحملة ف أسرع وقت ممكن لم تسمح لنا بالانتظار حتى يتم جمع جميع المعلومات".[1]

5_معسكر الى سمو اوكتاف سي كوبين : Mascara A son Altesse, Octave ces caupenne

محتواه عبارة عن قصيدة نثرية أو شعرية تمجد بطولات ومآثر الحروب، تدعو إلى السلام تحت راية القوانين وتظهر مشاعر الفخر والعظمة المرتبطة بالعودة من المعركة منتصرا، ولكنها تنتهي بنداء للمستقبل حيث يمجد الذكاء والفن بدلا من القوة العسكرية ، وتحمل هذه القصيدة عنوان (Mascara a son ALTESSE) من إعداد الشاعر LE BARON de ces caupenne صدرت في باريس سنة 1836م،

هذه بعض الأبيات من القصيدة:

من صوت الخطر ينعش القلب النبيل ! إنه

لأمر جميل، وكله دموي، أن نعود منتصرين إلى

الأماكن العزيزة التي ولدنا فيها، وأن نرى من

كل جانب خطواتنا المنتصرة، الأمهات

يركضن، ويظهرننا للأطفال، فخورين بجعلنا معروفين[2]

[1] Adrien Burbrugger ,OP cit ,P 60

[2] Ces Caupenne, Mascara son Altesse, Paris, 1836.

يتحدث الشاعر في القصيدة عن شجاعة المحارب الذي يعود منتصرا ويفتخر بالمشاركة في المعارك من أجل مجد الوطن، يشيد بمشاهد الأمهات وهن يظهرن أبناءهن بفخر لدى عودة الجنود ،نشر النص في 1853، أي خلال بدايات الغزو الفرنسي للجزائر، وخاصة معركة معسكر التي شارك فيها الأمير عبد القادر، فربما تكون القصيدة موجهة له او حوله، رغم أن النبرة تميل للتمجيد الفرنسي ،الهدف من هذه القصيدة هو تمجيد شخصية نبيلة أو قائد عسكري و تمجيد المعارك والانتصارات في منطقة معسكر.[1]

6_الحكومة العامة الجزائر _ مراسلة الكابتن دوماس القنصل في معسكر

Gouvernement générale De l'Algérie Garrepondanse capitaine _ daumas consil a Mascara

هذا الكتاب يندرج ضمن سلسلة وثائق تاريخية غير منشورة عن تاريخ الجزائر بعد سنة 1830م، وهو عبارة عن مجموعة من المراسلات الرسمية التي كتبها الكابتن دوما (capitaine Daumas)،[2] الذي كان يشغل منصب قنصل فرنسي لدى الأمير عبد القادر بمدينة معسكر بين سنتي "1837– 1839" بقلم "جورج إيفير" (George Ivor) أستاذ

[1] Ces caupenne , op cit .

[2] القنصل دوما: هو ميليشور جوزيف أوجين دوما Melichor Joseph– Eugéné– Daumas ولد في الرابع من شهر سبتمبر 1803م، التحق كمتطوع بالجيش الفرنسي سنة 1822، ثم ارتقى لرتبة ملازم: Sous lieutenant سنة 1827، قدم إلى الجزائر سنة 1835، وبموجب معاهدة التافنة سنة 1837، عين قنصلا لفرنسا لدى الأمير عبد القادر (القنصلية الفرنسية بمعسكر)، تقلد عديد المناصب السامية، عسكرية وسياسية في الجيش الفرنسي مكنته من تعلم اللغة العربية والاهتمام بعادات وتقاليد المجتمع الجزائري. للمزيد أنظر: نور الدين بودرباله، عابد سلطانه، عائلة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 96.

بكلية الآداب بالجزائر، مطبعة أودلف جوردان، الطابع الرسمي لجامعة الجزائر ساحة الحكومة سنة 1912م.[1]

إن مادة هذا الكتاب أرشيفية بالدرجة الأولى، فهي مجموع المراسلات والتقارير اليومية التي كان دوما يعدها، وهو يشغل وظيفة كقنصل في دولة الأمير ما بين سنتي 1837-1839م، وتم طبعها سنة 1912م في مؤلف نحو عنوان:

Daumas, Eugéne (1803- 1871) Correspondance capitaine Daumas, consul a Mascara (1837- 1839) par Georges, 1 er edition, Alger,Adolphe Jourdan, Paul cauthner, Paris, 1912.

لقد تنوعت موضوعات هذه المراسلات، فمنها التقارير العسكرية، والسياسية عن أحوال الأمير ودولته الفتية، كما تضمنت موضوعاتها معلومات مهمة عن الواقع الاجتماعي، والحياة اليومية لقبائل الغرب الجزائري.[2]

باعتبار مدينة معسكر عاصمة فعلية للأمير عبد القادر خلال هذه الفترة، هذا ما يجعلها محورا للأحداث من الناحية السياسية والدبلوماسية لذا حتى وإن لم يقدم تعريفا موسوعيا لمعسكر، فإنه أبرز أهميتها من خلال ذكرها في سياق المقاومة الجزائرية، كما كانت معسكر نقطة التواصل بين الطرفين وموقعا للمراسلات الرسمية التي تم توثيقها في هذا الكتاب ،يقدم الكتاب مصدرا مباشرا من وجهة نظر فرنسية عن مقاومة الأمير عبد القادر ويظهر كيف كان ينظم دفاعه ضد الاستعمار، تعد هذه المراسلات مصدر نادر من الداخل الفرنسي بحيث تكشف رؤية الإدارة الفرنسية وصراعاتها الميدانية، مما يمنحها فهما مزدوجا: من جهة

[1] Daumas, Eugéne (1803- 1871) Correspondance capitaine Daumas, consul a Mascara (1837- 1839) par Georges, 1 er edition, Alger,Adolphe Jourdan, Paul cauthner, Paris, 1912.

[2] بودربالة نور الدين ،عابد سلطانة ،المرجع السابق، ص 97.

المقاومة، ومن جهة المستعمر، تكشف المراسلات عن الجوانب الاجتماعية والدينية والعسكرية للأمير وتظهره كقائد متكامل ذو كاريزما ونفوذ، معسكر ليست فقط مسرحا للأحداث في هذا الكتاب، بل مثلت العاصمة السياسية والرمزية.[1]

وفي الختام يمكن القول أن الباحث لا يمكنه قراءة هذه المراسلات إلا على ضوء العلوم المساعدة الأخرى، فهذه المراسلات على أهميتها التاريخية، إنما عكست الخلفية الإيديولوجية لدوما أكثر مما عكست واقع المجتمع آنذاك.[2]

7_الصحف الفرنسية :

إلى جانب المؤلفات الفرنسية التي تناولت تاريخ المنطقة من مؤلفات شخصية أو حتى رسمية يمكننا أن نستفيد من بعض الصحف(انظر الملحق رقم 05) التي وثقت جوانب مختلفة من الحياة الثقافية والاجتماعية خلال الفترة الاستعمارية من خلال الأخبار والتقارير التي تنشرها، بحكم سيطرة الكولون بالتعاون مع قادة الأحزاب الفرنسية المحليين على الصحافة في المنطقة وأنشأوا جرائد أسبوعية كولونيالية باللغة الفرنسية.[3]

ترجع بداية ظهور الصحافة الكولونيالية بمعسكر إلى حوالي سنة 1880 بإصدار أول جريدة تحت عنوان:

(Le Réveil De Mascara) لتظهر بعدها بقليل صحف يصل تعدادها لأكثر من 10 جرائد، وقد تقاسمت طباعتها من مطلع القرن 20 مطبعتين رئيسيتين الأولى تقع بشارع كارنو (Carnot) شارع محمود حاليا، والثانية في شارع بول دومير (Pol Daumar) شارع نصر الدين محمد حاليا.[4]

---

[1] Daumas Eugéne ,op cit .

[2] نور الدين بودربالة، عابد سلطانة، المرجع السابق، ص 103.

[3] جاكر لحسن، ج ع م ...، المرجع السابق، ص 64.

[4] أورندي الطيب، الواقع الاجتماعي والثقافي ...، المرجع السابق، ص 360.

ومن هذه الجرائد نذكر:

1- Le Réveil de Mascara : تعتبر أقدم وأشهر جريدة لمعسكر تأسست في 1880م.[1]

2- La venir de Mascara : تأسست في فيفري عام 1920.[2]

3- Liberté de Mascara: صدر أول عدد من هذه الجريدة في 1904.[3]

4- Le progrès de Mascara: أول عدد من هذه الجريدة صدر في 1894 كانت تنقل أخبار الإدارة الفرنسية وأخبار المعمرين والقضايا المتعلقة بالسكان فقد ورد مثلا في النسخة المؤرخة 1909 نص قانوني يتعلق بشؤون الإرث والوصاية في المنطقة، فيمكن من خلال هذه الوثيقة أن تكون ذات أهمية كبيرة في دراسة التاريخ الاجتماعي لمنطقة معسكر.[4]

5- L'indipendant de Mascara تأسست في 1884.[5]

تجدر الإشارة إلى أن كل ما تم التطرق إليه من هذه الدراسة من كتابات فرنسية لا يشمل كل ما كُتب حول المنطقة بل يعد مجرد عينة منها فقط وذلك بسبب صعوبة الوصول إليها والتحصل عليها ومع ذلك فإن هذه العينة كافية لمعرفة الخطاب الفرنسي ودوره في توضيح مختلف المعالم الثقافية والاجتماعية خلال الفترة.

[1] Le réveil de Mascara : 18/ 05/ 1880.

[2] جاكر لحسن، ج ع م ...، المرجع السابق، ص 46.

[3] La liberté de Mascara 09/ 06/ 1904.

[4] Le progrès de Mascara, samedi 2 janvier 1909.

[5] L'independent de Mascara ; 1884.

ثالثا: آثار السياسة الفرنسية على الحياة الاجتماعية و الثقافية في معسكر:

01_على الصعيد الاجتماعي :

لم تكتف السلطات الفرنسية بالهيمنة العسكرية فقط بل راهنت على ضرب المجتمع الجزائري من الداخل، وحاول فسخ الروابط الاجتماعية، حيث اتخذ منذ البداية سياسة استعمارية واضحة للقضاء على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها وترتب عن هذه السياسة أوضاع سيئة ومزرية عانى منها المجتمع الجزائري.[1]

كما هو عليه الحال في معسكر، وقد انعكست هذه السياسة على مختلف الجوانب الاجتماعية إذ نلاحظ مظاهر عديدة للانهيار الاجتماعي نذكر منهت:

أ- **تفكيك البنية الاجتماعية:**

عملت الإدارة الفرنسية على تفكيك البنية الاجتماعية وتكوين مجتمع طبقي وإحداث تغيرات سوسيو ثقافية على هيكل النظام الاجتماعي من خلال:[2]

*نزع الملكية: تعد عملية نزع الملكية ومصادرة الأراضي خطر الإجراءات التي اتخذتها السلطات الاستعمارية لتثبيت أقدامها في الجزائر، وبالتالي إهانة السكان الأصليين الذين اعتبروا الأرض عاملا مهما في حياتهم وتماسكهم الاجتماعي منذ القديم. وقد أصدر جملة من المراسيم والقوانين الخاصة بمنطقة معسكر أبرزها ما يلي:

- قرار 30 مارس 1886 الذي مس أراضي القبائل الموجودة على بعد 24 كلم حول معسكر.
- إجراءات الجنرال لامورسير الذي صادر مساحة تابعة لقبيلة الحشم قدرها 5500هكتار، موزعة على عائلة مستوطنة قدمت لمعسكر سنة 1846.

[1] إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني ما بين 1850- 1914،المرجع السابق ص17.

[2] محمد مدان، المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي، **مجلة أنثروبولوجيا الأديان**، ع 9، تلمسان، ص144.

- مرسوم 1844 و1846 اللذان يعتبران أن عدم زراعة الأرض هو سبب كاف لانتزاع ملكيتها ووضعها تحت تصرف المصلحة.
- صدور جملة من القوانين الظالمة بين سنوات 1851 إلى 1897، حيث فقد الجزائريون أراضيهم هكذا في دوار سيدي بن موسى عام 1887، ودوار بوحنيفية، تم تخفيض 695 حصة وراثية إلى 80% من أصحاب الحق.
- قرار 19 أفريل 1854، القاضي بحجز ممتلكات المشاغبين في دائرة معسكر.[1]
- قرار 8 نوفمبر 1856 المطبق على المهاجرين في دائرة معسكر، بالإضافة إلى تطبيق قرارات مجلس الشيوخ (22 أفريل 1863) بدائرة معسكر سنة 1867 الذي كان يرمي أساسا إلى تحديد أراضي القبائل وتوزيعها بين الدواوير وتفتيت الأرض في كل دوار.[2]

*تفتيت القبائل إلى دواوير:

إن الاستعمار الفرنسي ومن موقع تجربته واحتكاكه مع القبائل التي قادت المقاومة، قد استوعبت ومسرعة مدى رمزيتها الاجتماعية فعمل على تفكيكها وتحطيمها لأن القبيلة هي الحقيقة السياسية الوحيدة الراسخة في المجتمع الجزائري. وبعد القضاء على القاعدة المادية المتمثلة في الملكية الجماعية، انتقلت فرنسا إلى تفكيك النظام الاجتماعي بتفتيتها إلى دواوير[3] ومحاولة التحالف مع بعضها على غرار قبائل معسكر التي حاول بيجو استمالة بعض من قبائلها وعلى رأسها قبيلة الحشم إلى صفه، فكتب إلى رؤسائها يدعوهم إلى طاعته

[1] جاكر لحسن، الحركة الوطنية... ، المرجع السابق، ص 29.

[2] نفسه،ص31.

[3] محمد مدان، المرجع السابق، ص 146.

ويتوعدهم في حالة رفض ذلك، وهو ما لقي استنكارا واستهجانا من طرفهم فكان ردهم بأن هذه الدعوة مرفوضة.[1]

*تغيير الأسماء والألقاب:

ذهب بعض المؤرخين إلى الإقرار بأن استبدال نظام الألقاب في الجزائر من طرف السلطات الاستعمارية كان الهدف منه الاستيلاء على الأراضي وتفكيك نظام القبيلة وتطبيق النظام الفرنسي الذي يخاطب الشخص بلقبه وليس باسمه والهدف الجوهري وراء ذلك طمس الهوية الجزائرية واحتقار وإذلال الفرد الجزائري.[2]

وفي هذا السياق أصدرت السلطات الاستعمارية قانون الحالة المدنية الصادر في 23 مارس 1882م، الذي كان الهدف الخفي من وراءه تشويه ألقاب الجزائريين، ولم يكن هناك أي منطق وراء إطلاق هذه الألقاب وكل ما الأمر هو الرغبة في تحطيم معنويات الجزائريين من خلال منح الفرصة لترديد أسماء مشينة طوال الوقت ومزال الأبناء والأحفاد يتوارثون هذه الأسماء منذ عام 1882وهي أسماء لم يختاروها وإنما أجبروا على حملها لغاية اليوم، والهدف منها هو تفكيك نظام القبيلة لتسهيل الاستيلاء على الأراضي وإبراز الفرد كعنصر معزول.[3] والأسماء التي أعطيت لهم كانت مهينة لحيوانات مثل: شادي والتي تعني قرد، راس كلب، الفرطاس وغيرها بالإضافة لبعض الأسماء الفاحشة وقد نجحت إلى حد كبير في

[1] أوريندي الطيب، المرجع السابق، ص 07.

[2] تواتي فضيلة، الألقاب المشينة في الجزائر (حقيقتها، آثارها وإجراءات تغييرها)، **المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والسياسية**، مج 58، ع 04، السنة 2001، ص_ص 517- 542...ص 523.

[3] عبد الوحيد جلامة، قراءة في قانون الحالة المدنية (23 مارس 1882)، **ضمن أعمال الملتقى الوطني**، من إعداد وتنسيق الدكتور توفيق بن زردة، الألقاب العائلية في الجزائر بين النص والتطبيق والآثار: 1873- 1962، أكتوبر 2019، ص 89.

تفكيك العلاقات الاجتماعية حيث أن هناك 3 أشخاص من نفس العائلة مثلا أعطيت لهم ألقاب مختلفة.[1]

ب _ضرب الأسرة:

انعكست الأوضاع القاسية التي فرضها الاستعمار من سياسات اقتصادية جائرة في تردي المستوى المعيشي للسكان الذي عرف تدهورا كبيرا في ظروفه اليومية مما أثر بشكل مباشر على استقرار الأسر وترابطها.

*وضعية المرأة: إن المحن وسنوات الجفاف والمجاعة والأمراض والوفيات والجوع فقد عانت المرأة الجزائرية من الاحتياج وشظف العيش بعد أن استولى المعمرين على أرضها وخيراتها ودفع بها وبزوجها إلى البحث عن العمل لدى المعمرين أو في بيوت الكولون خادمة بأجور زهيدة لتسد حاجياتها وحاجيات أطفالها وفي كثير من الأحيان كانت تضطر لبيع كل ما تملكه لسد نفقات البيت في حال وفاة الزوج أو غيابه، وقد استغل رجال الدين الذين جاؤوا إلى الجزائر لنشر المسيحية لتتصير المرأة لكنها في أغلب الأحيان ظلت محافظة على دينها وعاداتها وتقاليدها ومقوماتها الشخصية وانتمائها الحضاري،[2] وقد اقحمت المرأة المعسكرية في صنع احداث ثورة نوفمبر باشتراكها في اقتال المفتوح مع العدو على كل الجبهات، ومن الفتيات اللواتي التحقن بالثورة وسلكن طريقها إلى الجبال نذكر: زوبيدة ولد قابلية، بلبوري رحمة، النبية حبوس، علال فتيحة، عقار فاطمة، العربي الزهرة، غلال شريف، هلالي ليلى، طامة عزيزة، ليلى إدريس الطيب، كسيرة نصيرة....وغيرهن.[3] وقد برزت أثناء حياة الأمير عبد القادر امرأتان: أمه لالة زهرة وزوجته لالة خيرة وكانت أمه ذات مكانة خاصة في قومه

[1] الوناس الحواس، الأوضاع الاجتماعية للجزائر بين سنوات (1830– 1930)، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج، ع 1، جانفي 2013، ص 99.

[2] يمينة بشي، مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن الاحتلال، **مجلة المصادر**، ،ع3، د ص.

[3] عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 90.

حتى كان يدعى بابن السيدة الزهرة وكان يشاورها ويتبع نصائحها، وقد عانت من مطاردة الفرنسيين لها ودخلت السجن بفرنسا حوالي 5 سنوات وكذلك لالة خيرة وأطفالها.[1]

*تشريد الأهالي وسلبهم: أما الجزائريين الذين طردوا ونفوا وشردوا فإنهم لم يحصلوا على أي تعويض جراء ما سلب ونهب من ممتلكات وعقارات حتى أن الجيش الفرنسي كان يقلع الأبواب ويكسرها ويحرقها وكان الجنود ينهبون باطن الأرض بحثا عن الكنوز المنهوبة.[2] وبعد دخول الفرنسيين لمدينة معسكر قاموا بحرقها وإشعال النيران وتدميرها واستنزاف خيرات الجزائريين، واصلت القوات الاستعمارية عملياتها الإجرامية فقامت بتحطيم وتخريب محاصيل قبائل الحشم الزراعية في غريس ونهب مطامير القمح من قبائل الفليتة وحرق بيوت هذه القرية، واستطاعت نهب القمح والبقر، وهي في طريقها نحو معسكر، كما سيطرت على حوالي تسعة عشر دوار بضواحي معسكر وقامت بنهب عدد كبير من الماشية وذلك في 6 و7فيفري 1842.[3] ومع مرور الزمن الاستعماري ساءت أحوال السكان إلى درجة أن أحد أنصار الاستعمار وهو السيد موريس فيوليت يقول: "إنها لحالة فاجعة حقا... حالة البؤس التي دفعت إليها الأكثرية الساحقة من السكان هناك، فثمة الأكواخ المبنية من أغصان الشجر والغطاء المهلهل المفروش على الأرض والأدوات المنزلية البدائية، ولا أثاث هناك".[4]

ب_تدهور الوضع:

أدى استمرار السياسة الاستعمارية إلى تدهور عميق في الوضع الاجتماعي، فقد كان الجزائريون يرتدون ثيابا رثة بالية، بسبب قلة القماش وكثر بيع الألبسة القديمة في الأسواق،

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ،ج6، ص 342.

[2] عبد الجليل مرتاض، الوضع الاجتماعي في الجزائر خلال عهد الاحتلال الفرنسي، **مجلة اللغة العربية**، العدد الممتاز، ص450.

[3] عبد القادر سلاماني، جرائم الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري (منطقة معسكر أنموذجا) (1830- 1847) **مجلة الأدب والحضارة الإسلامية**، مج 12، ع 25، سنة 2020، ص229.

[4] عبد الجليل مرتاض، المرجع السابق، ص 456.

وقلما أن يجد الجزائري ما يلبسه أو ما يشتريه بسبب ظروف الحرب كما عانى من الجوع والبؤس والشقاء وكان المستوى المعيشي متدنيا خاصة المناطق الداخلية كمعسكر كما عانوا من سوء التغذية بسبب أكل طعام واحد وهو الكسكس وخبز الشعير.[1]

استنزف الوجيه الفرنسي أعدادا من الجزائريين ماديا ومعنويا عن طريق إغرائهم بالاندماج في مظاهر الحياة الجديدة مما أدى إلى انخراط قسم من الجزائريين في الجيوش الفرنسية ودفع بعضهم للعمل لدى الفرنسيين، بالإضافة لتفشي ظاهرة البطالة وتفتت الأسرة وتراخي الروابط الاجتماعية، ويمكن تفسير ذلك بلجوء العمال والفلاحين –كون أن معظم الجزائريين يعملون في أراضيهم– إلى العمل في مزارع المستعمرين أو في بيوتهم بأجور زهيدة[2] ولم يستثني الاستعمار أي جانب من جوانب المجتمع إلا وبث فيه سمومه وبذل كل ما بوسعه من أجل الحط من القيم الأخلاقية، فكان من الأيسر على الجزائري أن يحصل على رخصة فتح مقهى من أن يحصل على رخصة لفتح مدرسة ويجب أن يكون المقهى معدا لكل ما يخالف الأخلاق من قمار، وبهذا شاع الخمر، كما شجع بيوت الفساد ويصدر في ذلك قوانين تتيح له ذلك وتحفظه من كل رد اجتماعي كما نشرت الدعارة دون مراعاة لحرمة الأوساط العائلية واحترام الأماكن الطاهرة مثل الجامع الأعظم وغيرها.[3]

02: على الصعيد الثقافي :

يعد التعليم أحد أهم المجالات التي استهدفتها السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر منذ بداية الاحتلال سنة 1830م، إذ أدركت الإدارة الاستعمارية أن فرض لغتها وثقافتها يشكل وسيلة فعالة لإحكام سيطرتها عل المجتمع الجزائري. وعلى غرار باقي مناطق الوطن، شدهت مدينة معسكر تحولات عميقة في واقع التعليم، حيث سعت السلطات الاستعمارية إلى

[1] صوافي الزهرة، المرجع السابق ،ص 18.

[2] نقاز سيد أحمد، الأسرة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي، **مجلة المصادر**، ع 13، ص183.

[3] مراد قبال، السياسة الاجتماعية الفرنسية في الجزائر، أهدافها وتداعياتها (1830– 1939) **مجلة القرطاس**، ع9، جويلية 2018، ص 132.

نشر المؤسسات التعليمية الفرنسية وإضعاف البنية التعليمية التقليدية المتمثلة في المساجد والزوايا، وقد انعكست هذه السياسة على الجوانب الثقافية للمجتمع المعسكر ونلاحظ ذلك من خلال:

أ_ سياسة التعليم الفرنسي وأهدافه الاستعمارية:

نميز الاستعمار الفرنسي المباشر للجزائر بفرض اللغة الفرنسية على المجتمع فقد أولى المحتلون عناية خاصة للمدرسة، لكونها تعد الوسيلة الناجحة التي يمكن من خلالها تحقيق الغزو المعنوي للجزائريين، وإدماجهم في المجتمع الفرنسي، فكانت المدرسة بالنسبة لهم، هو ذلك الجسر الذي يربط بين الشعبين وتعبر من خلاله التأثيرات المختلفة، ولهذا الغرض شرعت الإدارة الفرنسية منذ السنوات الأولى من الاحتلال في تشييد بعض المدارس للجزائريين، وقد بلغ عدد المدارس الابتدائية الفرنسية العربية عام 1870م، "36 مدرسة" وبلغ عدد التلاميذ المسجلين 1300 تلميذ مسلم.[1]

وبهذا يمكننا القول أن الاحتلال الفرنسي تسبب في تراجع التعليم في بلادنا مقارنة بالفترات التي سبقت زمن الاحتلال، خاصة ما بين 1848- 1846م نتج عنه جيل أمي يجهل القراءة والكتابة وتعاليم دينه الإسلامي.[2]وقد اعتمدت فرنسا على سياسة التنصير والفرنسة.

وباعتبار اللغة العربية إحدى رموز الهوية تم إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، وبالتالي لا يجوز تعليمها في المدارس الحكومية والشعبية إلا على أساس اعتبارها لغة

[1] أرزقي شويتام، سياسة الاستيطان الفرنسي في الجزائر 1830- 1914م، **مجلة التاريخ المتوسطي**، جامعة الجزائر2، مج2، ع2، ديسمبر 2020، ص 211.

[2] نفسه، ص 8

أجنبية، وذلك بالقضاء على مراكز الثقافة والمدارس الرسمية والمعاهد والزوايا التي كانت تعلم فيها اللغة العربية.[1]

*_المدارس التي أنشأها الاستعمار في معسكر:

تم بناء مدرسة عربية فرنسية في معسكر سنة 1866م بعد موافقة وتصويت المجلس البلدي برئاسة رئيس البلدية ليون لافاي (Leon Lafaye) والمحافظ المدني على مشروعها سنة 1855 ثم المجلس العام سنة 1859م، وقد قدرت تكلفة إنجازها بـ 6060 فرنك،[2]

ومدرسة معسكر كانت مثلها مثل بقية المدارس العربية الفرنسية الأخرى يؤطرها معلمان إحداهما فرنسي والذي يشغل منصب مدير المدرسة في نفس الوقت والآخر جزائري مساعدا له، يعينان من طرف الوالي العام باقتراح من عامل العمالة أما برنامج التدريس فيها فيتألف من ثلاث مواد رئيسية هي اللغة العربية، واللغة الفرنسية، والحساب باللغة الفرنسية.[3]

وفي الوقت الذي ضيقت فيه السلطات الفرنسية على الجزائريين وحرمتهم التعليم، قامت بفتح عدة مدارس لأبناء الأوربيين، بمدينة معسكر، كان أبرزها مدرسة ألكسندر الثلث للبنين (مدرسة يوسيف المختار حاليا) التي افتتحت سنة 1874م ومدرسة البنات (مدرسة بكارة بلهاشمي حاليا) التي تم افتتاحها في 1 أكتوبر 1894.[4] فقد استمرت معاناة التلاميذ مع الفقر والاكتظاظ داخل الأقسام وانعدام شروط النظافة والصحة، والتسرب المدرسي، بل والأكثر من ذلك عدم التحاق الكثير منهم بمقاعد الدراسة، وهو ما اعترف به المندوب المالي السيد باسكال موزيلي (Pascal Muselli) في إحدى جلسات المفوضيات المالية المنعقدة

[1] خيرة المهدي هجالة، سياسة الفرنسة في الجزائر 1830- 1962م، **مجلة الإحياء**، جامعة علي لونيسي البليدة 2، مج 21، ع 29، أكتوبر 2021، ص755.

[2] أورندي طيب، المرجع السابق، ص248.

[3] نفسه ، ص 248

[4] نفسه، ص 250.

بتاريخ 26 أكتوبر 1932: حيث قال: (...يجب بذل جهد كبير لأن العديد من الأطفال لا يحصلون على التعليم الذي يستحقونه لأنهم لا يجدون مكان لهم في المدارس والدليل على ذلك هو دائرة معسكر التي أتشرف بتمثيلها، حيث نرى للأسف العديد من الأطفال يتجولون في الشوارع ولا يمكن للمدارس الحالية استقبالهم....)[1]

قامت السلطات الفرنسية بإنشاء إعدادية للذكور والبنات بمعسكر على النحو التالي:

1- إعدادية الذكور بمعسكر:

أنشأت سنة 1927، تعاقب على إدارتها كل من:

- بيار كونيون Pierre counillon (1927- 1928)
- هنريات تبول 1929 Henriette Teboul رتبته الأصلية أستاذ
- سفير البودالي 1939- 1940 رتبته الأصلية "معلم منتدب"
- أحمد بوشيخي 1956- 1961 رتبته الأصلية: "معلم منتدب"
- عبد القادر قرمالة 1958 مدرس منتدب.[2]

2- مدرسة البنات معسكر:

أنشئت سنة 1919 من أبرز أساتذتها:

- يمينة لعراب: مدرسة آداب ولغة عربية (1919- 1939م)
- السيدة بواكس (Mme Boex) معلمة منتدبة 1939- 1940.
- السيدة أبركان 1950
- أحمد بوشيخي 1951- 1956م.[3]

[1] أوريندي طيب ، المرجع السابق، ص 257.

[2] شيخ لعرج، المؤسسات التعليمية الاستعمارية في الجزائر ومسألة تعليم الجزائريين (1830- 1962م) جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، دص.

[3] شيخ لعرج، المرجع السابق، د.ص.

يقول أبو القاسم سعد الله: "(لا تحسبن أن هذا التعليم كان مفتوحا للجميع فالديمقراطية لم تكن معروفة، والتعليم إنما أنشئ لخدمة اللغة الفرنسية في البلاد، ولم يكن من مصلحة الفرنسيين أن يفتحوا المدرسة الابتدائية المحدودة لكل الأطفال الأبرياء...لذلك فإن التعليم هنا كان مفتوحا فقط لأبناء الأعيان والعائلات التي خدمت فرنسا أو التي تتعامل معها، أما العائلات التي حاربتها أو تلك المجهولة فلا مكان لأطفالها في المدارس العربية الفرنسية).[1]

* _سياسة التجهيل وطمس الهوية:

كانت الأوضاع الثقافية في الجزائر صورة حية لسياسة التجهيل التي انتهجتها السلطات الاستعمارية سنة 1830م، متوجهة منذ البداية إلى القضاء على الثقافة العربية الإسلامية تمهيدا لدمج الجزائريين في الكيان الفرنسي.[2]

قام المحتلون في بداية احتلالهم للجزائر بالاعتداء على أماكن العبادة، فحولوا المساجد إلى كنائس وإلى إسطبلات للحيوانات وإلى ثكنات عسكرية وإلى مخازن، ثم استولوا على مؤسسات الوقف لاعتقادهم أنها تمثل مصدر التمويل للمقاومة الجزائرية وقطاع التعليم والمدرسين والعلماء. وجعلوا المؤسسات الدينية كلها بما فيها المساجد والزوايا والأضرحة والمدارس وموظفيها تحت الإدارة الفرنسية وقد ترتب على هذا الوضع تفشي ظاهرة الجهل في المجتمع الجزائري. بعدما كانت نسبة كبيرة منه تتقن الكتابة والقراءة.[3]

يقول أليكسيس دي مكوفيل "الكاتب البرلماني الفرنسي سنة 1947: "لقد استولينا في كل مكان على هذه الأموال أموال المؤسسات الخيرية التي تلبي حاجات الإحسان والتعليم وذلك بأن حولنا جزئيا لأن استعمالاتها السابقة وأنقصنا المؤسسات الخيرية، وتركنا المدارس تتداعى وبعثرنا الحلقات الدراسية، لقد انطفأت الأنوار من حولنا وتوقف انتقال رجال الدين

[1] طيب أورندي، المرجع السابق، ص 249.
[2] قويدري نايرة، تامرني فتيحة، المرجع السابق، ص 06.
[3] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 193.

ورجال القانون. وهذا يعني أننا جعلنا المجتمع الإسلامي أشد بؤسا وأكثر فوضى وأكثر جهلا وأشد همجية بكثير مما كان عليه قبل أن يعرفنا".[1]

تعرضت معسكر للحرق، والتخريب على يد الجنرال كلوزيل عام 1835م والجنرال بيجو 1841م، كما تأثرت مؤسساتها الدينية ومكتباتها وانخفض عدد سكانها من عشرة آلاف نسمة إلى 2840 نسمة حسب المصادر الفرنسية،[2] وكانت المساجد من أهم المؤسسات التي دفعت ثمن السياسة الاستعمارية الهادفة إلى تمسيح الجزائريين، وطمس معالمهم الحضارية ومحو مقاومتهم الشخصية.[3] ومن المساجد التي تعرضت للتخريب هو مسجد عين البيضاء الذي كان يؤدي فيه الأمير عبد القادر صلاته إلى مستودع للتجهيزات العسكرية، ومربطا لخيول الصبايحية.[4] وهدم مسجد بومعزة، وبناء كنيسة سان بيير على أنقاضه بأمر ملكي عام 1843.[5]

لقد وصف المؤرخ "موريس واهل" الوضعية المأساوية التي أصبحت عليها المراكز الثقافية بالجزائر غداة الاحتلال مباشرة في كتابه الجزائر قائلا: "(لقد بدأنا بتحطيم شبه كلي للمدارس الابتدائية، الزوايا، المدارس العليا، المدارس الإسلامية الأخرى التي كانت موجودة قبل 1830، وبعدها قمنا بمحاولات محتشمة لم تعطنا سوى نتائج هزيلة وسلبية أحيانا)".[6]

---

[1] فتح الدين بن أزواو، السياسة الاستعمارية الفرنسية الدينية والثقافية في الجزائر (1830- 1954م)، جامعة محمد بوضياف المسيلة، مج5، ع02، ديسمبر، 2021، ص 280.

[2] جاكر لحسن،ج ع م ... المرجع السابق، ص 65.

[3] نفسه، ص 65.

[4] أورندي طيب، المرجع السابق، ص.ص 193- 194.

[5] جاكر لحسن، ج ع م ... ،المرجع السابق، ص 65.

[6] حنان لطرش، السياسة الفرنسية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، قسنطينة، الجزائر، مج 35، ع01، سنة 2021، ص1424.

نلاحظ أن الأعمال التخريبية التي قام بها المحتلون، كانت موجهة أساسا ضد رموز الشخصية الجزائرية، مثل المعالم الحضارية والثقافية بما تحتويه من لغة ومعتقدات وأماكن العبادة وكان هدفهم طمس هوية الشعب الجزائري واقتلاعها من جذورها.[1]

ولم تسلم الثقافة من عملية التدمير، فقد ذكر حمدان خوجة بأن الجنرال كلوزيل هدم المحلات التي كانت تبيع الكتب والتي كانت مقرا للناسخين لاحتوائها عبى المطابع، واستولت فرنسا عل المخطوطات والوثائق والكتب الموجودة في مختلف المكتبات، بل قام ناهبون ببيعها إلى تجار الكتب الأوربيين، هذا عدا الكتب التي أحرقت كما حدث لمكتبة الأمير عبد القادر التي أحرقها الدوق دومال.[2]

وعبِّر الأمير عن هذا بنفسه، حيث قال: "((فإن الله لم يشأ ذلك فالكتب التي أحضرتها من كل أجزاء الشرق لهذه المكتبة، أخذت مني عندما استولى ابن الملك على زمالتي، ومما زاد في سوء حظي أنني كنت قادرا على تتبع طابور الجيش الفرنسي أثناء عودتهم إلى مدينة المدية بأوراق الكتب الممزقة المبعثرة تلك الكتب التي كلفتني كثيرا من الوقت والجهد لجمعها)).[3]

ولم يكتفي الاستعمار بنهب المخطوطات الجزائرية بل راح يحارب الصحافة الوطنية التي كانت تعمل على تثقيف الشعب وتدافع عن الثقافة العربية.[4]

يقول أحمد توفيق المدني في كتابيه: ((بأن مجمل المساجد والمؤسسات الإسلامية قد أصبحت ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة تفعل بها ما تشاء)).

---

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 194.

[2] فتح الدين بن أزواو، المرجع السابق، ص 289.

[3] بوخاوش سعيد، مظاهر مقاومة الفرنسة ونشر اللغة العربية عند الأمير عبد القادر، جامعة البليدة 2، ص 56.

[4] حومة حورية، منصر سهيلة، أهم المشاريع الإصلاحية الفرنسية في الجزائر، جامعة 08 ماي 1945 قالمة، قسم التاريخ، سنة 2021- 2022، ص17.

وهكذا نجد أن الإدارة الفرنسية لم تهتم بتطوير التعليم الجزائري فهدمت معظم المدارس وأغلقت الكثير منها، قاومت التحاق الجزائريين بمؤسسات التعليم الفرنسي، كما رفض المستوطنون تعليم الجزائريين بدعوى أنهم غير قابلين للتعليم والتحضر ولا يصلحون إلا للأعمال الشاقة.[1]

ب _ السياسة اللغوية الاستعمارية ومحاولة طمس الهوية الثقافية:

سعت السلطات الاستعمارية الفرنسية خلال فترة احتلالها للجزائر إلى طمس الهوية الوطنية وتشويه الذاكرة الجماعية من خلال فرض أسماء فرنسية على شوارع المدن الجزائرية. ومنها مدينة معسكر، فتمت تسمية العديد من الشوارع والساحات بأسماء ضباط سياسيين أو مستوطنين فرنسيين، في محاولة لتكريس الهيمنة الثقافية وتهميش الرموز المحلية، غير أن هذه المعالم عرفت تحولا بعد الاستقلال وهو ما سنتطرق إليه:

* _محاولات فرنسا لفرض اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية:

لقد عملت فرنسا للوصول إلى غرض الفرنسة على محاربة اللغة العربية باعتبارها منافسا للغة الفرنسية، وللوجود الفرنسي في الجزائر.[2] ولتزيد من عزلة اللغة العربية وتحد من استعمالاتها في الأجهزة الإدارية والتعليمية والدوائر السياسية. اعتبرتها إدارة الاحتلال لغة أجنبية،[3] الواقع أن سياسة فرنسا كانت تهدف للقضاء على اللغة العربية وأول ما عملته أنشأت إدارة فرنسية جزائرية وهي امتداد للإدارة الفرنسية، وأيضا تسعى لمحو الهوية الجزائرية حتى تصبح الجزائر أكثر انقيادا وأكثر قابلية للإدماج النهائي فعملت على:[4]

- محاربة اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

[1] حومة حورية، منصر سهيلة، المرجع السابق، ص 17.

[2] بوخاوش سعيد، المرجع السابق، ص 50.

[3] فتح الدين بن أزواو، المرجع السابق، ص 287.

[4] قويدري نايرة، تامرتي فتيحة، المرجع السابق، ص 13.

- اعتبار اللغة العربية لغة اجنبية في الجزائر.
- إهمال جغرافية وتاريخ الجزائر.[1]

وفي سنة 1838م أصدر ألم شوتان مرسوم يقضي بتحريم اللغة العربية واعتبارها لغة اجنبية، وهذا يعني حرمان الفرد الجزائري من لغته وتاريخه وبالتالي تحويله لفرنسا ووضعه أما الأمر الواقع بتعلم لغة المحتل.[2]

*_إعادة تسمية شوارع معسكر من أسماء فرنسية إلى رموز المقاومة الجزائرية:

هدف الاستعمار من وراء احتلاله للجزائر إلى طمس المعالم الثقافية للمجتمع الجزائري، وبالتحديد محاولة محو الشخصية الجزائرية الأصلية عن طريق فرنسية الألسنة والعقول.[3]

وخلال الحقبة الاستعمارية قرر المحتل إعطاء نظر أوروبي لمدينة معسكر من خلال نسب أسماء الشوارع والأحياء والقطاعات العامة التابعة للمدينة إلى أسماء معالم فرنسية في المقام الأول يتم تكريس أسماء سياسية وجنود ووزراء الحرب مثل ليون قامبيطا وزير داخلية الحكومة في الدفاع الوطني، ميدان "قامبيطا" يحمل حاليا اسم "الأمير عبد القادر". ساحة "بوجو" تحمل اسم ساحة "ساحة الأمير خالد"، شارع "كوفيل" يحمل حاليا شارع عبد الحميد، كذلك شوارع تحمل أسماء دينية مثل شارع SUENS اسم شارع Gezzerduhog وشارع أغستين والذي أصبح يطلق على شارع مصطفى بن توهامي.[4]

كذلك تكريم العلماء والأدباء مثل فيكتور هوغو، الذي يسمى حاليا شارع زغلول، ونجد شارع أونتارد والذي يطلق عليه حاليا شارع بوشيخة إبراهيم، وشارع ايم الذي يطلق عليه بعد

[1] قويدري نايرة، تامرتي فتيحة، المرجع السابق، ص 14.

[2] نفسه، ص9.

[3] لطرش حنان، المرجع السابق، ص 1421.

[4] دبدوب سارة، قاسم لمياء، سياسة فرنسا في تدمير الهوية الجزائرية (نظام الألقاب وفرنسة أسماء المدن نموذجا) 1830-1914م، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر بسكرة، سنة 2020- 2021، ص93.

الاستقلال شارع بوخنفور وبونهمور، وشارع كورنيل الذي يسمى حاليا بيروعلي، وشارع دامار مونت يسمى حاليا شارع عبان رمضان، إضافة إلى شارع فليكس ديور ويسمى حاليا شارع أبو طيب.[1] وبعد الاستقلال اختارت الإدارة الجزائرية إعادة الأسماء الجغرافية الجزائرية للمدينة استبدلت أسماء الشوارع والأحياء والأماكن العامة بأسماء أخرى تخص الشهداء والشخصيات السياسية والعلماء قبل كل شيء ممثلي المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي.[2]

تستند تسمية الشوارع في معسكر إلى الخبرة التي اكتسبها الشخص خلال حرب التحرير الوطني أو لأعماله ومقاومته ومجده وموته البطولي، أو لمساهمته المفيدة في المنطقة وبالتالي نحتفي بالرجال البارزين من خلال الكشف عن امتناننا لدورهم في تاريخ حرب التحرير الوطني.[3]

تصنيف أسماء الشوارع القديمة والجديدة أثناء وبعد الاستعمار الفرنسي:

أسماء الشوارع القديمة (أثناء الاستعمار الفرنسي)	أسماء الشوارع الجديدة (بعد الاستقلال)
الدكتور أرنون (دامر منت)	عبان رمضان
فليكس فاور	عبو الطيب
ميلبران	عبد المجيد مختار (رافا)
بوا جانفيل	عبد المجيب مصطفى
فرانكلين روزفلت (موغادور)	عيشوبة محمد
أندري ماتيونو	جيش التحرير الوطني

[1] دبدوب سارة، قاسم لمياء، المرجع السابق، ص 94.

[2] Amira Azzedine, les toponymes dans la ville de Mascara : identité commutation officielle et attachement nostalgique, Al-Naciria, université de Mascara, vol 9, n°1, juin 2018 ; P70.

[3] Op- cit, P70.

ف غارنييه	عميروش العقيد
دومون دورفيل	بن ملوكة علي
بوقي	بن ميمون يوسف
كولبير	بن مسابيح مصطفى
أراقو وكوليت	بن ثابت عبد القادر
أوت	شبوب عبد القادر
شارع دولا مينا	شيموم مخطار
نورين	شني محمد
بدوين	شرقي حبيب ديد بابا
لوفيفر	شتولي (إخوة)
الجادة الكبرى لباب علي	الأمير عبد القادر (ساحة)
بوقو	الأمير خالد (ساحة)
ديقيير	قاسم شهاوي (إخوة)
بوانكاري	خميس بوسكرين
دي لا بوست	مصطفى بن تهامي (سلحة)
فيد برب	نوفمبر (1 نوفمبر)
فيكتور عوغو	بير وعلي
سولي	تونسي محمد (شارع)
جوفر (المارشال)	طواع (الإخوة)

[1]

[1] Amira Azzedine, Op cit, 69,70.

خلاصة :

من خلال تحليل الكتابات المحلية والأجنبية حول مدينة معسكر، يتضح أن المدينة لم تكن بمنأى عن الاهتمام التاريخي والثقافي سواء من أبناء المنطقة أو من المستشرقين والمستعمرين، فقد عبرت الكتابات المحلية عن وعي نخبوي بوظيفة التوثيق وحفظ الذاكرة، وسعت إلى إبراز خصوصيات المدينة الثقافية والدينية أما الكتابات الأجنبية، فرغم ما شابها من نزعة استشراقية أو خطاب استعماري، فإنها تشكل مصدرا مهما لفهم رؤية الآخر للمجتمع المحلي.

كما كشفت هذه الدراسة عن الآثار العميقة للسياسة الفرنسية في المجالين الاجتماعي والثقافي، من خلال محاولات ممنهجة لإعادة تشكيل المجتمع وفق نمط استعماري يهدف إلى طمس الهوية وفرض نموذج ثقافي مغاير. ومع ذلك أبان المجتمع المعسكري عن مقاومة قوة، تجلت في التمسك بالموروث والرد الفكري والثقافي على هذه السياسات.

خـاتمة

خاتمة:

إن تسليط الضوء على تاريخ معسكر خلال الحقبة الاستعمارية سمح لنا بفهم أعمق لمكانة هذه المنطقة في النسيج التاريخي والاجتماعي والثقافي للجزائر. وقد مكّنتنا هذه الدراسة من استخلاص جملة من النتائج المهمة، التي تمثل خلاصة لما تم التوصل إليه طيلة مختلف مراحل البحث.

أظهرت المعطيات أن الموقع الجغرافي والفلكي لمعسكر منحها أهمية استراتيجية وجعل منها منطقة عبور واستقرار للعديد من الحضارات منذ العصور القديمة، مما ساهم في تكوين رصيد تاريخي وثقافي غني. كما أن نشأة المدينة وتطورها عبر الزمن يعكسان تفاعلها المستمر مع المحيط، إلى أن أصبحت هدفًا واضحًا للمطامع الاستعمارية الفرنسية التي احتلتها سنة 1830، وفرضت عليها نظامًا إداريًا وعسكريًا غيّر الكثير من ملامحها.

أما إجتماعيا ، فقد اتضح أن سكان معسكر شكلوا نسيجًا متنوعًا، حافظ في جوهره على وحدة مجتمعية متماسكة رغم التغيرات الديمغرافية والضغوط الاستعمارية. وقد عرفت المدينة تحولات عمرانية متسارعة، رافقتها محاولات لتغيير نمط العيش المحلي. ورغم ذلك، تمسّك السكان بعاداتهم وتقاليدهم التي ظلت تُمارس في مختلف المناسبات، وكانت تعبيرًا صريحًا عن مقاومة ثقافية حافظت على الخصوصية والهوية.

عكست الحياة الفكرية في معسكر حيوية واضحة رغم محاولات التهميش والتضييق. فقد لعبت الزوايا والمساجد دورًا رئيسيًا في الحفاظ على التعليم الديني واللغة العربية، وشكلت جدار صد أمام السياسات الفرنسية التي هدفت إلى طمس الهوية الثقافية والدينية للجزائريين. هذه المؤسسات لم تكن معزولة، بل ارتبطت بالحياة اليومية للسكان وأسهمت في تنشئة أجيال واعية متمسكة بقيمها الأصلية.

إلى جانب ذلك، عرفت المنطقة بروز عدد من الشخصيات الفكرية والعلمية التي ساهمت في بناء الوعي الجماعي ومقاومة المستعمر بالكلمة والمعرفة. كما ساعدت الأنشطة الثقافية المحلية، رغم بساطتها، على إبقاء شعلة الوعي متقدة في ظل القمع الاستعماري. الجمعيات الأدبية، اللقاءات الفكرية، وبعض أشكال النشر المحدودة، كانت كلها أدوات فعّالة حافظت من خلالها معسكر على نبضها الثقافي رغم القيود.

كما تناولنا خلال بحثنا جملة من الكتابات التاريخية التي تطرقت إلى منطقة معسكر، سواء من قبل مؤرخين جزائريين أو أجانب، وسعينا إلى جمعها واستثمارها في دعم المادة العلمية لهذا العمل، باعتبارها مصادر ضرورية لفهم مسار تطور المنطقة وتوثيق أهم محطاتها.

كما أن آثار السياسة الاستعمارية ظهرت بوضوح في تراجع بعض الجوانب الاجتماعية والثقافية نتيجة القوانين التعسفية، ونزع الأراضي، ومحاربة التعليم التقليدي، مما أدى إلى إحداث اختلالات في البنية الاجتماعية كانت لها انعكاسات طويلة المدى. ورغم ذلك، ظل سكان معسكر يقاومون بأشكال مختلفة، معتمدين على إرثهم الثقافي والديني كوسيلة للصمود والمحافظة على الذات.

إن ما توصلنا إليه من نتائج يثبت أن معسكر لم تكن مجرد فضاء جغرافي ضمن خريطة الجزائر المستعمَرة، بل كانت مركزًا نابضًا بالحياة، تحركه روح المقاومة وتثريه تجارب أبنائه في مجالات متعددة. كما أن تناول تاريخها يُعد مساهمة ضرورية لفهم أوسع للتاريخ الوطني، من خلال توجيه الاهتمام نحو المناطق الداخلية التي كثيرًا ما أُهملت في الدراسات الأكاديمية. ونأمل أن تُسهم هذه المذكرة في إلقاء الضوء على هذه المدينة العريقة، وتفتح الباب أمام دراسات أعمق في المستقبل.

الملاحق

الملحق 01 : منظر لمدينة معسكر خلال فترة الاستعمار الفرنسي .

1

[1] Adolph joanne _ Géographie de Lalgérie , Hachette et cie , 1888 .

الملحق 02 : تمثيل تخطيطي للبنية الحضارية لمدينة معسكر.

1

P.Desseigne_Services maritimes et transports ,Alger_Marseiile_Paris, Guide joanne ;1894_1895,Alger,Boulevard de la Rèpublique.[1]

الملحق 03:الجامع الكبير (يسمى حاليا مسجد مصطفى بن التهامي)

1

[1]بن نعوم صلاح الدين، الصدر الأعظم...،المرجع السابق،ص37.

الملحق 04: بلهاشمي بن بكار.

1

[1] ابلهاشمي بن بكار،مجموع الحسب و التسب...، المصدر السابق.

الملحق 05: مقتطفات من الصحافة الفرنسية خلال فترة الإستعمار.[1]

LE PROGRÈS

Paraissant le Samedi

L'Élection Présidentielle

LE RÉVEIL

DE MASCARA

L'ANNIVERSAIRE DE L'ARMISTICE

LES SPORTS

La Liberté

DE MASCARA

SOLIDARITE

L'INDÉPENDANT

DE MASCARA

RADICAL AUTONOMISTE - PARAISSANT LE JEUDI ET LE DIMANCHE

CHRONIQUE VAGABONDE

Pierre de Touche

LE CRÉDIT AGRICOLE

[1] www . gallica.bnf.fr.

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر:

أ_باللغة العربية:

1. ابن حوقل أبو القاسم محمد ، صورة الارض منشورات دار مكتبة الحياة، لبنات بيروت، 1996.
2. باشا محمد الامير، تحفة الزائر في مآثر الامير عبد. القادر واخبار الجزائر، ج1، الاسكندرية، 1903.
3. البكري ابو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد المغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد 1964.
4. بلهاشمي بن بكار، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والادب في اربعة كتب، مطبعة ابن خلدون تلمسان، 1961.
5. بوعزيز يحي، اعلام الفكر والثقافة في الحزائر المحروسة، دار الغرب الاسلامي ط 1 سنة 1995.
6. التوجيني عبد الرحمن ، عقد الجمان النفيس في ذكر الاعيان من اشراف غريس، دار الخليل القاسمي، ط1، 2005.
7. حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق: محمد. العربي الزبيري، منشورات A N E P، سلسلة التراث. د ط، د س.
8. الشريف الادريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج 1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994.
9. الشقراني امحمد ابن عبد الرحمن الشقراني، القول الاوسط في اخبار بعض من حل بالمغرب الاوسط، تح و تق: ناصر الدين سعيدوني، البصائر، الجزائر، 2013.

10. الغريسي الطيب بن مختار، القول الاعم في بيان انساب قبائل الحشم ضمن كتاب بلهاشمي بن بكار.
11. الفاسي حسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، ج 2. تر: محمد حجي ومحمد الاخضر، ط 2، دار الغرب الاسلامي، منشورات الجمعية المغربية.
12. مارمول كربخال، افريقيا ج 2، تر: محمد حجي واخرون، الجمعية المغربية للتاليف والترجمة، دار النشر والمعرفة، د ط، سنة 1989.
13. المزاري الاغا ابن عودة ، طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى اواخر القرن 19، تح: يحي بوعزيز، ج 1 دار الغرب الاسلامي، د ط، د س.
14. المهاجي الطيب الجزائري، انفس الذخائر واطيب المآثر في اهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، الشركة الجزائرية للطبع والاوراق، وهران، د س.
15. مؤلف مجهول، الاستبصار وعجائب للاخبار، د ط، د س.

ب_ بالفرنسية:

1. Adrian Verbruggen, Relation de l'expédition de Mascara, paris, Rue des petits Augustins, n°24,Delaunay, Librairie .
2. Alexandre bellemare ;ABD- EL _ KADER ,sa vie politiqe et militaire, présentation : claude Bontems ,Editions Bouchéne ,2003 .
3. Ces Caupenne, Mascara son Altesse, Paris, 1836.
4. Ces Chaucenne, Mascara son Altesse, parus, 1836.

5. Colonel cheurchill, The life of Abdelkader sultan of arab of Algéria, weiten from this own Dictation and compiled from other autrentic 1867 .
6. Daumas, Eugéne (1803- 1871) Correspondance capitaine Daumas, consul a Mascara (1837- 1839) par Georges, 1 er edition, Alger,Adolphe Jourdan, Paul cauthner, Paris, 1912.
7. De la fausse direction donnée aux affaires d'alger par le système d'expédition «paris Delaunay, librairie au palais Royal Janvier», 1836
8. La liberté de Mascara 09/06/1904.
9. L'algérie du Nord illustrée, 1janvier 1912.
10. Le progrès de Mascara, Samedi 2janvier1909.
11. Le réveil de Mascara: 18/05/1850.
12. L'indépendante de Mascara, 1884.
13. Saint-Hyppolite,Notes sur le Théâtre des opérations militaires dans le centre de l'algérie, imprimerie de Bourgogne Et Martine jacub, 30,15,Avril 1840 .

ثانيا المراجع:

أ _الكتب بالعربية:

1. إتيين برونو،عبد القادر الجزائري،تر:ميشال خوري،عطية للنشر و الترجمة،ط1،بيروت لبنان1997.>

2. بلبلورات بن عتو ، واقع الاحتلال الفرنسي لمدينة معسكر واحوازها مابين (1835 / 1842)، ضمن كتاب معسكر المجتمع والتاريخ.
3. بن داهة عدة ،معسكر عبر التاريخ، ط 1،دار الخلدونية، الجزائر 2005
4. بن سودة عبد السلام ، اتحاف المطالع بوفيات اعلام القرن 13 و ق 14، تح: محمد حجي، دار الغرب الاسلامي ج 2، ط 1، 1997.
5. بن سودة عبد السلام ، نسل النصال للنضال بالاشياخ واهل الكمال فهري الشيوخ تح: محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، ط1 1997.
6. بن نعوم صلاح الدين ، العلامة مصطفى بن للتهامي، الصدر الاعظم للامير عبد القادر، دار نور للنشر، د س و د ط.
7. بوركبة محمد ، عجائب الاسفار ولطائف الاخبار للشيخ ابي راس الناصري المعسكري، دراسة وتحقيق، جامعة وهران، 2007/ 2008.
8. بوكعبر تقي الدين ، المجموع الميسر لمدونات الانساب والتراجم بفضاء الراشدية معسكر، دار السادة المالكية، المدية، 2021.
9. بوكعبر تقي الدين ، نيل الاماني ونشر التهاني بترجمة الشيخ مصطفى بن التهامي البوعمراني، ومصطفى بن التهامي حياته واثاره، فهرنهايت للنشر والتوزيع.
10. توفيق المدني احمد ، تاريخ الجزائر الى يومنا هذا ، د س، د ط.
11. جاكر لحسن ، نشاط جمعية العلماء المسلمين الحزائريين في مدينة معسكر 1931 / 1956، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2003.
12. جاكر لحسن ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر1931، 1956 ،دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران2003.
13. الجيلالي محمد، معسكر ومناقب ائمتها في القرن 20، دار النشر ابن خلدون، تلمسان الجزائر، د ط، د س.

14. حرب اديب ، التاريخ العسكري والسياسي للامير عبد القادر، دار الرائد للكتاب، د ط، د س.
15. حساني مختار ، تاريخ الدولة الزيانية(الاحوال الاقتصادية والثقافية)، ج 2 منشورات الحضارة ط 2009.
16. سعد الله أبو القاسم، ابحاث واراء في تاريخ الجزائر، ج 2، دار البصائر، الحزائر، 2007.
17. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 (1500 / 1830) دار الغرب الاسلامي، بيروت 1998.
18. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الحزائر الثقافي الج 6.
19. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5.
20. سعد الله أبو القاسم،تاريخ الحزائر الثقافي، ج 7.
21. سعد الله أبوالقاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1830/ 1900، ج 1، دار الغرب الاسلامي، ط 1، بيروت لبنان.
22. سعيدوني ناصر الدين والمهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط سنة 1984.
23. سعيدوني ناصر الدين ، عصر الامير عبد القادر الحزائري مؤسسة جائزة، عبد العزيز سعود البياطين للايداع والشعر، مكتبة الاسكندرية، 2005.
24. عبيد بوداود، معسكر واحوازها في العصر. الوسيط من خلال المصادر الجغرافية العربية: ضمن كتاب معسكر المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث العلمية، مكاتب الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر 2014.
25. العسيلي بسام ، الامير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، بيروت، د ط، د س.

26. قداش محفوظ ، جزائر الجزائريين، تاريخ الحزائر 1830/ 1954 تر: محمد المعراجي، الاكادمية الحزائرية للمصادر التاريخية.
27. كمال بوشامة، الجزائر ارض وعقيدة، تر: محمد معراجي، دار هومة الجزاير 2007.
28. مهديد إبراهيم ، القطاع الوهراني ما بين 1850 1919، دراسة حول المجتمع الجزائري الثقافة و الهوية الوطنية، منشورات دار الأديب، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر 2005.
29. مهديد إبراهيم ، المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية 1850 1912،منشورات دار الأديب،وهران2006.
30. مهيرس مبروك ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، ابن عكنون، الحزائر، د ط، سنة 2009.
31. ويليام شارل، قنصل امريكا في الحزائر، (1816/ 1842) تق: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

ب_الكتب بالفرنسية:

1. Amira Azzedine, les toponymes dans la ville de mascara: identité commettaient officielle et attachement nostalgique, Al-Naceri, université de mascara, vol 9,n°1,juin 2018.
2. Boyer (p) ،Le problème Rouloughi dans la régence d'alger France, 1970 .
3. Henri Teissier, l'Emir abdelkader, institut du monde arabe 2020 .

4. L'éon Galibert, histoire de l Algérie ancienne et moderne, furne l'ibraires, Editeurs paris 1843 .

ج _الرسائل العلمية:

1_أطروحات الدكتوراه :

1. أورندي الطيب ، الواقع الاجتماعي والثقافي في معسكر 1900-1945م، تخصص: الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1870/ 1945) قسم التاريخ، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2022/ 2023.
2. بحري أحمد ، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية ، جامعة وهران، 2012 / 2013.
3. بختاوي خديجة ، التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في عمالة وهران (1870/ 1939)، جامعة وهران 2011 / 2012.
4. بن عتو بلبراوات، المدينة والريف اواخر العهد العثماني، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه جامعة وهران، 2007/ 2008.
5. جاكر لحسن ، الحركة الوطنية في معسكر 1930-1945 ، جامعة وهران 2009.
6. حناني فردوس ، الحركة العلمية في الغرب الجزائري (1830/ 1940)، جامعة وهران 1 سنة 2018 / 2019.
7. دغموش كاميليا ، السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري (1792 / 1830)، جامعة وهران 2020.
8. سعدون بخاخ، البرانية في مدينة الجزائر مابين 1700 -1850 " جماعة البساكرة انموذجا " ، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان 2022 / 2023.

9. صوافي الزهرة ، الوضع الاقتصادي في القطاع الوهراني مابين 1939/ 1954، وهران 2017 / 2018.
10. فلاح سفيان ، الاوبئة والامراض في بايلك الغرب الحزائري من خلال المصادر المحلية والاوروبية في القرن 18 وبداية القرن 19، حامعة احمد بن بلة، وهران 2021 /2022.
11. قرمان عبد القادر، عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني، جامعة الجزائر 2 2012/2014.
12. مبيوع أحمد ، التعليم الاهلي في ايالة الجزاير خلال عهد الدايات، حاضرتي تلمسان ومعسكر انموذجا، جامعة وهران سنة 2023 / 2024.

2_رسائل الماجستار:

1. بكاري عبد القادر ، منهج الكتابة التاريخية عند ابي راس الناصري من خلال مخطوط زهرة الشماريخ في علم التاريخ، 2008 / 2009.
2. الواليش فتيحة ، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الحزائري خلال ق18، جامعة الجزائر، 1993 – 1994.
3. يوسفي يوسف ، الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية لابي راس الناصري المعسكري ضبط وتعليق ودراسة ، جامعة السانية وهران، 2007 / 2008.

3_مذكرات الماستار:

1. بوشحدان هاجر ،جميلي شيماء ،تعليم الأهالي و تأثيراته على المجتمع الجزائري 1830_1900.
2. حلاسة حسينة ، الطرق الصوفية والزوايا بالحزائر، الطريقة الرحمانية انموذجا، (1763 -1871

3. دبدوب سارة ، لمياء قاسم، سياسة فرنسا في تدمير الهوية الجزائرية (نظام الالقاب وفرنسة أسماء المدن انموذجا) 1830/ 1914.
4. شابو بشرى ، مريم شابو، الزوايا والطرق الصوفية ودورها في مواجهة الاستعمار الفرنسي بالحزابر خلال القرن 20- الطريقة الرحمانة انموذجا- جامعة قالمة، سنة 2019 / 2020.
5. شرف عبد الحق ، العربي بن على بن عبد القادر المشرفي، حياته واثاره.
6. قوادري نسيمة ، قوادري فوزية ، اوضاع بايلك الغرب الحزابري في عهد الباي محمد الكبير 1779 / 1799.

د_المقالات:

1. ارزقي شويتام، سياسة الاستطان الفرنسي في الجزائر 1830 / 1914، مجلة التاريخ المتوسطي، جامعة الجزابر 2، مج 2،ع 2، ديسمبر 2020.
2. أوريندي الطيب ، الكشافة الاسلامية في معسكر، مجلة المواقف، للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 18 ع 1 اوت 2022.
3. بابه حورية ، ميلود كهينة، مساهمة بن الاعرج السليماني الغريسي في المقاومة الثقافية المغربية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات، المجلد 8 ع3 جوان 2023.
4. بشي يمينة، مآثر المراة الجزائرية خلال قرن الاحتلال، مجلة المصادر، ع 3.
5. بغداد عبد الرحمن، قراءة في منهج المؤرخ يحي بوعزيز في تحقسق المخطوط التاريخي الجزائري " طلوع سعد السعود " للأغا ابن عودة المزاري انموذجا، المركز الجامعي بمغنية، الفضاء المغاربي، مج 3، ع 2.
6. بلجوزي بوعبد الله ، التحصينات الدفاعية في مدينة معسكر في العهد العثماني من خلال النصوص التاريخية والشواهد المادية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، ص363.

7. بن ازواو فتح الدين ، السياسة الاستعمارية الفرنسية الدينية والثقافية في الحزائر 1830/ 1954، جامعة محمد بوضياف، المسلية، مج 5،ع 2، ديسمبر 2021.
8. بن اشنهو علي ، الدولة الحزائرية في 1830 ومؤسساتها في عهد الامير عبد القادر، تر: لعراجي نور الدين، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، 2013.
9. بن داهة عدة ، ثورة بني شقران، مجلة عصور جديدة ع 11، فيفري 2014.
10. بن نعوم صلاح الدين ، سيرة الخليفة الحاج مصطفى بن التهامي، مجلة محكمة نصف سنوية تعني بقاضايا الفكر والتراث الاسلامي، ع16، سنة 2020.
11. بن نعيمة عبد المجيد واخرون، موسوعة اعلام الحزاىر، 1830 / 1954، سلسلة المشاريع الوطينة للبحث.
12. بوبكر هشام ،بلقاسم عياشي، جوانب من الحياة الديموغرافية والاجتماعية للمجتمع الحزائري اواخر الفترة العثمانية (دراسة سوسيو تاريخية للجماعات السكانية الخضرية المكونة للمجتمع الحزائري) جامعة الجلفة، ع 7 مجلة افاق للعلوم، مارس 2017.
13. بوخاوش سعيد ، مظاهر مقاومة الفرنسة ونشر اللغو العربية ع الامير عبد القادر، جامعة البليدة 2.
14. بوكعبر تقي الدين ، رسالة الشيخ محمد بن الاعرج السليماني الغريسي في تاريخ وانساب غريس، المجلة الحزائرية للمخطوطات، المجلد 18 ع12 جامعة يحي فارس، الحزائر، جوان 2022.
15. بونقاب مختار، الخزانن الشعبية في منطقة معسكر ودورها في الحفاظ على التراث والمخطوط، مجلة العصور الجديدة، مجلد 14، ع 2 نوفمبر 2024.
16. بونقاب مختار، واقع المخطوطلت الجزائرية الخاصة والمكتبات العامة 2017.

17. تواتي فضيلة ، الالقاب المشينة في الجزائر (حقيقتها، اثارها واجراءات تغييرها) ، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والسياسية، مج 58، ع 4، 2001.
18. جاب الله الطيب ، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري.
19. جعفري مبارك، الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر ودورها في ترسيخ الوحدة الوطنية" الملتقى الدولي الموسوم ب: الحواضر القرآنية في افريقيا الرسالة الوطنية والروحية "، جامعة سيدي بلعباس والمنعقد يومي 10 و11 ديسمبر 2018،اليزي.
20. جلامة عبد الوحيد ،قراءة في قانون الحالة المدنية (23 مارس 1882) ضمن اعمال الملتقى الوطني من اعداد وتن: توفيق بن زردة الالقاب العائلية في الجزائر بين النص والتطبيق والاثار: 1873 / 1962، اكتوبر، 2019.
21. حمدادو بن عمر، مخطوطات خزانة الشيخ البشير المحمودي، جامعة وهران.
22. حمدادو بن عمر، واقع الحياة الفكرية والثقافية اواخر العهد العثماني ببايلك الغرب جامهة وهران.
23. الحواس الوناس، الاوضاع الاجتماعية للجزاير بين سنوات (1830/ 1930) مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 1، الع 1، جانفي 2013.
24. حومة حورية ، سهيلة منصر ، اهم المشاريع الاصلاحية الفرنسية في الجزائر، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، قسم التاريخ سنة 2021 / 2022.
25. درعي فاطمة ، الامير عبد القادر من خلال كتاب تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر، مجلة ابعاد، مجلد 10، ع1، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2023.
26. رقاد سعدية ، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الحزائري خلال العهد العثماني (1700 / 1830) مجلة العصور الحديدة المجلد 8 ع 2، ديسمر 2018.

27. زاير عبد القادر ، بوداوية مبخوت، مساهمة الخليفة مصطفى بن التهامي في المقاومة الوطنية 1832 / 1847، جامعة تلمسان، الساورة للدراسات الانسانية والاحتماعية، النعامة، ع6 ديسمبر 2017.

28. سلاماني عبد القادر، جرائم الاحتلال الفرنسي. ضد الشعب الجزائري (منطقة معسكر انموذجا) ، 1830/ 1847، مجلة الادب والحضارة الاسلامية، مج 12، ع25، سنة 2020.

29. سمراد سمير ، البطل الغيور محمد السعيد زموشي الصائغي(1904/ 1960) جملة الاصلاح السنة الثانية، الع 10، اوت 2008.

30. شرف عبد الحق ، الجزائر في عيون الرحالة الجزائريين خلال القرن 19، "رحلة المشرفي انموذجا"، ضمن المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر المخطوطات جامعة وهران الجزائر، ع 10،سنة 2013.

31. شرف عبد الحق ، كتابات العربي المشرفي الجزائري المتوفي 1895 مصدر من مصادر تاريخ الحزائر خلال القرن 19 م، مجلة افاق العلوم جامعة الجلفة، ع10، جانفي 2012.

32. شهيبي عبد العزيز ، الزوايا والطرق الصوفية والاحتلا الفرنسي في الحزائر دار الغرب الاسلامي.

33. شويط عبد العزيز، معالم فن السيرة الذاتية عند الامير عبد القادر، " دراسة في مذكرته (السيرة الذاتية) بالموازنة مع تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر لابنه محمد"، مجلة الصوتيات حولية اكادمية دولية محكمة متخصصة، تصدر عن مخبر اللغة العربية وادابها، جامعة البليدة 2 لونيسي علي، الجزائر، ع 18.

34. الشيخ لعرج، المؤسسات التعليمية الاستعمارية في الجزائر ومسألة تعليم الجزائريين 1830/ 1962، جامعة مصطفى اسمطبولي، معسكر.
35. صايفي راضية ، دور الكتاتيب القرآنية اثناء فترة الاستعمار، جامعة الجزائر 2، مجلد 6 ع 1.
36. الصلابي على بن محمد ، سيرة الامير عبد القادر قائد رباني ومجاهد. اسلامي، دار المعرفة بيروت لبنان.
37. طاعة سعد، الدور العلمي لزوايا ومدارس ومساجد معسكر خلال الفترة الاخيرة من الحكم العثماني، ضمن مجلة البحوث والدراسات التاريخية، المجلد 5 ع 10 ديسمبر 2019، جامعة معسكر الجزائر.
38. عبد الجليل مرتاض، الوضع الاجتماعي في الجزائر خلال عهد الاحتلال الفرنسي، مجلة لغة العربية، العدد الممتاز.
39. العماري الطيب ،الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني الى الدنيوي ومن القدسي الى السياسي. جامعة بسكرة، مجلة العلوم الانسانية 15 جوان 2014.
40. عمراوي أحميدة ، القادرية وموقفها من السياسة الفرنسية، جامعة عبد القادر، قسنطينة.
41. قبال مراد، السياسة الاجتماعية الفرنسية في الجزاير، اهدافها وتداعياتها (1830/ 1939) مجلة القرطاس، ع9، جويلية 2018.
42. قدور بوجلال، المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير، دراسة في العلوم الانسانية والاجتماعية، ع31، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر.
43. قوراري سليمان ، شخصية الامير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات، مجلة الحقيقة، ع 31.

44. لخضر العربي ، مقدمات عن الحرف وتنظيمها في مدينة معسكر خلال العصر الوسيط، مجلة الاداب والعلوم الاجتماعية، المجلد 17، ع2، البيض الجزائر 2020.

45. لطرش حنان ، السياسة الفرنسية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر، مجلة جامعة الامير ع. القادر للعلوم الاسلامية، قسنطسنة الجزائر، مج 35، ع1، 2021.

46. لونيسي إبراهيم ، مصطفى ابن للتهامي عالم ورجل دولة ضمن مجلة عصور جديدة، ع 3 جوان 2003.

47. مبادر رشيد ، اسهامات جريدة الشهاب في فضح مخططات الادارة الاستعمارية، مجلة دراسات وابحاث، المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد 12، ع 1، جانفي 2020.

48. مدان محمد ، المجتمع الجزائرب ضد الاستعمار الفرنسي مجلة انثروبولجيا الاديان، ع 9، تلمسان.

49. المهدي هجالة خيرة ، سياسة الفرنسة في الجزائر 1830/ 1962، مجلة الإحياء، جامعة على مونيسي البليدة 2، مج 21،ع 29، اكتوبر 2021.

50. نعيم اسيا ، الشخصيات الجزائرية(100 شخصية) دار المسك للنشر والتوزيع 2008.

51. نقاز سيد احمد ، الاسرة الجزابرية اثناء الاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، ع 13.

52. هشماوي فتيحة ، الدور الجهادي للطرق الصوفية والزوايا بالجزائر اثناء الوجود الاستعماري، جامعة مستغانم.

53. هلال عمار ، ابحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية ط 2 جانفي 2016.

54. يحياوي نجاة ، المدرسة وتعاظم دورها في المجتمع المعاصر، مجلة العلوم الانسانية، جامعة خيضر بسكرة، ع36 / 37.

ج_ المواقع :

1.WWW.gallica.bnf.fr.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الشكر والعرفان	
الإهداء	
مقدمة	
الفصل التمهيدي: معسكر عبر التاريخ	
- أولا: موقع المنطقة	**08**
- ثانيا: نشأة المنطقة	**12**
الفصل الأول: الحياة الاجتماعية في معسكر ما بين 1830- 1962 م	
أولا: تفاعل الأبعاد السكانية والعمرانية في معسكر	**23**
- 01: التركيبة السكانية في المنطقة.	**23**
- 02: تطور العمران في المنطقة	**40**
ثانيا: مظاهر الحياة الاجتماعية في معسكر	**43**
01: تقاليد وعادات أهل معسكر	**43**
02: أهم الأنشطة لسكان معسكر	**46**
03: الوضع الصحي	**55**
الفصل الثاني: الحياة الثقافية في معسكر ما بين (1830- 1962م)	
أولا: المؤسسات الثقافية في معسكر (19621830-)	**60**
- 01:الزوايا و المساجد	**60**
- 02:المدارس والكتاتيب	**72**
- 03:المكتبات	**76**
- 04:الجمعيات و النوادي	**81**

ثانيا: رجال الفكر والثقافة في معسكر (1830- 1962م)	**85**
01: الخليفة مصطفى بن التهامي و الأمير عبد القادر	**85**
02:محمد بن الأعرج السليماني و بن الهاشمي بن بكار	**99**
03:سعيد الزموشي و سفير البودالي	**107**
الفصل الثالث: معسكر من خلال الكتابات المحلية والأجنبية	
أولا : المعالم الاجتماعية والثقافية من خلال الكتابات المحلية	**117**
ثانيا : المعالم الاجتماعية و الثقافية من خلال الكتابات الاجنبية	**131**
ثالثا : اثار السياسة الفرنسية على الحياة الاجتماعية و الثقافية في معسكر	**146**
الخاتمة	**159**
قائمة الملاحق	**162**
قائمة المصادر والمراجع	**168**
فهرس المحتويات	**185**
ملخص الدراسة	**186**

الملخص بالعربية:

تعالج هذه المذكرة مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة معسكر خلال الفترة الاستعمارية (1830–1962)، من خلال دراسة التحولات التي طرأت على التركيبة السكانية والعمران، والعادات والتقاليد، والوضع الصحي والهجرة. كما تناولت الدور المحوري للمؤسسات الدينية والتعليمية كالمساجد والزوايا والكتاتيب، بالإضافة إلى النوادي الثقافية، في الحفاظ على الهوية المحلية. وتطرقت كذلك إلى الشخصيات الفكرية التي ساهمت في تنشيط الحياة الثقافية والدينية. كما درست المذكرة مختلف الكتابات التاريخية، المحلية منها والأجنبية، للكشف عن صورة معسكر في الذاكرة الجماعية، مع تحليل انعكاسات السياسة الاستعمارية على البنية الاجتماعية والثقافية للمدينة. وخلصت الدراسة إلى أن المجتمع المعسكري أبدى مقاومة ثقافية واضحة ساهمت في الحفاظ على هويته في وجه محاولات الطمس والاستلاب.

Summary in Englis :

This dissertation examines the social and cultural life of the city of Mascara during the colonial period (1830–1962), focusing on the transformations in population structure, urban development, customs and traditions, public health, and migration. It highlights the key role of religious and educational institutions—such as mosques, zawiyas, and Quranic schools—as well as cultural clubs in preserving local identity. The study also explores the contributions of intellectual figures in sustaining religious and cultural activity. Furthermore, it analyzes both local and foreign historical writings to shed light on Mascara's image in collective memory and investigates the impact of French colonial policies on the city’s social and cultural fabric. The research concludes that the people of Mascara demonstrated strong cultural resistance, which helped preserve their identity despite colonial efforts of assimilation and erasure.